
تفسير
الربانيين لعموم المؤمنين
تفسير جزء عم
تأليف
أبي عبد الله
مصطفى العدوي
الناشر
مكتبة الضياء
طنطا. ت: ٣٠٧١٤٧
مؤلف
أبي عبد الله
مصطفى
العدوي
تفسير الربانيين لعموم المؤمنين
تفسير جزء عم

تفسير

الربانيين لعموم المؤمنين

المؤلف: أبو عبد الله

مصطفى العدوى

الناشر : دار الخلفاء ـ المنصورة

كيميائي / عبد الواحد الدسوقي

رمضان ١٤٢٠ هـ .

ديسمبر ١٩٩٩ م .

الطبعة الأولى

الكمبيوتر : دار الخلفاء

راجع البروفات : المؤلف .

رقم الإيداع : ٩٩/١٧٨١٩

الترقيم الدولي : I.S.B. N

٩٧٧ ـ ٥٨٨٨ ـ ٤٦ ـ ٨

دار الخلفاء المنصورة

أمام سور جامعة الأزهر

١٨ شارع محمد داود المتفرع من شارع عبد السلام عارف

ت : ٠٥٠٣٦٠٥٠٢ ـ ٠٥٠٢١٣٦٦٨

٠١٢٣٤١٨٦٥٥



مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد

فامتثالا لقول الله عز وجل ﴿ **وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ** ﴾

واتباعا لحديث رسول الله ﷺ « **خَيركم من تعلَّم القرآن وعلّمه** »[١]

قمت ـ بتوفيق الله ـ بإعداد هذا المختصر اللطيف بعد دراسة مستوفاة لتفسير جزء عم ، وهذه الدراسة المستوفاة كانت ضمن خطتى لإخراج ذلكم المشروع الكبير وإنجازه ألا وهو تفسير القرآن الكريم فى سؤال وجواب الذى وسمته باسم [التسهيل لتأويل التنزيل] وقد صدر منه للآن ـ والحمد لله ـ أربعة مجلدات حوت تفسير سور الفاتحة والبقرة وآل عمران كل ذلك ـ كما أسلفنا ـ فى صورة السؤال والجواب وكذلك مجلدان خامس وسادس ألا وهما التسهيل لتأويل التنزيل(جزء عم) ، فرأيت بعد إخراج جزء عم فى صورة السؤال والجواب أن أقوم باختصاره بما يتناسب ويتمشى مع عوام المسلمين ، بعيدا عن المسائل الفقهية والمباحث الأصولية والتخريجات الحديثية المطوَّلة ـ إلا مالابد منه ، وراعيت فى هذا المختصر سهولة الألفاظ ووضوح العبارات

---

(١) أخرجه البخارى (مع الفتح ٩/ ٧٤) من حديث عثمان رضى الله عنه .

والاقتصار - فى الغالب - على الرأى الذى ترجَّح لدىَّ من آراء العلماء وأقوالهم حتى لايمل القارىء ولايتشتت، وماتوفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

وسميت هذا الكتاب الذى هو بين أيدينا باسم (**تفسير الربانيين لعموم المؤمنين**) .

أسأل الله أن ينفع به الإسلام والمسلمين وأن يجعله فى سجل حسناتنا يوم نلقاه.

وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

كتبه

أبو عبدالله

مصطفى بن العدوى شلبايه

مصر - الدقهلية

منية سمنود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣) كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ (٥) أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣) وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (١٦) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (١٧) يَوْمَ يُنفَخُ فِى الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا (٢٤) إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا (٣٠) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا كِذَّابًا (٣٥) جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا (٣٦) رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ

صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾

****

سورة النبأ يطلق عليها أيضا سورة عم ، ولكثير من سور القرآن عدة أسماء، فسورة التوبة يطلق عليها (سورة براءة) ، وسورة الإسراء هى (سورة بنى إسرائيل) ، وسورة فاطر يطلق عليها (سورة الملائكة) ، وسورة غافر يطلق عليها (سورة المؤمن) ، وسورة محمد يطلق عليها (سورة القتال) وسورة الملك يطلق عليها (سورة تبارك) إلى غير ذلك .

* وسورة النبأ سورةٌ مكية أى أنها نزلت على رسول الله ﷺ بمكة أما السور المدنية فهى التى نزلت على رسول الله ﷺ بالمدينة .

قوله تعالى : ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾

* أتدرى عن أى شيءٍ يسأل بعضهم بعضا وفى أى شيء يتحدثون؟!!

إنهم يتساءلون عن خبرٍ خطيرٍ ! ويتحدثون فى أمرٍ كبير!!

إن هذا الخبر هو البعث بعد الموت ، هو خروجهم من قبورهم

أحياءً يوم القيامة بعد موتهم !! يتساءلون أيضا عن القرآن الذى جاء فيه هذا الخبر! يتساءلون عن النبى الذى جاء بهذا القرآن !!يتساءلون ولايهتدون إلى جوابٍ سديدٍ ولا إلى رأيٍ رشيدٍ !!

لايجتمعون على صوابٍ ولايتفقون على جواب !!

* أهل الشرك منهم من يُنكر البعث ومنهم من يَشُكُّ فيه ، منهم من يقول:

﴿ أئذَا كُنَّا تُرَابًا أئِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾

ويقول ﴿ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾

ويقول ﴿ أئذَا ضَلَلْنَا فِى الأَرْضِ أئِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾

﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِى الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾

قالوا عن القرآن﴿ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾

قالوا ﴿ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾

قالوا عن النبى ﷺ : ﴿ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾

هذا هو دينهم : شركٌ بالله ، إنكارٌ للبعث ، طعنٌ فى القرآن ،تكذيب للنبى ﷺ .

* أما المسلمون ، أما المؤمنون فإنهم يقولون : نعم هذا سيكون ، نعم سنخرج من القبور أحياءًا يوم القيامة .

نعم هناك بعثٌ ، نعم هناك حساب ، نعم هناك جنةٌ ، نعم هناك نارٌ.

وأهل الإسلام فى الجنان وأهل الكفر فى النيران، وأهل الخير والصلاح فى النعيم وأهل الشر والفساد فى الجحيم .

نعم هذا القرآن من عند الله ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾

ماهو بقول شاعر ولابقول كاهن .

والذى أنزل عليه القرآن صادق أمين ، وهو محمد عليه أفضل صلاة وأتم تسليم ، ماهو بشاعر ولابكاهن ولا كذاب ، ولامغتر ولا مجنون .إنه صادق حقا يخبر عن الله صدقا ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾

﴿ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ ④ ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ ﴾

﴿ كَلاَّ ﴾ نفى وردع وزجر ، فليس الأمر كما يزعم هؤلاء الكفار من أنه لابعث ولاجنة ولا نار ، ليس الأمر كما يزعمون بأن القرآن تنزلت به الشياطين ، ليس الأمر كما يزعمون أن محمدا ساحر أو مجنون .

﴿ سَيَعْلَمُونَ ﴾ سيعلمون أن هناك حساب وأن الجنة للأبرار والنار للفجار، سيعلمون أن القرآن حق من عند الله ، ومأأخبر به صدق ،سيعلمون أن محمد عليه الصلاة والسلام رسول الله ،سيعلمون ذلك عند خروج أرواحهم من أجسادهم، وعند سؤال الملكين لهم فى قبورهم ، ويوم القيامة عند خروجهم للحساب سيتأكدون من ذلك غاية التأكد

ويتحققون منه غاية التحقق ، ولهذا كُرر قوله :

﴿ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾

وقوله تعالى ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴾

يوجه الله سبحانه نظر هؤلاء الذين أنكروا البعث وكذلك سائر عباده إلى قدرته على إحياءهم بعد موتهم ، فهو سبحانه قد خلق ماهو أكبر وأعظم من الناس ، فخالقُ الشيء الكبير الجليل قادرٌ على خلق ماهو أصغر منه ، فخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس كما قال تعالى ﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾

فالذى خلق السموات والأرض قادر على أن يعيد الناس أحياءاً بعد موتهم.

وهاهى بعض أدلة قدرته سبحانه : ـ

* فمن قدرته سبحانه أنه خلق الأرض وجعلها مستوية ممهدة للخلائق كالمهاد للطفل ، فكما أن فراش الطفل ممهدٌ له ومهيىء له فالأرض كذلك للخلق .

﴿ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾

* ومن قدرته سبحانه أنه ثَبَّتَ الأرض بالجبال وربطها بها كما يربط الشيء فى الوتد.

* ومن قدرته سبحانه أنه خلق الخلق أزواجًا كما قال تعالى: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ⑧ ﴾

أى ذكرانا وإناثا كما قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ﴾ فلو كان الخلق كلهم ذكور لفسد الحال وكذلك لو كان الخلق كلهم إناث.

* وخلقهم أزواجا أيضا أى أصنافًا وأنواعًا ،فمنهم القوى ومنهم الضعيف ومنهم الغنى ومنهم الفقير ، ومنهم الطويل ومنهم القصير ، ومنهم الذكى ومنهم الغبى،ومنهم الجميل ومنهم الدميم ، ومنهم الأبيض والأسود والأحمر إلى غير ذلك كما قال تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ﴾

* ومن قدرته ورحمته بالعباد أنه سبحانه وتعالى جعل نومهم سباتا كما قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾

أى راحة لأبدانهم وسكونا وهدوءًا ، فيعود إليهم النشاط بعد التعب والإرهاق ، إذا نام أحدهم واستراح.

* ومن قدرته أنه جعل لهم الليل كاللباس كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾،أى ساترا يسترهم حتى يتحقق لهم الهدوء والسكون ، فمن أراد أن يبتعد عن الناس ويسكن فالليل له سكن، ومن أراد أن يعبد ربَّه حيث لايراه الناس فالليل يستره عن عيونهم ، ومن أراد أن يهرب من عدوه فالليل يستره .

* ومن قدرته سبحانه أنه جعل النهار معاشا للعباد كما قال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾

أى وقتًا مهيئا للمعاش فجعله مشرقًا مضيئًا منيرًا ليتمكن الناس فيه من الذهاب والمجىء للتكسب والمعاش وابتغاء الفضل من الله .

* ومن عظيم قدرته أنه سبحانه بنى فوقهم سبع سموات بناها بناءًا شديدًا محكمًا كما قال سبحانه ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾

وكما قال تعالى ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴾

لاتشققات فيها ولاتصدعات ولافروج وبلا أعمدة .

فالبشر إذا أرادوا بناء سقف لابد له عندهم من أعمدة يقام عليها أو جدران ثم بعد مدة من الزمن تعتريه التشققات والتصدعات ، وأيضا لايستطيعون إقامة سقوف إلا باتساع محدود بالأمتار ولايكاد يزيد ، أما السموات فى اتساعها وارتفاعها وتماسكها وحسنها وبهائها وزينتها كل ذلك يدل على قدرته سبحانه على إعادة الخلق.

* ومن دلائل قدرته سبحانه أنه أنزل من المعصرات التى هى السُّحب ماءً ثجاجًا كما قال ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴾ أى منصبًا متتابعًا ، وهو ماء المطر أنزله إلى الأرض فقبلته الأرض ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا ﴾ فأخرج الله به الحَبَّ ، وهو مايأكله الناس كالأرز والقمح والشعير ﴿ وَنَبَاتًا ﴾ وأنبت الله به النبات،وهو ماتأكله الدواب من الكلأ والعشب والحشيش والتبن وسائر ماتأكله البهائم ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴾ وظهرت البساتين والحدائق ذات الأشجار الملتفة المجتمعة . أليس الذى فعل هذا كله بقادر على أن يحيى الموتى ؟!!!

بلى إنه على كل شىء قدير .

﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ ﴾ وهو يوم القيامة ، ذلك اليوم الذى يُفصل فيه بين العباد ، أى يُحكم فيه بينهم ، ويُميز فيه بين المؤمن والكافر ، ويؤخذ فيه للمظلوم من الظالم ﴿ كَانَ مِيقَاتًا ﴾ أى موعدا موقتا بأجل معدود لايزاد عليه ولاينقص ، وميقات أيضا ـ أى مكان ـ تجتمع فيه كل الخلائق.

﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ فى هذا اليوم يوم الفصل تحدث أمور عظيمة هائلة ينفخ الملك وهو(إسرافيل) فى الصور ـ والصور قرن يُنفخ فيه ـ فيخرج الناس من القبور إلى الحساب ﴿أَفْوَاجًا﴾ أى جماعات جماعات أما عند الحساب فكلٌ يأتى ربَّه وحيدا كما قال تعالى ﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾

* أما السماء التى كانت متماسكة شديدة التماسك لافطور فيها ولاثقوب ولا فتحات ولاتصدعات كما وصفها الله ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ وكما قال تعالى: ﴿ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ وكما قال تعالى ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴾

هذه السماء ترى ماذا حدث لها ؟! ﴿ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴾

إنها قد تشققت وانفطرت وأصبحت ﴿ أَبْوَابًا ﴾ أى طُرقاً ومسالك

تنزل منها الملائكة، كما قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنزِيلاً ﴾

أما الجبال ﴿ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ فإنها تُزاح وتُبعد عن أماكنها وتسيَّر ولايبقى إلا مكانها فينظر الناظر إليها فيراها كأنها قائمة وليس هناك فى الحقيقة شىء قائم،كما قال تعالى ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ وكما قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً ﴾

ينظر الشخص إلى أماكن الجبال فيظن أن هناك جبال وليس هناك شىء ، إنما هى كالسراب الذى يراه الشخص من بعيد يتوهمه ماءً وليس هو بشىء .

ويُخبر الله عز وجل عباده عن جهنم بقوله ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢)﴾ أى أنها تترقب أهلها وترصدهم ، فالناس يمرون عليها وهى تعرف أهلها ﴿ الطَّاغِينَ ﴾ الطغاة الذين تجاوزوا الحد فى الظلم والعدوان وأشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ، وأنكروا البعث وكذبوا المرسلين فتحبسهم فيها وتكون لهؤلاء الطاغين ﴿ مَآبًا ﴾ أى منزلا ومرجعا ، أما من لم يكن من أهلها فإنه يمر عليها وينصرف وينجو منها .

أما أهلها الذين هم أهلها من هؤلاء الطغاة المفسدين المشركين فلا يخرجون منها أبدًا ، ولكنهم ﴿ لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) ﴾ مئات السنين

بل آلاف السنين ﴿ لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا (٢٤) ﴾

في هذه الأحقاب ليس هناك شرابٌ يُبرد أجوافهم وقلوبهم ولاهواء باردٌ يتنفسونه يرطب عليهم، ليس لهم ﴿ إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) ﴾ لايذوقون إلا الحميم وهو الشراب الذى بلغ أعلى درجات الحرارة ، وليس لهم إلا ﴿ غَسَّاقًا﴾ وهو غسالة أهل النار ومايسيل من صديدهم ، ﴿ جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦)﴾ أى جزاءًا موافقا لأعمالهم أعمال السوء التى عملوها ، فقد كان هؤلاد المفسدون كما وصفهم الله بقوله ﴿ إِنَّهُم كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) ﴾ أى لايخافون الحساب ولايتوقعونه يوما ما، ولعدم خوفهم الحساب فإنهم﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) ﴾ أى كَذَّبوا بآيات الله تكذيباً كبيراً ، وبالغوا فى التكذيب ، فكلما جاءتهم آية كذَّبوا بها وأنكروها ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) ﴾ وكل هذا التكذيب الذى كذَّبوه والإنكار الذى أنكروه ، بل وكل شىء عملوه ، وكل قول قالوه قد جمعناه وأحصيناه وعددناه ، وكتبته ملائكتنا فى كتاب كما قال تعالى ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴾ وسنخرجه لهم يوم القيامة يقرؤنه ويطَّلعون عليه وينظروا إلى ماقدَّموه وفعلوه ومااقترفوه واجترحوه ، كما قال سبحانه: الإسراء ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤) ﴾

وكما قال تعالى: ﴿ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾ وكما قال تعالى :﴿ إِنَّا

كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ وكما قال سبحانه: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾

وماذا بعد هـذه السنين الطويلة؟ ! ماذا بعد مئـات السنين ؟ ! ماذا بعد آلاف السنين ؟ ! ماذا بعـد هذه الأحقاب ؟ ! هل هناك راحة ؟ هل هناك موت ؟

كلا، لا راحة ولاموت، بل ﴿ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا (٣٠) ﴾

فذوقـوا أيهـا الكافرون فليس هناك إلا زيادة فى الـعذاب و﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾

وكما قال تعالى ﴿ مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾

وكما قـال تعالى ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾

أما المتقون الذين جعلوا بينهم وبين النار وعذاب الله وقايةً بطاعتهم لله وبعـدهم عن المحـرمـات، الـذين جـعلوا بينهم وبـين النار وقـاية بتصديقهم الرسل وإيمانهم بالبعث، الذين جعلوا بينهم وبين النار وقاية بتوحيـدهم لله وتركهم الشرك ، فإن سألت عن حـالهم وما أعد لهم فهاهى حالهم :

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) ﴾ لهم فوز بالمطلوب وهو الجنة ورضوان

الله عليهم . فاز هؤلاء المتقون بـ ﴿ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا كِذَّابًا (٣٥) ﴾

ينعم هؤلاد المتقون بـ ﴿ حَدَائِقَ ﴾ وهى البساتين التى أحدقت بها الأشجار أى أحاطت بها من كل جانب ، لهم أيضا ﴿ أَعْنَابًا ﴾ أشجار العنب ، يتمتع هؤلاء المتقون فى الجنان بـ ﴿ كَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴾ أما الكواعب فهن فتيات أبكار لم تتدل أثديتهن، فالثدى باق على حاله النضرة المتماسكة لكونهن أبكار ، وهؤلاء الكواعب﴿ أَتْرَابًا ﴾ أى فى سنٍ واحدةٍ ، وهن متآخيات متصافيات لايحملن لبعضهن غِلاً ولا حِقْدًا ولاحسدا ولاضغينةً ، يشربون فى الجنان﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾ كأس الخمر الصافية الممتلئة،لاتسبب لهم هذه الخمر ذهاب العقل ولايصدر منهم عند شربها سباب ولالغو ولاشتم ولاتكذيب من بعضهم لبعض، قال تعالى﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا كِذَّابًا ﴾ كما قال تعالى : ﴿ لا لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ ﴾

هذا النعيم الذى أنعم الله به عليهم ﴿ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا (٣٦) ﴾ جزاء لأعمالهم الصالحة التى عملوها فى الدنيا وعطاء كافيًا

مقابل هذه الأعمال بل زائدا عليها،هذا الجزاء جزاء من ربك لا من أحدٍ سواه،وكيف بالجزاء وكيف بالعطاء إذا كان من الله سبحانه وتعالى على الأعمال الصالحة ، إنه عطاء مافوقه عطاء ،إنه عطاء وجزاء من ﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٧) ﴾

كيف إذا كان هذا العطاء من رب السموات والأرض ومابينها الرحمن؟!

﴿ **الرَّحْمَنِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا** ﴾ أى لايقدر أحدٌ على مخاطبة الله عز وجل يوم القيامة إلا إذا أذن الله له بذلك ﴿ **يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ** ﴾ ولايملك أحد أن يسأله شيئًا إلا إذا أذن له فى السؤال كما قال تعالى : ﴿ **مَن ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ** ﴾

أما الضمير فى قوله تعالى ﴿ **لا يَمْلِكُونَ** ﴾ فقد قال بعض العلماء إنه راجع إلى المشركين، ومنهم من قال إنه راجع إلى المؤمنين لعلمهم أن الله عدلٌ لايجور فلا يُترك شىء لهم يتكلمون فيه والصواب فى ذلك أنه عام، فأهل السموات والأرض جميعهم لايملكون منه خطاباً.

فى هذا اليوم ﴿ **يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨)** ﴾

يقوم الروح الذى هو جبريل والملائكة معه فَيُصَفُّون صفوفاً صفوفاً كما قال تعالى ﴿ **وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا** ﴾

فَيُصَفُّون على حسب مراتبهم ومنازلهم ودرجاتهم كما فى قولهم ﴿ **وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ (١٦٤) وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ** ﴾

وكما قال النبى ﷺ « **ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها** »(١)

كل هؤلاء يقومون لايتكلمون، إلا من أذِنَ الله له بالكلام، وإذا تكلَّم

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٤٣٠) من حديث جابر بن سمرة رضى الله عنه مرفوعا .

تكلَّم بالحق . ومن العلماء من قال: إن الروح أرواح بنى آدم، وهناك أقوال أُخر فى تفسير الروح .

﴿ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ ﴿٣٩﴾ ﴾ ذلك هو اليوم الحقيقى الذى يستحق أن يقال له يوم ، ففيه تبلى السرائر وتنكشف الضمائر ويبعثر مافى القبور ويُحَصَّل مافى الصدور ، ويظهر فيه كل حق وينتصر ، ويزهق فيه كل باطل ويُخذل ، ذلك اليوم سيتحقق ويقع وسيكون.

﴿ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴿٣٩﴾ ﴾ فمن شاء عمل أعمالا صالحة يلقى بها ربه سبحانه وتعالى وتدخَّر له عند الله حتى يرى ثوابها فى هذا اليوم ويُكرم بجزائها. ﴿ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ﴾ إنا قد حذَّرناكم من عذاب يوم القيامة وهو قريب وقد قال تعالى: ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾

وقال تعالى: ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾

وقال تعالى : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ ﴾

فليعمل العاملون لهذا اليوم القريب، ﴿ يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴾

يبحث المرء يوم القيامة عن أعمالٍ صالحةٍ عملها يتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى ، يرى المرء أعماله من خيرٍ أو شر بين يديه ، وحينئذ يحصل الافتراق والتمييز ، فالمؤمن يحمد الله ويقول ﴿ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾

فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾

نسأل الله أن يجعلنا أهل إيمان ويورثنا أعالى الجنان

أما الكافر فيقول ﴿ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴾ ،ويقول ﴿ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾

*****

﴿ معانى مفردات السورة الكريمة ﴾

الكلمة	معناها
عَمَّ	عن أى شىء .
يَتَسَاءَلُونَ	يسأل بعضهم بعضا .
النَّبَأ	الخبر .
مِهَادًا	ممهدة مستوية .
أَوْتَادًا	جمع وتد وهو ما يُدق فى الأرض .
سُبَاتًا	راحةً وسكوناً .
سِرَاجًا وَهَّاجًا	شمساً مضيئة منيرة .
الْمُعْصِرَاتِ	السُّحب .
ثَجَّاجًا	منصباً كثيراً متتابعاً .
جَنَّات	حدائق وبساتين .
أَلْفَافًا	ملتفة .
مِيقَاتًا	موعداً ومكانًا للاجتماع .
أَفْوَاجًا	جماعات جماعات .
سَرَابًا	كالسراب، ليس بشىء .
مِرْصَادًا	تنتظر أهلها وتترقبهم .
لِلطَّاغِينَ	الذين طغوا وتجاوزوا الحد .
مَآبًا	مرجعاً ومنزلاً .
لابِثِينَ	ماكثين .
أَحْقَابًا	أزمنة طويلة جداً .
بَرْدًا	شيئاً يُبرد الجوف .

الكلمة	معناها
حَميمًا	شراباً حاراً جداً .
غَسَّاقًا	صديد أهل النار .
وِفَاقًا	موافقًا لأعمالهم .
لا يَرْجُونَ	لايخافون ـ لايتوقعون .
كِذَّابًا	تكذيباً كبيراً .
مَفَازًا	فوزاً بالجنة .
كَوَاعِبَ	أبكار لم يتدلى ثديهن .
أَتْرَابًا	فى سنٍ واحدة .
دِهَاقًا	ممتلئة صافية .
لَغْوًا	كلاماً لا فائدة فيه .
كِذَّابًا	تكذيباً من بعضهم لبعض .
حِسَابًا	كافياً وزائداً على أعمالهم .
خِطَابًا	كلاماً .
صَوَابًا	حقاً .
مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ	ماعمل من خير أو شر .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩) يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١٠) أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٢) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ (١٤) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (١٧) فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ (١٩) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ (٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَىٰ (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ (٢٥) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ (٢٦) أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٣) فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ (٣٥) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ (٣٦) فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٤١) يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا (٤٤) إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن

يَخْشَاهَا (٤٥) كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (٤٦)

* * *

يقول الله سبحانه ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥) ﴾

* الواو فى قوله ﴿ وَالنَّازِعَاتِ ﴾، ﴿وَالنَّاشِطَاتِ ﴾، ﴿وَالسَّابِحَاتِ﴾ كلها واو القسم، كالواو فى قول القائل (والله)، فيقسم الله سبحانه وتعالى بالنازعات و الناشطات والسابحات، والله سبحانه وتعالى يقسم بما شاء من مخلوقاته، ويقسم سبحانه بعظيم مخلوقاته، فالله يقسم بالسماء ويقسم بالأرض ويقسم بالشمس وبالقمر وبالنجم ، ويقسم بالبلد الأمين ..... ولكن لايجوز لأحد من الناس أن يُقْسم إلا بالله ، وذلك لقول النبى ﷺ « **من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت** »، ولقوله عليه الصلاة والسلام « **من حلف بغير الله فقد أشرك** » . فيقسم الله بالنازعات، يقول الله سبحانه ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴾

فالنازعات ملائكة تنزع أرواح الكافرين، تنزعها نزعاً شديداً عنيفاً، تجذبها من جسم الكافر بشدة وبعنف، وتبالغ فى النزع (أى الجذب) وتستغرق فيه، وهو قوله ﴿ غَرْقًا ﴾ أى مستغرقةً فى النزع، وذلك لأن الكافر إذا سمع ماأعدَّه الله له من العذاب تفرقت روحه فى جسده كما روى الإمام أحمد رحمه الله [١] وغيره بإسناد صحيح عن البراء بن

---

(١) أخرجه أحمد (المسند ٤/ ٢٨٧، ٢٩٥، ٢٩٦) وأبو داود (٤٧٥٣) والطيالسى (٧٥٣) والحاكم (١/ ٣٧ ـ ٤٠)

عازب رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ : «. . . . وإن العبد الكافر إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مدَّ البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة اخرجى إلى سخط من الله وغضب قال فتفرق فى جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول».

* أما قوله تعالى: ﴿ وَالنَّاشِطَاتِ ﴾ فالناشطات ملائكة مختصة بنزع أرواح المؤمنين تقوم بتنشيط أرواح المؤمنين، حتى تخرجها من الجسم بسهولةٍ ويسرٍ ورفقٍ ولينٍ، فترى روح المؤمن ماأعده الله لها من الكرامة والثواب والحبرة والسرور، ترى الاستقبال الحافل من الملائكة الذين يتنزلون عليهم عند موتهم قائلين: ﴿ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾

ترى ذلك كله فتخرج الروح من الجسد تسيل كما تسيل القطرة من فِىِّ السقاء كما فى حديث البراء بن عازب الذى أشرنا إليه قريبا ففيه أن النبى ﷺ قال: «إن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مدَّ البصر ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس

عند رأسه فيقول أيتها النفس المطمئنة اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج تسيلُ كما تسيلُ القطرة من فىِّ السقاء . . . الحديث»

* ويُقسم الله أيضا بالسابحات، وهى على أرجح الأقوال ملائكة تسبح عند نزولها من السماء إلى الأرض، والنجوم أيضا تسبح فى أفلاكها فى السماء والسفن أيضا سابحات .

* أما السابقات فهى الملائكة التى تسرع وتتسابق فى امتثال أوامر الله وتبليغ ماكُلِّفَتْ به، فإذا كَلَّفَها الله بوحيٍ إلى الأنبياء أسرعت فى تبليغه إليهم وسبقت الشياطين، وإذا عمل العبد عملا صالحا سارعت بتبليغه وكتابته كما قال الرسول ﷺ عندما قال الصحابى : « **ربنا لك الحمد حمداً كثيراً طيبًا مباركًا فيه ـ لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أول** »(١)

والسابقات أيضا الخيل التى تسبق غيرها إلى الجهاد ،والسابقات أيضا الأرواح تسبق والأجساد إما إلى الجنة وإما إلى النار ، فأرواح المؤمنين تسبق أجسادهم إلى الجنة كما قال النبى ﷺ: «**إنَّ نسمة المؤمن طائر تعلَّق فى شجر الجنة حتي يرجعها الله إلى جسده يوم القيامة** » (٢).

* أما المدبرات أمرًا فهى الملائكة التى تدبر أمور الخلائق بإذن ربها

(١) البخارى (٢/ ٢٨٤).

(٢) صحيح: أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب»(٣٧٦)وأحمد (٣/ ٤٥٥، ٤٥٦) والطبراني في« الكبير»(١٩/ ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦) وابن ماجة(٤٢٧١) وأحمد أيضا (٦/ ٣٨٦) ، وبعض طرقه مرسلة ، وبعضها متصلة وهو صحيح.

من السماء إلى الأرض .

* وإذا سأل سائل فقال على أى شيىء أقسم ربنا عز وجل بالنازعات والناشطات والسابحات ؟

فالجواب أن الله أقسم على أن البعث آت وأن القلوب ـ خاصة قلوب الكفار ـ ستكون يوم القيامة واجفة، وهذا يوم القيامة ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴾

أى عند النفخة الأولى فى الصور: ﴿ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴾ أى النفخة الثانية فالمعنى والنازعات لتبعثن يوم القيامة، ولتكونن القلوب واجفة كما قال تعالى ﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴾ أى خائفة مضطربة.

﴿ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴾ أى ذليلة مضطربة، والمراد أبصار أصحاب هذه القلوب ، كان هؤلاء الكفار أصحاب هذه القلوب المضطربة والأبصار الخاشعة ينكرون البعث و: ﴿ يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴾أى هل نرد إلى أول حالنا وابتداء أمرنا فنرجع أحياءً كما كنا قبل الموت ؟!

يقولون أنرجع إلى الأرض التى حفرت فيها قبورنا ؟!.

* كانوا ينكرون البعث ويتعجبون من المرسلين عند إخبارهم بذلك فيقولون: ﴿ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ ؟!

يقولون ﴿ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ ﴾

ويستطردون فى التعجب ويستمرون فيه فيقولون ﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً ﴾

أنرجع أحياءًا بعد مماتنا وتحولنا إلى عظام بالية متفتتة ؟!!!! إذا كان هناك رجعة ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ فهى إذن رجعة خاسرة !أى أنهم سيخسرون فيها ولكنهم يقولون هذا على سبيل التهكم والسخرية ممن يخبرهم بذلك فبعضهم يتهكم ، وبعضهم يفترى الكذب ويقول ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾

ويقول: ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾

هكذا يقولون!!

* ولكن أمر البعث ليس بشاق علينا ولاعسير، ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ أى نفخة واحدة وصيحة واحدة كما قال تعالى ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾

﴿ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾ فإذا هم على وجه الأرض أحياءًا بعد مماتهم كما قال تعالى ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴾

ثم يُذَكِّر اللهُ سبحانه وتعالى نبيه بقصة موسى ﷺ مع فرعون الطاغى تسليةً لرسول الله ﷺ وإذهابا للهموم عنه وتصبيرا له وتثبيتا فيصبر كما صبر موسى كما قال تعالى ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾

فيقول سبحانه :

* ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴾ أى هل بلغك ووصل إلى علمك الذى حدث لموسى ﷺ ﴿ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾

لما ناداه الله عز وجل وكلّمه عند الوادى المقدس أى المطهر المبارك

﴿طُوًى﴾ مرتين أى أن الوادى قدس مرتين،أى بورك فيه وطُهِّر مرتين هذا الوادى بجانب الطور طور سيناء ، إن الله عز وجل أمره أن يذهب إلى هذا الظالم الطاغى فرعـون الذى كان يحكم مصر ويظلـم العباد ، ذلكم الطاغى الذى تجاوز الحد فى الظلم والعدوان ، فكان يذبح الأبناء ويستـحى النساء لإذلال آبائهن وأزواجـهن ولاستخـدامهن وامتـهانهن وللاستـمتاع بهن ، بل كان يـفعل أكثر من ذلك ، كـان يقول : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ ﴾

وكان يقول ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِى ﴾

كان يدَّعى أنه إله !! كان يدَّعى أنه الرب الأعلى !!

أمر الله نبـيه موسى ﷺ أن يذهب إلى هذا الطاغـى يُذكِّره بأنه ليس رباً وليس إلهًا بل عبد من عباد الله ، فعليه أن يتقى الله ولايظلم العباد

قال الله لموسى ﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ أى تجاوز الحـد فى الظلم والعدوان.

﴿ قُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴾

هل لك رغـبة فى أن تتطهـر من الشرك والذنوب والمعـاصى وتُسلم وتصلح عملك ؟!

﴿ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾ هل لك رغـبة فى أن أرشـدك إلى عبـادة ربك وتوحيـده ؟!هل لك رغبـة فى أن أدلَّك على الطريق الذى يقربك إلى الله فتـصبح من العلماء الذين يخشـون ربَّهم ؟!!! فإنما أنا

رسول الله أدل الناس على الطريق الذى يقربهم إلى الله ، أَبَى فرعون ورفض وطلب الدليل من موسى على أنه رسول من عند الله .

﴿ فَأَرَاهُ الآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴾ فحينئذ رأى فرعون الآية الكبرى والدلالة العظمى على صدق رسالة موسى عليه السلام !

ماذا رأى فرعون وعلى أى شيء اطَّلع ؟؟ وماهى تلك الآية الكبرى؟

ألقى موسى عليه السلام عصاه فإذا هى حية تسعى، إذا بالعصا تتحول إلى ثعبان ضخم عظيم،عظيم جدا وهائل ومرعب يتحرك ويجرى هنا وهناك، وأدخل موسى يده فى جيبه ثم أخرجها فإذا بيده تتحول إلى يدٍ بيضاء شديدة البياض من غير مرض،وذلك بقدرة الله سبحانه وتعالى،فهذه وتلك هى الآية الكبرى(عصا تتحول إلى ثعبان مبين !! يدٌ تخرج من الجيب من غير سوء بيضاء للناظرين)، وكان لموسى معجزات أُخَر وآيات أُخَر كما قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾

أعظمها (العصا واليد)، لكن هل ترى أن فرعون انتفع بهذه المعجزة ، واعتقد أن موسى رسول من عند الله،كلا، إنه لم يعتبر ولم يتعظ ولم ينتفع!!

فالمعجزات لاتنفع إلا أهل الإيمان،والهدى هدى الله سبحانه وتعالى إن فرعون ﴿كَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴾ كذَّب موسى ووصفه بأنه ساحر عليم.

﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴾ انصرف فرعون هاربا،وانطلق يفسد فى الأرض ويعمل بالشر والفساد وأعرض عن المعجزات والآيات.

﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴾ أى جمع قومه وجنده ونادى فيهم وأكد لهم دعواه الباطلة.

﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ ﴾

هكذا يدَّعى هذا المفترى ﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَىٰ ﴾ فأهلكه الله وانتقم منه وعاقبه عقوبة عظيمة، عقوبةً تمنع من سمع بها من ارتكاب مثل هذا الذنب، وفضحه الله عز وجل وشهَّر به، عاقبه الله على كلمته الأولى ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ وعلى كلمته الأخيرة ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ ﴾

عاقبه الله فى الدنيا وأغرقه وجعله نكالاً ، وكذلك يعذِّب فى الآخرة كما قال تعالى: ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾ ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾ أى فى هذا الانتقام من هذا الظالم ومن معه عظةٌ يتَّعظ بها وزاجرٌ ينزجر به عن معصية الله من فى قلبه خشية لله سبحانه وخوف منه ، ثم يقول الله عز وجل لبنى آدم وخاصة لهؤلاء الذين ينكرون البعث والحساب.

هل خلقكم وبعثكم أحياءً بعد موتكم أشد أم خلق السماء؟. ﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴾

فلا شك أن خلق السماء أشد وأعظم من خلق الناس، كما قال تعالى: ﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾

فالله سبحانه الذى بنى السماء و﴿ رَفَعَ سَمْكَهَا ﴾ أى سقفها وبنيانها

بغير عمد ﴿ فَسَوَّاهَا ﴾ أى خلقهـا خلقا مسـتوياً لاتفاوت فيـها ولا شقوق ولا ثقوب.

﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أى أظلم ليلها، أى جعل ليـلها مظلماً وذلك كى تسكنوا فيه وتستريحوا من التعب والإرهاق. ﴿ وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴾ أى نوَّرها وأخرج ضياءها وجعل نهارها واضحا ظاهراً يظهر الأشياء.

﴿ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾

قد يرد هنا سؤال وهو أيهما خلق أولاً الأرض أم السماء ؟!

فالإجابة باختـصار فيما ذكـره بعض العلماء ـ أن الله خلق الأرض وقدَّر فيهـا أقواتها ولم يَدْحها وذلك قبل خلق السـماء ثم استوى إلى السماء فسوَّاهن سبع سموات ثـم دحا الأرض بعد ذلك ، فأخرج فيها ماءها ومرعاها وأرسـى فيها الجبال، فالأرض خلقت قـبل خلق السماء ثم خلقت السماء ثم دُحيت الأرض بعد خلق السماء.

وقوله ﴿ دَحَاهَا ﴾ معناه بسطها وجعلها صالحة للإنبات.

﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾ فالمرعى هو ما ترعاه الأنعام، وهو أيضاً النبات الذى يأكله الناس.

وقوله ﴿ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴾ أى أرسـاها فى الأرض وثَبَّت الأرض بها كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ ﴾ كل هذا خلقه الله : ﴿ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ ﴾

تلك الأنعام التى يعود نفعـها إليكم أيضاً، أليس الذى صنع كل هذا بقادرٍ على أن يحيى الموتى يوم القيامة ؟!!.

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴾

فإذا جآءت النفخة الثانية وجاء يوم القيامة ،فتلك الطامة الكبرى التى تطم (أى تغطى) على كل هولٍ قبلها،فهى داهية تغطى على جميع الدواهى.

﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴾ يوم مجىء الطآمة يتذكر الإنسان ما عمل من خير أو شرٍ فى دنياه .

﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴾ أى ظهرت الجحيم كى يراها الخلق أجمعون، وخاصة أهل الكفر كما قال تعالى: ﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾

وكما قال تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾

وكما قال : ﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴾ أى تجاوز الحد فى الكفر والمعاصى وظلم العباد .

﴿ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ أى وفَضَّل الحياة على الآخرة وعمل للدنيا فقط وترك العمل للآخرة .

﴿ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ أى هى مأواه الذى يأوى إليه وينزل فيه ويُقيم.

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ وأما من كان فى

الدنيا يراقب الله ويعلم أن ربه يراه وأنه سيقف بين يديه يوم القيامة للعرض والحساب وسيُسأل عن أعماله وأقواله و . . ، من علم ذلك كله وعمل لهذا اليوم حساباً وأعدَّ له عدة من التقوى والأعمال الصالحة والكلم الطيب، ونهى نفسه عن غيِّها وهواها.

﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ مأواه الذى ينزل فيه، ويأوى إليه.

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾ كان الناس يسألون رسول الله ﷺ القيامة ﴿ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾ أى متى هى؟فكان رسول الله ﷺ يسأل ربه عن الساعة فأنزل الله عز وجل عليه

﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴾

أى لِمَ أنت مكثر من السؤال عن الساعة.

﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴾ [النازعات: ٤٤]

فعلمها عند الله لا يعلم وقتها إلا هو .

* ومن العلماء من قال قولاً وهو﴿ فِيمَ ﴾ أى فيم هذا السؤال الذى يسألون لماذا يسألونه.

﴿ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴾ يعنى أنت من أشراطها يا محمد ،يعنى بعثتك دليل على اقترابها.

﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ﴾ أى ما أنت إلا نذير تنذر وتحذر من الساعة فينتفع بإنذارك الذين آمنوا وهم الذين يخافون الآخرة ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ أى كأن هؤلاء

الكفار إذا قامت القيامة ما عاشوا فى الدنيا ﴿ إِلاَّ عَشِيَّةً ﴾ ما بين الظهر إلى المغرب، ﴿ أَوْ ضُحَاهَا ﴾ أى ضحى تلك العشية أى لم يلبثوا فى الدنيا إلا بقدر وقت الضحى، فهم يظنون أنهم ما عاشوا إلا ساعات معدودة فى هذه الحياة الدنيا، كما قال تعالى: ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴾، وكما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴾.

*****

﴿ معانى مفردات السورة الكريمة ﴾

الكلمة	معناها
النَّازِعَاتِ	ملائكة ينزعون روح الكافر
غَرْقًا	مستغرقة فى النزع أى أنها تنزع بشدة
النَّاشِطَاتِ	ملائكة تنشط روح المؤمن لتخرجها برفق
السَّابِحَاتِ	ملائكة تسبح بين السماء والأرض.
السَّابِقَاتِ	ملائكة تسبق بالوحى من الله إلى رسله.
الْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا	ملائكة تدبر الأمور .
الرَّاجِفَةُ	النفخة الأولى
الرَّادِفَةُ	النفخة الثانية
وَاجِفَةٌ	خائفة مضطربة
خَاشِعَةٌ	ذليلة حقيرة
الْحَافِرَةِ	الحياة قبل الموت
نَّخِرَةً	متفتتة بالية
كَرَّةٌ	رجعة
زَجْرَةٌ	نفخة وصيحة
السَّاهِرَةِ	وجه الأرض
الْمُقَدَّسِ	المبارك المطهر
طُوًى	مرتين (يعنى أنه قدس مرتين)اسم للوادى ـ مطوى كطى البئر المبطنة بالأحجار.
طَغَىٰ	تجاوز الحد فى الظلم
تَزَكَّىٰ	تتطهر من الكفر والمعاصى

الكلمة	معناها
أَهْدِيَكَ	أدلك(على عبادة ربك)
حَشَرَ	جمع
أَخَذَهُ اللَّهُ	عاقبه الله ـ أهلكه الله.
نَكَالَ	النكال العقوبة الشديدة التى تمنع من سمع بها من ارتكاب مثل هذا الذنب.
عِبْرَةً	عظة وزاجراً
سَمْكَهَا	سقفها ـ بنيانها
أَغْطَشَ لَيْلَهَا	جعل ليلها مظلماً
أَخْرَجَ ضُحَاهَا	أظهر ضوءها
دَحَاهَا	بسطها ـ أصلحها للإنبات وأخرج منها الماء والمرعى
مَرْعَاهَا	النبات الذى ترعاه الأنعام
أَرْسَاهَا	ثبتها فى الأرض
مَتَاعًا	منفعة
الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ	يوم القيامة
سَعَىٰ	عَمِلَ
بُرِّزَت	ظهرت
آثَرَ	فضَّل ـ قدَّم
الْمَأْوَىٰ	المنزل الذى يأوى إليه
مُرْسَاهَا	قيامها
مُنتَهَاهَا	منتهى علمها
عَشِيَّةً	من الظهر إلى المغرب



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ أَن جَاءَهُ الأَعْمَىٰ ﴾

يُخبر الله عـز وجل عن نبيه ﷺ أنه ﴿ عَبَسَ ﴾ أى قبض وجهه وتضايق وظهر عليه أثر الضيق والكراهية، ﴿ وَتَوَلَّىٰ ﴾ وأعرض بوجهه لما جآءه عبـدالله ابن أم مكتوم، وهو رجل أعمى، كـان قد أسلم وجاء يسأل عن دينه وكـان النبى ﷺ منشغلاً بدعوة رجل كـافر من عظماء قـريش إلى الاسـلام، قـيل إن هذا الرجل الكـافـر هو أُبى بن خلف فأعرض النبى ﷺ عن عبدالله بن أم مكتوم وتضايق من أسئلته، وأقبل على هذا الرجل القرشي طمـعاً فى إسلامه فعـاتب الله نبيه فى ذلك وأنزل عليه ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ أَن جَاءَهُ الأَعْمَىٰ ﴾

قالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها: أُنزل ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ فى ابن أم مكتوم الأعـمى أتى رسول الله ﷺ فجعل يقـول يا رسول الله أرشدنى، وعند رسـول الله ﷺ رجل من عظماء قريش فجـعل رسول الله يُعـرض عنه ويُقـبل على الآخـر ويقول: أترى بمـا أقول بأسـاً ؟ فيقول: لا ففى هذا أُنزل[1] .

هذا وقد ذكـر بعض أهل العلم أن الرسول ﷺ كان يكرم عـبدالله بن أم مكتوم ويرحب به بعد نزول هذه الآيات .

---

(١) أخرجه الترمذى (حديث ٣٣٣١) والطبرى عند تفسير الآية الكريمة ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴾

والحاصل أن الله عـز وجل عاتب نبـيه ﷺ لما أعـرض عن السائل الأعمى الذى جاء يسأل عن دينه وأقبل على القرشي المستكبر المستغنى بما آتاه الله من مال وولد وجاه عن الدخـول فى الإسلام، فقال الله له ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴾ أى وما يُعلمك يا محمد لعل هذا الأعمى ﴿ يَزَّكَّىٰ ﴾ أى يتطهر من ذنوبه ومعاصيه ويزداد تقوى وإيمان.

﴿ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ﴾

أى يسمع منك موعظة فينتـفع بهذه الموعظة وتنال أنت أجر تذكرته وهدايته، فالدال على الخـير له مثل أجـر فاعله ، ثم يعاتب الله نبـيه عتاباً لطيفاً فيقول له: ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ﴾

بما آتاه الله من مال وجاه وولد :﴿ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ﴾ تُقبل عليه وتُصغى إليه وتتعرض له رجاء أن يُسلم .

﴿ وَمَـا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّىٰ ﴾ أى ولن يلحقك إثم من عـدم إسلامهم وعدم تطهرهم من ذنوبهم ،فإنما أنت منذر ولست عليهم بمسيطر ،وما عليك إلا البلاغ.

﴿ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴾ وأما من اجتهد فى سبيل الوصول إليك ﴿ وَهُوَ يَخْـشَىٰ ﴾ وهو خائف وجلٌ من اللـه سبحـانه وتعالى ومن عقابه.

﴿ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴾ أى تتشاغل عنه وتغافل ؟!!

﴿ كَلاَّ ﴾ أى ليس هذا هو التصرف الصحيح اللائق، بل ينبغى أن

يكرم أهل الإيمان : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

فلا يجوز أن يُطرد أهل الإيمان ﴿ وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾

قال سعد بن أبى وقاص[1] رضى الله عنه : كنا مع النبى ﷺ ستة نفرٍ فقال المشركون للنبى ﷺ (اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا) قال: وكنت أنا وابن مسعودٍ ورجل من هُذيل ورجلان لست أُسميهما فوقع فى نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾

* فينبغى أن يصبر الشخص نفسه مع أهل الإيمان ويُكثر من مجالستهم كما قال تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾

* وقد طلب قوم نوحٍ من نوحٍ عليه السلام أن يطرد الضعفاء المؤمنين به فأبى ذلك وامتنع ﷺ، قال قوم نوح : ﴿ أَنُؤْمِنُ لَكَ

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه (٢٤١٣) .

وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ (١١١) قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٢) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (١١٣) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٤) إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾

وقال أيضاً: ﴿ وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٩) وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾

فلا ينبغى أن يُطرد أهل الإيمان وإن كانوا فقراء، ولا ينبغى أن يصرف النظر عنهم وإن كانوا ضعفاء، إنما يستقبلون بالبشاشة والترحاب والإكرام والتقدير والحفاوة لإيمانهم بالله وامتثالهم أوامره واتباعهم رسله .

فالفقراء هم أغلب أتباع الرسل ،وقد سأل هرقل أبا سفيان عن أصحاب رسول الله ﷺ وعن أتباعه فقال (**فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم**) قال أبو سفيان بل ضعفاؤهم، فقال له هرقل وهم أتباع الرسل[١] .

* ويغضب الله سبحانه وتعالى لغضبهم ففى صحيح مسلم[٢] من حديث عائذ بن عمرو أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال فى نفرٍ فقالوا ،والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها، قال: فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم، فأتى

(١) انظر الحديث بذلك عند البخارى (حديث ٧) ومسلم (حديث ١٧٧٣) .
(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٥٠٤).

النبي ﷺ فأخبره فقال: يا أبا بكر لعلك أغضبتهم، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك، فأتاهم أبو بكر فقال يا أخوتاه أغضبتكم ؟ قالوا يغفر الله لك يا أخي.

﴿ كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾ ﴿ كَلاَّ ﴾ كلمة ردع وزجر، والمراد بها هنا بيان أن الأمر ليس كما ظننت وكما فعلت يا محمد من الإقبال على الكافر المستغنى والإلحاح عليه والإعراض عن الفقير الضعيف الذى جآء يسعى وهو يخشى .

﴿ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾ أى هذه السورة والموعظة التى وعظناك بها فى معاملة من جاء يسعى وهو يخشى وفى معاملة المستغنى ﴿ تَذْكِرَةٌ ﴾ فلتتذكرها ولتعمل بها ولتبذل العلم للشريف والوضيع والغنى والفقير.

﴿ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴾ أى ذكر ربه وذكر هذا القرآن بما فيه من مواعظ.

﴿ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ﴾ أى أن هذا القرآن مثبت فى اللوح المحفوظ.

﴿ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ﴾ هذه الصحف التى أثبت فيها هذا القرآن بما فيه من مواعظ مرفوعة فى مكانها وقدرها مطهرة من الدنس ومن الزيادة والنقصان ومن الباطل والزور.

﴿ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴾ فهى موضوعة فى أيد أمينة أيدى ملائكة:

﴿ سَفَرَةٍ ﴾ أى سفراء بين الله عز وجل وبين رسله .

﴿ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ أى أن هؤلاء السفرة كرام ﴿ بَرَرَةٍ ﴾ مطيعون لله عز وجل ،فالمعنى إن هذه السورة بما فيها من تذكرة سواء ذكرها البشر أم لم يذكروها ،وسواء عملوا بها أم لم يعملوا فهى فى أيدى خلقٍ مطيعين لله عز وجل كرام على الله سبحانه وتعالى يتلونها ويرتلونها، وهم الملائكة، فمن قرأها وعمل بها فهو مع هؤلاء السفرة الكرام البررة كما قال رسول الله ﷺ « الماهرُ بالقُرآن مع السَّفَرةِ الكِرَام البررة »[1].

وبعد هذا البيان، وبعد هذه التذكرة، تُصبُّ اللعنات على هذا الإنسان الكافر الجاحد المنكر للبعث . فيقول الله سبحانه

﴿ قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ لُعن هذا الإنسان الجاحد الكافر ما أشد كفره وجحوده وإنكاره، ما الذى حمله على الكفر وجرَّه إليه .

﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾ أيدرى هذا الإنسان من أى شيء خلقه الله حتى يستكبر هذا الاستكبار ،فلو علم من أى شىء خلق وتذكر من أى شىء خُلق ما استكبر هذا الاستكبار فـ ﴿ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴾ إنه قد خُلق من نطفةٍ من قطرات المنى التى يقذفها الرجل ويتقذرها ،خلقه الله من هذه النطفة ﴿ فَقَدَّرَهُ ﴾ جعله علقة ثم مضغة ثم عظاماً ثم كسى العظام لحما كما قال تعالى :﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا

(١) أخرجه مسلم (حديث ٧٩٨) من حديث أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها مرفوعاً.

النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾

وقدَّره أيضاً: شقَّ سمعه وبصره وقدَّر يديه ورجليه، وقدَّر رزقه وعمره وعمله وكتب عليه الشقاوة أو السعادة ،كل هذا فعله الله بالعبد وليس للعبد فيه اختيار،وبعد هذا يكفر ويجحد ويُنكر ويستكبر؟

خلق الله هذا الخلق وقدَّره هذا التقدير وسهَّله له.

﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴾ ثم يسَّر له سبيل الخروج من بطن أمه وسهَّله عليه،ولو شاء الله لأماته عند الولادة ،وبيَّن له بعد ذلك طريق الخير وطريق الشر وأوضحهما له،ورغَّبه فى طريق الخير وحذَّره من طريق الشر كما قال تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾

وكما قال ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾

ثم بعد أن قضى العمر الذى قدَّره الله له . ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴾ أمر الله ملائكته فقبضت روح عبده كما قال تعالى ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ ﴾

فمات هذا العبد،وإكراماً من الله له بعد موته لم يجعله الله كالبهائم تُلْقَى على وجه الأرض تأكلها السباع والطيور،ولكن الله علَّم الخلق أن يقبروا هذا الميت. ﴿ فَأَقْبَرَهُ ﴾ أى جعل له قبراً يوارى جسده ويستر عورته ولا يتأذى به الناس.

﴿ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴾ أى أحياه بعد موته،وذلك يوم القيامة يوم

البعث والنشور .

* ولا يظن هذا الإنسان أنه قد أدى حق الله عليه فى نفسه وماله وشكر نِعَم الله عليه وعمل بما أوجبه الله عليه.

﴿ كَلاَّ لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴾ أى لم يقم بذلك ولم يقض ما أمره الله به ولم يؤد ما افترضه الله عليه ولم يفِ بالميثاق الذى أخذه الله عليه وهو فى صلب أبيه.

* ثم يحث الله سبحانه وتعالى على النظر والتفكر والتدبر فى الطعام الذى هيأه له ويسره وكيف هيىء وكيف تيسر هذا الطعام ؟!

قال سبحانه: ﴿ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ ﴾

﴿ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴾ أنزلنا الغيث من السماء كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾

نزل الماء على الأرض وشق الله الأرض شقاً فقبلت الماء ودخل فيها وشق الله الأرض لخروج النبات منها ،فأنبت الله فيها الحبَّ والعنب والقضب (وهو البرسيم)،وكذلك أخرج الله أشجار الزيتون وكذلك النخيل وحدائق ذات أشجار عظيمة ﴿ غُلْبًا ﴾ ضخمة الساق،وجميع صنوف الفاكهة وكذلك الأب وهو ما تأكله الأنعام ولا

يأكله الناس، كل هذا الفضل وكل هذه النِّعَم من الله سبحانه وتعالى متاعاً لكم ولأنعامكم (**من إبل وبقر وغنم وماعز**).

تلكم الأنعام التى تعود بمنافعها عليكم أيضاً ، إذا أمعنت النظر ودقَّقْت أكثر ظهرت لك حِكَمٌ وعبرٌ .

انظر إلى طعامك كيف دخل فمك وتلذذت به شهياً جميلاً.

وانظر إليه كيف خرج منك، خرج قذرا تتقذره وتكره ريحه وتستتر منه .

وانظر أيها الإنسان إلى نفسك عند ولادتك، والبهجة والسرور تعلو الوجوه لدخولك هذه الحياة الدنيا ثم عند موتك ودفنك ماذا سيكون، وبعد أيام قلائل من دفنك!!

وانظر إلى جسدك كيف تحول، تحوَّل إلى جيفة قذرة.

وانظر إلى طعامك كيف تكوَّن وإلى أين صار !

وقارن بين ذلك وبين نفسك!

طعامك هذا حاله: ماءٌ أنزله الله من السماء فاختلط به نبات الأرض، ترعرع النبات واشتد عوده وساقه وملأت الأرض منه خضرة ثم يبس وتفتت وأصبح هشيماً تذروه الرياح كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ**

بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

كذلك ابن آدم خلق من ضعف ثم قوى وتحرك هنا وهناك وصال وجال ثم تسرب إليه الضعف ثم مات ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ** ﴾

* انظر كيف تكوَّن الطعام، ماءٌ دخل فى الأرض فأنبتت الأرض صنوف النباتات ،وشقَّ الله الأرض وسهَّل للنبات خروجه فخرج وخرج الحب والعنب والقضب والزيتون والنخيل والحدائق الغلب كذلك (**ذات الأشجار عظيمة الساق**) وكذلك الفاكهة والأب .

* كذلك خرج الطعام منه الحلو والمر و... كما قال تعالى: ﴿**فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى**﴾

كذلك ابن آدم كيف خُلق، خلق من ماءٍ(منى) قُذف فى رحم النساء فاختلط بما يخرج من بين الترائب، والترائب هو مواضع العقد والقلادة من المرأة، أى صدرها وبين ثدييها، فخلق الانسان من نطفة أمشاج (**أخلاط**) ثم يَسَّرَ الله له سبيل الخروج فخرج بنو آدم صنوفاً وأشكالاً، كما أن للنبات صنوف وأشكال .

خرج بنو آدم منهم الأبيض والأسود والأحمر والأصفر إلى غير ذلك، خرجوا منهم الطويل ومنهم القصير وبين ذلك، منهم الذكى ومنهم الغبى ومنهم العاقل ومنهم المجنون، منهم الجميل ومنهم الدميم، ومنهم الذكر ومنهم الأنثى، رزقوا، فمنهم الغنى ومنهم الفقير

كما أن الأشجار والحدائق منها ما آتت أكلها ضعفين ومنها مالم تثمر بالمرة ومنها بين ذلك .

* ومنهم القوى ومنهم الضعيف كما أن الأشجار والنباتات كذلك

* منهم الطيب والخبيث كما أن من الشجر طيب وخبيث مثل: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾

* منهم من يموت فى صِغَرِه كما أن من النبات من يموت فى صِغَرِه.

* منهم من يُعمِّر طويلاً كذلك الأشجار .

ثم ماذا بعد العمر المديد؟ أنه الموت وكذلك الأشجار مآلها إلى السقوط.

* أهل الدنيا منهم من يؤت المنصب والجاه والثراء ويرتفع فى ذلك ويتباهى، وما هى إلا أيام وسنون ويرمى به من منصبه وإن لم يرم به من منصبه رُمى به فى المقابر !!!

وكذلك النباتات زهور وورود، ينظر الناس إليها ويُعجبون ويشمون منها الرائحة الزكية ثم سرعان ما تذبل وتذهب نضارتها وتخبو رائحتها ويلقى بها هى الأخرى. ألا هل من مذكر ؟!!

ألا هل من معتبر، فليعمل الناس ما شاءوا، من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير، من أراد أن يسلك طرق أهل الخير والصلاح فليسلك وهنيئا له، ومن أراد أن يسلك طرق أهل الشر والفساد فليسلك والجحيم هنالك .

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴾

فهنالك العواقب، الجنة للمتقين نعم عقبى الدار ، وعاقبة الذين أساءوا السوآي. إذا جاءت الصاخة وهى النفخة فى الصور التى تصخُّ الآذان وتُصم الآذان لو سمعتها فى الدنيا، فتصم الآذان لو كان هناك صمم .

﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴾

يومها يهرب الشخص من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته (**أى زوجته**) (**وبنيه**) ولماذا يهرب الشخص ؟ولماذا يفر ؟ ولماذا يبتعد عن هؤلاء ؟ وقد كانوا أنصاراً له فى الدنيا وأعوان وأولياء، وكانت الضائقة إذا نزلت به التفوا حوله واجتمعوا وبكوا لبكائه فما باله اليوم يهرب ويمعن فى الهرب ؟!!

لذلك أسباب ذكرها العلماء:

السبب الأول: انشغال كل امرىء منهم بأمر نفسه والاهتمام به دون غيره كما قال الله تعالى ﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾

وقد ورد فى الصحيحين[1] وغيرهما من حديث أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **يُحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً** ». قلت يا رسول الله: النساء والرجال جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض قال ﷺ: « **يا عائشة الأمر أشد من أن**

(١) أخرجه البخارى (حديث ٦٥٢٨) ومسلم (حديث ٢٨٥٩) واللفظ له .

ينظر بعضهم إلى بعض » .

الثاني: يفر كل امـرىء منهم حتى لا يرونه ويرون مـا يحل به من الفضائح

الثالث: يفرُّ منهم حتى لا يطالبوه بالمظالم التى كانت لهم عنده .

الرابع: لعلمه أنهم لا ينفعونه بشيء كـما قال تعالى ﴿ **يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلا هُمْ يُنصَرُونَ** ﴾

هذه هى أسباب الفرار.

﴿ **لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ** ﴾ كلٌ عنده من الهموم ما يكفيه ،كلٌ عنده من القلق ما يكـفيه،كلٌ خائف،كلٌ وجِل،كلٌ ينتظر الحساب ،وكيف يؤتـى الكتاب،هل يؤتاه باليمين أم يؤتاه والعياذ بالله من وراء ظهره بالشمال، فيـالها من أوقات ، ويا لها من لحظات،ياله من وقت تنتظر فيه نتيجة عملك وسعيك وكسبك ونواياك .

هـل سـعيـك مـشكـور أم هـو بُـور ؟ جنـان فيـهـا نعيـم مقيم أم نيـران فيها عذاب أليم .

إن الناس في دنيـاهم يذهبون إلى المدارس والجـامعات يـوم ظهور النتـائج وإذا بقلـوب الطلاب واجـفـة وأبصـارهم خـاشـعـة انتظاراً للنتيجة،نتيجة تافهة فى هذه الدنيا الفانية فما بالك بنتيجة الدنيا كلها

هل ستدخل الجنة وإلى أى درجاتها سترتقى؟ هل ستلج النار ؟وإلى أى دركاتها ستهوى ؟ فإذا جاءت الصاخة فيومها تظهر النتائج .

﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ** ﴾

وهى وجوه أهل الإيمان، وجوه مضيئة مشرقة بيضاء ، تلك الوجوه المضيئة وجوه بيَّضها ونوَّرها الإيمان بالله وتصديق رسله والعمل الصالح الذى عمله أصحاب هذه الوجوه ابتغاء مرضات الله .

* وجوه بيَّضها ونوَّرها ماء الوضوء الذى كانت تغسل به فى الدنيا، فأتباع محمد يحشرون غراً محجلين من آثار الوضوء، وجوه بيَّضها ونوَّرها حملها لسنة رسول الله ﷺ وتبليغها للناس، فقد دعا لها رسول الله ﷺ بقوله: « **نضَّر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها ثم أدَّاها كما سمعها** »[١].

﴿ ضَاحِكَةٌ ﴾

لما نالها من الكرامة والنعيم والسرور ضاحكة من الكفار الذين كانوا يضحكون من أهل الإيمان فى الدنيا.

﴿ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾

بنعمة من الله وفضل، مستبشرة برضوان الله عليها وبرحمة الله لها ، أما وجوه الكفار ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴾

وجوه سوداء كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾

وفضلاً عن كونها سوداء فقد علاها وتغشاها الغبار والدخان والكدر.

---

(١) صحيح متواتر.

﴿ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾ أى تغشاها أيضاً ﴿ قَتَرَةٌ ﴾ أى ذلة وسواد وكسوف، فهى وجوه فضلاً عن كونها سوداء فقد علاها الغبار وأرهقها الذل .

﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾ إنها وجوه الكفار، إنها وجوه الفجار، إنها وجوه الكفرة فى اعتقادهم، الفجرة فى أعمالهم، المفترين على الله، والمائلين عن الحق أعاذنا الله والمسلمين منهم .

* * * * *

﴿ معانى مفردات السورة الكريمة ﴾

الكلمة	معناها
عبس	قبض وجهه ضيقاً
تَوَلَّىٰ	أعرض بوجهه
يَزَّكَّىٰ	يتطهر من ذنوبه ويزداد تقوى
يَذَّكَّرُ	يتعظ ـ يعتبر
اسْتَغْنَىٰ	استغنى عن الإسلام
تَصَدَّىٰ	تصغى إليه وتقبل عليه وتتعرض له
تَلَهَّىٰ	تتشاغل عنه وتتغافل
سَفَرَةٍ	ملائكة بين الله ورسله
بَرَرَةٍ	مطيعون
قُتِلَ	لُعن
أَقْبَرَهُ	جعل له قبراً يدفن فيه
أَنشَرَهُ	أحياه بعد موته
قَضْبًا	البرسيم وعموم علف الدواب
غُلْبًا	الأغلب هو عظيم الرقبة.
أَبًّا	ما تأكله الأنعام ولا يأكله الناس
الصَّاخَّةُ	القيامة ـ النفخة فى الصور
مُّسْفِرَةٌ	مشرقة مضيئة
غَبَرَةٌ	غبار ودخان

الكلمة	معناها
تَرْهَقُهَا	تغشاها وتعلوها .
قَتَرَةٌ	كسوف وسواد وذلّة
الْفَجَرَةُ	الظالمون المفترون على الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ
﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ
سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ
ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾
وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا
أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا
عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ
عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ
﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ
بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾
لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾

* * * *

يذكر الله عز وجل أموراً عظيمة وأحداثاً جسيمة تقع يوم القيامة وبين يديها، فإذا وقعت هذه الأمور والأحداث التى يشيب لها الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى، فحينئذ ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾

أى علمت كل نفس ما فعلت فى دنياها من خير أو شر، وأُحضر لها عملها كما قال تعالى: ﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً ﴾

وكما قال تعالى: ﴿ يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾

وكما قال سبحانه: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾

أما هذه الأمور والأحداث فها هى :

* ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾

فالشمس تكوَّر كما قال النبى ﷺ « **الشمس والقمر مكوران يوم القيامة** »[1] وتكوير الشمس جمعها أى جمع بعضها إلى بعض ولفها ومن ثم ذهاب ضوئها ثم يرمى بها .

* والنجوم تنكدر كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴾ أى تناثرت النجوم ورُمى بها وتغيرَّت وغشيتها - أى غطتها - الكدرة، وطمس نورها .

---

(١) أخرجه البخارى (حديث ٣٢٠٠).

* أما الجبال فكما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾

أزيحت الجبال عن أماكنها وقلعت عن وجه الأرض وأصبح مكانها كالسراب، يظن الناظر أن الجبل مكانه ولكنه قد أزيل وأزيح كما قال تعالى: ﴿ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾

* أما الإبل، العشار وهى الحوامل التى مرَّ على حملها عشرة أشهر فقد عُطِّلَت كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴾

أى أهملها أهلها لشدة الهول النازل بهم فلم يفكروا فيها مع أنها كانت من أعز أموالهم ومن أنفس شىء عندهم .

* أما الوحوش، من سباع وضباع ونمور وحيات و . . . فقد جمعت جميعاً كما قال تعالى ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾

أى جمعت، فحشرها جمعها كما فى الآية الأخرى ﴿ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً ﴾ أى مجموعة، وكما فى قوله تعالى ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴾ أى فجمع ، وقد قال رسول الله ﷺ : « **لتؤدن الحقوق إلى أهلها حتى يُقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء** »[(١)] .

* أما البحار فإذا سألت عنها فكما قال تعالى ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾

أى اشتعلت نار كما قال تعالى: ﴿ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴾

ومن العلماء من قال سُجِّرت أى مُلئت حتى فاضت واختلط عذبها

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه (٢٥٨٢) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً .

بمالحها .

* وفى هذه الأثناء يتشكل الناس مجموعات ويلتحق كل إنسان بالمجموعة التى هو منها وعلى شاكلتها، الصالح مع الصالح والطالح مع الطالح كما قال تعالى ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾

أى صُنِّفَت ، وهى فى الجملة ثلاثة أصناف ثم كل صنف ينقسم إلى أقسام.

أما الأصناف الثلاثة فكما قال تعالى: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً ۝٧ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝٩ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝١٠ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾

فالأصناف ثلاثة : كفار، وأصحاب اليمين ، والسابقون المقربون.

الطائفة الأولى أهل النار، والثانية والثالثة هم أهل الجنان .

أعلى الطوائف درجة وأرفعهم قدراً هم السابقون المقربون، جعلنا الله منهم، وأصحاب اليمين أيضاً فى الجنان، ولكن الجنان درجات، ولكل درجات مما عملوا ، اجتمع أهل الإيمان ونعم الاجتماع والتقوا ونعم اللقاء.

* أما أهل الكفر فتشكَّلوا وتصنَّفُوا وكلهم فى الجحيم، النصارى مع النصارى، واليهود مع اليهود كذلك، وعُبَّاد الشمس مع عُبَّاد الشمس وكذلك عُبَّاد القمر، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم .

* فى هذا اليوم تقام الموؤدة فُتسأل كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا

الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ (٩) ﴾

أما الموؤدة فهى التى دفنت وهى حية فى صِغَرِها لكونها أُنثى، تقام هذه الموؤدة يوم القيامة مع من قام، وتُبعث مع من بُعث ،وتُسأل هذه الطفلة الصغيرة التى دفنها هؤلاء الكفرة الجهلة، بلا ذنب اقترفته ولا جُرْم ارتكبته هذه المسكينة البريئة إلا لكونها أنثى ! تُسأل هذه الموؤدة فيقال لها لماذا قتلك هؤلاء وما هو الذنب الذى اقترفتيه حتى تُقْتلى ؟

وقطعاً فإنها لم ترتكب ذنباً ولم تقترف إثما ،ولم تظلم أحداً ، فقد دُفِنَتْ فور ولادتها أو بعد ولادتها بقليل، دفنت قبل بلوغها، ولكن هذا سؤال توبيخ وتأنيب وتبكيت للقاتل وإظهار للغيظ عليه، فكأنه قيل لقاتلها أيها الجاهل أيها القاتل أيها الكافر لماذا دفنت هذه الصغيره وهى حية ؟!!

هل لها اختيار فى كونها أنثى ؟!!

* هل كنت تدرى أيهما خير الذكور أم الإناث وأيهم أقرب لك نفعا؟!

* لماذا هذا الضيق والغيظ الذى اعتراك وبدا على وجهك لكونها أنثى !

* لماذا هذا السواد وتلك الكآبة التى اعترتك عند بشارتك بالأنثى؟!!

* لماذا هذا الإجرام الذى ارتكبته بدفنها ؟ !!

حقا إنك جاهل، حقا إنك ظالم، ألا ساء ما فعلت، ألا ساء ما

حكمت، أمرٌ جهلٌ غريب وجهل عجيبٌ، يئدون البنات ويُغذون الكلاب؟سفهٌ وطيشٌ، ظلمٌ وجورٌ وأد البنات، إنها كبيرة من أعظم الكبائر أن يئد الرجل ابنته خشية العار، أن يئد الرجل ابنته خشية أن تطعم معه.

حقاً إن من يئد البنات لا يستحق أن يخاطب ،فخصمه طفلة صغيرة بريئة، فلذلك اتجه الخطاب إلى الموؤدة لماذا قُتلت؟!

وما هو الذنب الذى اقترفْتيه ؟!

هذا ولأن الله عز وجل وضع الرحمة فى قلوب العباد فقد كان هناك من لايئد البنات فى الجاهلية ،ومن هؤلاء الذين كانوا لا يئدون البنات صعصعة بن ناجية جد الفرزدق الشاعر المشهور،وبه يفتخر الفرزدق، فيقول:

ومنا الذى منع الوائدات ... وأحيا الوئيد فلم يوأد

وفى بيت آخر :

ومنا الذى أحيا الوئيد وغالبٌ ... وعمروٌ ومنا حاجبٌ الأقارع

ومنهم أيضاً زيد بن عمرو بن نفيل .

* ألا يعلم هؤلاء الذين يكرهون البنات ويتضايقون ويتبرمون عند سماع البشارة بهن، ألا يعلم هؤلاء أن الله:

﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾

* ألا يعلم هؤلاء الذين يكرهون البنات أن أم مريم لما وضعتها وقالت رب إنى وضعتها أنثى وعَوَّذْتها بالله من الشيطان الرجيم أن الله تقبلها بقبولٍ حسنٍ وأنبتها نباتاً حسناً وبورك لها فيها وفى ذريتها وكانت وابنها آية للعالمين ؟!!

* ألا يعلم هؤلاء الذين يكرهون البنات أن فاطمة بنت محمد عليه الصلاة والسلام ورضى الله عنها خيرٌ من ملءِ الأرض من مثل ولد نوح ؟!!

* ألا يعلم هؤلاء الذين يكرهون البنات أن فى الإحسان إلى البنات خير؟!!

أخرج البخارى ومسلم من حديث أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت: جاءتنى امرأةٌ معها ابنتان تسألنى فلم تجدْ عندى غير تمرةٍ واحدة فأعطيتها فقسمتْها بين ابنتيها ثم قامت فخرجت فدخل النبى ﷺ فحدَّثْتُهُ، فقال:

« من بلى[1] من هذه البنات شيئا فأحسن إليهن كن له ستراً من النار ».

* وأخرج مسلم فى صحيحه [2] من حديث أم المؤمنين عائشة رضى

---

(١) فى بعض الروايات (من ابتلى) قال النووى رحمه الله: إنما سماه ابتلاءً لأن الناس يكرهونهن فى العادة، وقال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [النحل: ٥٨]

(٢) مسلم فى صحيحه (حديث: ٢٠٢٧).

الله عنها قالت: جاءتنى مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدةٍ منهن تمرة ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة التى كانت تريد أن تأكلها بينهما فأعجبنى شأنها فذكرت الذى صنعت لرسول الله ﷺ فقال:

« **إن الله قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها بها من النار** ».

* وأخرج مسلم[1] من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « **من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو** » وضمَّ أصابعه .

* ألا يعلم هؤلاء الذين يكرهون البنات ويُؤثرون البنين أنه كم من غلامٍ أرهق أبويه طغيانا وكفراً ؟!!

* ألا يعلموا أن المرء يوم القيامة يفر من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه؟!!

إن العبرة دائما بصلاح الولد ودينه وخلقه، ألا فليسأل هؤلاء ربهم أن يُصلح لهم ذرياتهم ويبارك لهم فيها أياً كانت تلك الذرية، ولنرجع إلى السورة:

يقول تعالى: ﴿ **وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ** ﴾ [التكوير: ١٠]

فى هذا اليوم العظيم تنشر الصحف التى كتبت فيها أعمال العباد، تفتح بعد أن كانت مطوية، ويوزع على كلٍ كتابه :

---

(١) مسلم (٥/٤٨٦) وانظر المنتخب لعبد بن حميد بتحقيقى (حديث ١٣٧٦).

﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾

تنشر الصحف لتبشير أهل الإيمان وتقريع أهل الكفر والعصيان .

أما السماء فقد كشطت كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴾ أى جُذبت وطويت وأُزيلت عن أماكنها .

أما الجحيم فقد سُعِّرَت، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴾ أى أُوقد عليها فأُحميت وتأججت واشتعلت.

أما الجنان فإنها تقترب من أهلها وتدنو منهم كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾ أى قربت وأدنيت من المؤمنين، وكما قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾

فحينئذ : ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾ أى ما قدمته من خير أو شر فقد حضرها عملها ورأته على ما بيناه من قبل .

* أما قوله تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ ﴾

فمعناه هنا عند كثير من المفسرين: ﴿ أُقْسِمُ ﴾ قال فريق منهم وكلمة ﴿لا﴾ زائدة كما فى قوله تعالى: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾ أى ما منعك أن تسجد وكقوله: ﴿ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴾

قالوا فمعناه ليعلم، ومن العلماء من قال إن ﴿ لا ﴾ لنفى شىء متقدم، كما نقول لا والله ، فالمعنى لا ما حدث هذا الشر أقسم على هذا بالله .

فقول: ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ⑮ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ⑯ ﴾ على هذا التأويل معناه فلا يظن هؤلاء المشركون أنهم يتركون بلا حساب ولا عقاب ولا بعث، أُقسِم على ذلك بالخنس، أما(الخنس) فهى النجوم، وقد وصفت بثلاثة أوصاف أحدها أنها خُنس والثانى أنها جوار، والثالث أنها كُنس، ومعنى خنس تراجع واختفى، ومنه قوله تعالى: ﴿ من شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾ أى الذى يتراجع عند ذكر الله عز وجل، ومن ذلك أيضاً قول أبى هريرة لما لقى رسول الله ﷺ وكان أبو هريرة جنباً قال (فانخنست منه) [١] أى تراجعت وحاولت الاختفاء ، أما الجوارى فهى التى تجرى، ومعنى الكُنَّس الُغيَّب أى التى تغيب وتستتر فى بيوتها، فالنجوم تجرى وتتراجع وتستتر فى أماكنها وتغيب فيها، فأقسم الله بالنجوم فى حال تراجعها وجريانها واستتارها فى أماكنها، وأقسم الله أيضاً فقال: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ⑰ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ⑱ ﴾

فأقسم بالليل إذا عسعس أى إذا أدبر، وبالصبح إذا تنفس أى إذا أقبل وتبَين وظهر وأضاء .

فقوله تعالى: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ⑰ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾

كقوله تعالى: ﴿ واللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ㉝ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴾

فأقسم الله سبحانه وتعالى بالنجم وبالليل وبالصبح على: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾أى على أن القرآن قول رسول كريم وهو جبريل

(١) أخرجه البخاري (٢٨٣) ومسلم (٣٧١).

ﷺ، ثم وصف الله جبريل وبَيَّنَ منزلته فقال سبحانه: ﴿ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾

أما قوله: ﴿ ذِي قُوَّةٍ ﴾ أى أنه قوى كما فى قوله تعالى: ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾

وهذا هو جبريل عليه السلام علَّم محمداً ﷺ .

فشديد القوى شديد الخلق والبطش والفعل ،فيفعل ما يأمره به ربه ولا يضعف عنه ولا يتوانى،وقد رأى النبى ﷺ جبريل على الصورة التى خلقه الله عليها له ستمائة جناح[1] .

أما قوله : ﴿ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾

أى أن لجبريل مكانة ومنزلة عند الله سبحانه وتعالى فذو العرش هو الله سبحانه كما قال: ﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴾

ومما يدل على مكانة جبريل عليه السلام ما أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « **إذا أحب الله عبداً نادى جبريل إن الله يحب فلانًا فأحبه فيحبه جبريل فينادى جبريل فى أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الأرض**[2] ».

ومما يدل على مكانته أيضاً قوله تعالى :

---

(١) أخرجه البخارى (٣٢٣٢) ومسلم (١٧٤).

(٢) أخرجه البخارى (٦٠٤٠) وقد أخرج مسلم نحوه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً أيضاً .

﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧) مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴾

وقوله تعالى: ﴿ وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾

* فقوله تعالى: ﴿ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ أى مطاع هناك فقول﴿ ثَمَّ ﴾ أى هناك فى الملأ الأعلى، تطيعه الملائكة، كما فى الحديث الذى قدمناه «إذا أحب الله عبدا . . .» .

وقوله تعالى﴿ أَمِينٍ ﴾ وصف لجبريل عليه السلام بالأمانة فهو أمين على الوحى والرسالات وأمين على كل شىء كما قال سبحانه: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴾

ثم تحول الحديث إلى رسول الله ﷺ فقال تعالى : ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ (٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾

فقال الله سبحانه وتعالى لمشركى قريش :

﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾

أى وما محمد عليه الصلاة والسلام النبى الكريم الذى بُعث فيكم بمجنون كما وصفتموه وكذبتم عليه وافتريتم .

﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾

أى أن رسول الله ﷺ رأى جبريل عليه السلام على صورته التى

خلقه الله عليها له ستمائة جناح قد سدَّ الأفق ،أما الأفق فهو أقطار السموات والأرض ونواحيها،أما الأفق المبين فهو الأفق الذى يبين الأشياء ويظهرها ظهوراً جلياً ويوضحها وذلك يكون ناحية طلوع الشمس،فالأفق المبين هو اتجاه طلوع الشمس وهو الاتجاه الذى تظهر عنده الأشياء واضحة جليةً أكثر من غيره،فالمبين المبيِّن والموضح والمُظهر .

* وقد رآه النبى ﷺ فى هذا الاتجاه حتى لا يُشك فى أنه رآه،فلم يره فى الليل ولا عند اختلاط الليل بالنهار،فقد يتوهم الشخص أنه رأى شيئاً فى هذه الأوقات،وليس هناك شىء،أو قد يرى الشىء على غير حقيقته،لكن الرسول ﷺ رأى جبريل فى وضح النهار،وفى اتجاه واضحٍ وظاهرٍ وموضحٍ للأشياء ومظهرٍ لها،ألا وهو اتجاه طلوع الشمس .

ويصف الله نبيه أيضاً فيقول :﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾

أما الغيب فهو كل ما أخبر الله به وغاب عن نظر الشخص،فيدخل فى ذلك الأنباء والقصص التى ذكرها الله فى القرآن،وتدخل الأخبار عن الجنة وما يقرب منها،والنار وما يباعد عنها،ويدخل فى ذلك أخبار الملائكة،والجن والشياطين،ويدخل فى ذلك ما سيقع فى الزمن المقبل.

وقوله :﴿ بِضَنِينٍ ﴾

أى بمتهم أو ببخيل، فالمعنى أن رسول الله ﷺ لم يبخل بتعليم الناس ما علَّمه الله فى شأن الجنة والنار وسائر أمور الغيب، ولم يكتم شيئاً من ذلك ولم يضن بشىء ، بل قد بلَّغ رسول الله ﷺ ذلك كله ولم يدَّخِر وسْعاً فى تبليغهم وإخبارهم وماهو بمتهم فيما ينقله عن الله سبحانه وتعالى وعن الجنة والنار وعن كل ما يأمر الله به وينهى عنه، بل هو صادق فى هذا كله : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾

ويخبر الله عن كتابه الذى نزل على نبيه فيقول: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴾

أى وما هذا القرآن من اختلاق الشياطين وإفكهم وافترائهم، بل هو من عند الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ (٢١٠) وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾

ولا تستطيع الشياطين إدخال شىء فيه ولا خلط شىء به: ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾

ليس هذا القرآن بقول تلك الشياطين المرجومة فى الدنيا والآخرة، مرجومة فى دنياها إذا حاولت خطف شىء من أخبار السماء كما قالت الجن : ﴿ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾

أى بمتهم أو ببخيل، فالمعنى أن رسول الله ﷺ لم يبخل بتعليم الناس ما علَّمه الله فى شأن الجنة والنار وسائر أمور الغيب، ولم يكتم شيئاً من ذلك ولم يضن بشىء ، بل قد بلَّغ رسول الله ﷺ ذلك كله ولم يدَّخر وسْعاً فى تبليغهم وإخبارهم وماهو بمتهم فيما ينقله عن الله سبحانه وتعالى وعن الجنة والنار وعن كل ما يأمر الله به وينهى عنه، بل هو صادق فى هذا كله : ﴿ **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ** ﴾

ويخبر الله عن كتابه الذى نزل على نبيه فيقول: ﴿ **وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ** ﴾

أى وما هذا القرآن من اختلاق الشياطين وإفكهم وافترائهم، بل هو من عند الله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ (٢١٠) وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ** ﴾

ولا تستطيع الشياطين إدخال شىء فيه ولا خلط شىء به: ﴿ **وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾

ليس هذا القرآن بقول تلك الشياطين المرجومة فى الدنيا والآخرة، مرجومة فى دنياها إذا حاولت خطف شىء من أخبار السماء كما قالت الجن : ﴿ **فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا** ﴾

وكما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ﴾

وكما قال تعالى : ﴿ إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾

فالقرآن محفوظ حفظه الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ إلى أين تذهبون وتذهب بكم عقولكم، وفيما تفكرون ،لِمَ تفترون على الله الكذب وتقولون عن القرآن إنه قول شاعر أو قول كاهن ويقول بعضكم : ﴿ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾

ويقول الآخرون: ﴿ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾

واعجباً لكم،إلى أين تذهب بكم عقولكم ؟!!

﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ فما هذا القرآن إلا ذِكْرٌ من عند الله سبحانه وتعالى أنزله الله على نبيه الأمين يتذكر به المتذكرون ويتعظ به المتعظون من العالمين إنس وجان ما هو إلا طريق للهداية يسلكه من أراد أن يستقيم على أمر الله وطريقه وطريق أنبيائه حتى يوصله هذا الطريق إلى مرضاة الله وإلى جنات الله: ﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴾

فها هو الطريق أمامه ولكن : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ

الْعَالَمِينَ ﴾ فالمهتدى من هداه الله والموفق من وَفَّقه الله: ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾
﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾

*****

﴿ معانى مفردات السورة الكريمة ﴾

الكلمة	معناها
كُوِّرَتْ	لفَّ بعضها على بعض فذهب ضوؤها
انكَدَرَتْ	تناثرت ـ طمس نورها
الْعِشَارُ	الإبل الحوامل فى الشهر العاشر
عُطِّلَتْ	أهملت من شدة الهول وانشغل عنها أهلها
حُشِرَتْ	جُمعت
سُجِّرَتْ	اشتعلت ناراً ـ ملئت بالماء ـ اختلط العذب بالمالح
زوِّجَتْ	ألحق كل إنسان بنظيره
الْموءودة	المدفونة وهى حية
نشرت	فتحت
كشطت	أزيلت عن أماكنها
سعرت	أحميت ـ أججت

﴿ معانى مفردات السورة الكريمة ﴾

الكلمة	معناها
أُزْلِفَتْ	قربُت ـ أُدنيت
الخُنَّس	النجوم تخنس أىّ ترجع وتختفى
الجَوارِ	التى تجرى فى فلكها
الكُنَّس	التى تستتر فى بيوتها
عَسْعَس	أدبر
تَنفَّس	أقبل وتبين وظهر
مكينٌ	له مكانة ووجاهة .
ثَمَّ	هناك (فى الملأ الأعلى)
الأُفُق المبين	ناحية السماء التى تبين الأشياء وتظهرها وهى ناحية طلوع الشمس
الغَيْب	الأمور الغيبية
بضنينٌ	ببخيل ـ بمتهم ، أى أنه لا يبخل على الناس بتعليمهم ،ولا يعلمهم الخطأ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

* * *

يُصرِّف الله سبحانه وتعالى الآيات فى كتابه الكريم ويُنَوعها ويُعددها لإثبات معنى من المعانى أو أمر من الأمور، فالمعنى الواحد والأمر الواحد قد يرد فى عدة آيات حتى يفهمه الناس ويعقلوه ويتذكروه ،فمن لم يفهم من سياق فَهِمَ من السياق الآخر،ومن الأمور والحقائق التى أُريد التنبيه عليها فى كتاب الله حقيقة البعث،وقد جاء ذكرها فى غالب سُوَرِ القرآن الكريم إما تلميحاً أو تصريحاً وصرفت لها الآيات وتنوَّعت للتنبيه عليها فورد التنبيه عليها فى سورة الفاتحة عند قوله تعالى .

* ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾

وفى سورة البقرة: ﴿ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾

إلى غير ذلك وتعرضت أكثر السور فى جزء (عمَّ) للتنبيه عليها، قال تعالى : ﴿ عمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ ﴾

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴾

* وقال تعالى:

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ۝٣٣ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴾

* وقال سبحانه فى سورة التكوير:

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾

(وذلك يوم القيامة)

* وفى سورة الانفطار : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ (وذلك أيضاً يوم القيامة)

* وقال تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ

يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾

* وقال سبحانه : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢) وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (٤) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٥) يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ ﴾

* وقال سبحانه :

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴾

* وقال سبحانه : ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤) فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾

* وقال سبحانه :

﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ (٥) سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ (٦) إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ (٧) وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ (٨) فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ (٩) سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ (١٢) ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ (١٣) قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾

وهكذا أغلب السور جاء فيها الحديث عن البعث والقيامة والجزاء والحساب والجنة والنار، كل ذلك لإثبات حقيقة ألا وهى أن الناس موقوفون بين يديٍّ ربهم وخالقهم يوم القيامة ومحاسبون ومجزيون.

ومن المعلوم أن الاعتقاد الصحيح يتبعه عمل صالح صحيح، والاعتقاد الفاسد يتبعه عمل فاسد، فمن ثمَّ كان الذين يؤمنون بالآخرة عملهم أصح وأصوب من هؤلاء الذين يجحدون، وسيأتى لذلك مزيد فى بابه إن شاء الله .

* يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴾ أى تشققت ﴿ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴾ أى تساقطت وتفرقت .

﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾ أى فُجِّر مالحها فى عذبها فاختلط العذب بالمالح .

﴿ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴾ أى أثيرت وقلبت فاستخرج ما بداخلها وأخرج الموتى منها ،إذا حدثت هذه الأمور العظيمة، تشققت السماء وتساقطت الكواكب وفاضت البحار واختلط العذب بالمالح وأثيرت القبور وقلبت وأخرج منها الموتى فحينئذ ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ تعلم كل نفس ما قدمت وأخرت، تعلم كل نفس ما قدمت من الخير وما أخرت من الشر، تعلم كل نفس الفرائض التى أدتها والفرائض التى ضيعتها والذنوب والمعاصى التى ارتكبتها، تعلم كل نفس ما قدمته من عمل صالح وماأخرت من سُنَنٍ تركتها بعد موتها

يُعمل بها ويصل إليها أجرها أو وزرها .

ثم يعاتب الله سبحانه وتعالى الإنسان المفرط فى جنب الله والمقصِّر فى حقه والمتجرىء على معصيته فيقول سبحانه:

﴿ يَا أَيُّهَا الإنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾

ما الذى غرَّك وخدعك وسوَّل لك حتى أضعت ما وجب عليك وعصيت ربك وتهاونت فى حقوقه ؟!! أستكبرت عن طاعة ربك وامتثال أمره ؟!! أم نسيت أن هناك جنة ونار ؟!! أكنت تحتقر العذاب؟! أم تظن أنه غير واقع ؟!! أم اتَّبعْتَ الشيطان فكنت من الغاوين ؟!! ترى ما الذى غرَّ هذا الإنسان الجاهل الأحمق حتى عصى ربَّه وكفر به ؟!!

* غرَّه الشيطان ومنَّاه وسوَّل له مع أن الله قد حذَّره منه فقال ﴿ وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾

* غرَّه الجهل وغرته الحماقة كذلك ! .

* خُدع هذا الانسان بستر الله عز وجل عليه وعدم معاجلته بالعقوبة.

نقل بعض المفسرين عن الفضيل بن عياض رحمه الله،وقد قيل له لو أقامك الله تعالى يوم القيامة بين يديه فقال لك ما غرَّك بربك الكريم ؟ ماذا كنت تقول له قال كنت أقول غرَّنى ستورك المرخاة !!

* غرَّه أيضاً كرم الله عز وجل وإنعام الله عليه ! .

* كيف عصيت ربك أيها الإنسان وهو كريم ،أنعم عليك بكل أنواع النعم؟!! أبهذا يقابل الكريم ؟!!

أهكذا يُجازى الكرم والإحسان ؟!!

أهكذاَ تشكر :﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴾ خلقك وتفضَّل عليك فى الدنيا بإكمال خلقك وحواسك وعقلك،جعلك عاقلاً تفهم أمور دنياك ،هل جزاء نعمة العقل عندك أن تفكر به فى معصية الله وتعدى حدوده ،إنه سوَّاك أى جعلك سويا سليم الأعضاء تسمع وتُبصر،فهل جزاء نعمة البصر أن تنظر بعينيك إلى ما حرَّمه الله عليك،هل جزاء نعمة السمع أن تستمع إلى ما حرَّمه الله عليك ،إنه سبحانه عَدَلَكَ أى جعلك معتدلاً فلم تفضل يدٌ على يدٍ ولا رجلٌ على رِجل إنه خلقك :

﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ فهو سبحانه الذى وضعك فى الصورة التى أنت عليها،الصورة التى أرادها لك هو،ولست أنت باختيارك ،إنه سبحانه جعل منكم الطويل ومنكم القصير وجعل منكم الدميم ومنكم الجميل ،جعل منكم الأحمر والأسود والأصفر،وجعلك شبيها بأعمامك أو بأخوالك أو أقاربك،أو لا تشبه أحداً من هؤلاء :﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

إنه سبحانه وتعالى قادر على طمس وجهك وجعله كقفاك،قادر

على إذهاب بصرك، قادر على سلب عقلك، قادر على تحويل صورتك إلى صورة كلب أو خنزير ،ولكنه رحيم ولكنه حليم ،ولكنه كريم ،جعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون .

﴿ كَلاَّ ﴾

أى ليس الأمر أيها الكافرون كما تقولون من أنكم خلقتم عبثاً ،ليس الأمر كما تظنون من أنكم على حق وأنتم مشركون بالله:

﴿ **بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ** ﴾ ولكنكم لا تصدقون بيوم القيامة،ولا تعترفون بأن هناك جزاء ولا تقرون بأن هناك ثواب وعقاب . ﴿ **وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ** ﴾

ألا فاعلموا وتيقنوا أنى قد وكَّلت بكم ملائكة كرام تراقبكم وتطلع على أعمالكم وتسجلها،عليكم حفظة يحفظونكم ويحصون أعمالكم ويحفظونها لا يتركونها كما قال تعالى: ﴿ **مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾

وكما قال تعالى: ﴿ **إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾

فلا تقابلوا هؤلاء الحفظة بالمعاصى والفضائح فإنهم يرونكم ويطلعون عليكم : ﴿ **إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ** ﴾ هؤلاء المطيعين لله الذين يؤدون ما افترضه الله عليهم ،ويجتنبون محارمه منعمون فى الجنان لهم فيها نعيم مقيم،لهم فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وهم فيها خالدون .

﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ أما هؤلاء الفجار ـ الكفرة والظلمة والمتجرئون على معاصى الله سبحانه وتعالى والمتعدون لحدوده ـ فهؤلاء يوم القيامة فى جحيم ونيران هم فيها خالدون.

﴿ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴾ يدخلونها ويقاسون حَرَّهَا ويعانون منه أشد المعاناة، ويتعبون فيه غاية التعب، تشويهم وتلفح وجوههم.

﴿ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴾

أى فماهم منها بمخرجين، فلا يخرجون منها ساعة ولا لحظة ، بل هم فى العذاب الدائم المقيم: ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا ﴾[السجدة: ٢٠]

وكما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ أتدرى أى يوم هو يوم الدين؟! أتدرى ماذا يحدث فيه ؟! أتدرى عن أحوال الناس فى هذا اليوم ؟!!

﴿ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾

إنه يوم عظيم، يوم مجموعٌ له الناس ويوم مشهود

﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ الأخ لا ينفع أخاه، الوالد لا ينفع ولده، والولد لاينتفع بولده، والمولى لايغنى عن مولاه:

﴿ يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾
ولا تنفع فى هذا اليوم أنساب :
﴿ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ ذهبت هنالك ممالك الملوك، فالملك لله الواحد القهَّار، ضاعت هنالك الرئاسات والمناصب والجاهات، ذهبت الأموال، وفرَّ العيال، وهُزم الرجال
ولَّى الأهل والأصحاب، والجيران والأحباب
الأمر يومئذٍ لله الذى لا يغلبه غالب ولا يقهره قاهر، ولا ينازعه منازع ،ليس لأحد من خلقه معه أمرٌ ولا نهى:
﴿ وَخَشَعَت الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا ﴾
﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾

* * * * *

﴿ معانى مفردات السورة الكريمة ﴾

الكلمة	معناها
انفَطَرَتْ	تشققت
انتَثَرَتْ	تساقطت وتفرقت
فُجِّرَتْ	فجر مالحها فى عذبها
بُعْثِرَتْ	أثيرت وقلبت
الدِّينِ	الجزاء والحساب
حَافِظِينَ	ملائكة حفظة
كَاتِبِينَ	ملائكة كتبة
الأَبْرَارَ	المطيعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾

هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦)

*****

شرح لنا ربنا سبحانه وتعالى هذا الدين القيِّم الحنيف الذى تُضبط به جميع شؤون دنيانا وأخرانا، فلا تقف تعاليمه عند الصلاة والزكاة والصيام والحج، بل تشمل كل أمور الدنيا والآخرة، قال الله سبحانه : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾

والمؤمن يؤمن بالكتاب كله، لايؤمن ببعض ويكفر ببعض، فإن الإيمان ببعض الكتاب والكفر بالآخر من أفعال الكافرين.

قال تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

ضَبَطَ لنا ديننا أمورنا جميعها ووضَّحها لنا غاية الإيضاح وجلاَّها غاية التجلية، بَيَّنَ لنا أمور عقائدنا وعباداتنا وكذلك الأخلاق والمعاملات وأمور السياسة والاقتصاد والآداب والحدود وسائر ما يتعلق بشؤون دنيانا وأخرانا ،كيف لا، والذى شرعه لنا هو ربنا سبحانه وتعالى العليم بنفوسنا وبما يصلحها فى كل اتجاه وصوبٍ وحدب: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾

بيَّن الله لنا فى هذه السورة الكريمة شيئاً من أمور المعاملات التى تجرى بين الناس، وحذَّرنا من خصلة ذميمة وفعلةٍ قبيحة ورذيلة

مذمومة مُحـرمة،ألا وهى تطفيف المكاييل والموازين،هى بخس الناس حقوقـهم عند البيع لهم أو الشراء منهم،حـذَّرنا الله من هذه الخصلة أيما تحذير،بـل وأرسل نبياً من الأنـبياء عليـهم السلام مـحذِّراً قـومه منها،وكان من صلب دعوته ـ بعد الدعـوة إلى التوحيد ـ الدعوة إلى إيفاء المكاييل والموازين،ألا وهو نبي الله شعـيب ﷺ، أُرسل شعيب إلى قوم يغشُّون الناس،فإذا باعـوا لهم باعوا بمكاييل وموازين ناقصة وإذا اشتروا منهم اشتروا بمكاييل وموازين كبيرة فقال لقومه :

﴿ **أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ** ﴾ تعجَّب قوم شعـيب من شعيب ومن تَدخُّله فى شؤونهم وشؤون بيعهم وشرائهم: ﴿ **قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ** ﴾

ظَنَّ هؤلاء الجهلة أن الصـلاة شىء لا تعلق له بالكيل والوزن ،لم يدرك هؤلاء الجهلة أن شؤون الحـياة كلها خاضعة لأمـر الله ولتشريع الله سبحانه وتعالى ،فهو خالق الخلق وهو أعلم بهم .

هذا وقـد جاءت الأوامـر متـعـددة فى كتـاب الله بالوفـاء بالكيل والميزان والتحذير من البخس قال الله تعالى: ﴿ **وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ** ﴾ [الرحمن :٩]

وقال سبحانه: ﴿ **أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي**

الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾

وقال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ (٨٤) وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٨٥) بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

وقال تعالى ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾

وقال سبحانه :

﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾

وقال تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (٧) أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (٨) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾

وقال سبحانه : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾

إلى غير ذلك من الآيات ، فكيف يأتى أحمق جاهل بعد هذا البيان ويقول لادخل للدين بشؤون الحياة ؟!!

إن سلفه هم قوم شعيب الذين تقدمت مقالتهم :

﴿ يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾

فلينظر ماذا حل بهم وكيف انتقم الله منهم وليكن على حذر !

وبعد هذه المقدمة فلنرجع إلى تفسير السورة الكريمة وبالله التوفيق.

قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ عذاب شديد وهلاك لهؤلاء المطففين، وقد ذكر بعض العلماء أن من هذا العذاب الشديد واد فى جهنم يسيل إليه صديد أهل النار ﴿ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾ أى أنهم إذا طلبوا من الناس أن يكيلوا لهم - أى إذا اشتروا من الناس - أخذوا حقوقهم مستوفاة كاملة .

﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ أى وإذا كالوا للناس أو وزنوا لهم ﴿ يُخْسِرُونَ ﴾ أى ينقصون .

﴿ أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ④ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾

أفلا يوقن هؤلاء المطففون أن الله سيبعثهم يوم القيامة ويحاسبهم على هذا الصنيع القبيح الذى يفعلونه ،أفلا يؤمن هؤلاء أنهم سيقفون بين يدى ربهم العليم بأعمالهم ونياتهم وصنيعهم فيحاسبهم على ما صنعوا ؟

وكلمة يظن هنا بمعنى يوقن فالظن يأتى بمعنى اليقين أحيانا،ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ ﴾

وقول المؤمن يوم القيامة: ﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ ﴾

فلو أيقن هؤلاء المطففون حق اليقين إنهم مبعوثون يوم القيامة ومسؤولون عما صنعوا ما أقدموا على هذا الغش والتطفيف،ولكن عدم اليقين بالآخرة يدفع إلى سوء العمل فالاعتقاد الصحيح يجر إلى

عمل صحيح والاعتقاد الفاسد يجر إلى عمل فاسد.

* قال تعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۝١ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۝٢ وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾

فالذى حمله على قهر اليتيم هو التكذيب بالبعث والجزاء .

ترى ما الذى حمل اليهود على الإعراض عن كتاب الله، حملهم اعتقاد فاسد اعتقدوه وهو أن النار لن تمسهم إلا أياما معدودة، وهى تلك الأيام السبعة التى عبدوا فيها العجل بزعمهم، فقالوا سواء علينا تحاكمنا إلى الكتاب أم لم نتحاكم فسنعذب السبعة أيام فقط، فجرّأهم هذا الاعتقاد الفاسد على العمل الفاسد.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ۝٢٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾

فالذى حمل المطففين على التطفيف قلة اليقين بالآخرة ، وطمعهم فى الدنيا وحرصهم عليها .

﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ وَصْفٌ لهذا اليوم العظيم .

* وفى «الصحيحين» من حديث ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: « **يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم فى الأرض سبعين ذراعاً ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم** »

وقوله تعالى﴿ كَلاَّ ﴾ أى ليس الأمر كما يزعم هؤلاء المطففون من أنهم غير معذبين ولا مبعوثين ولا محاسبين، بل سيبعثون ويحاسبون، ليس الأمر كما يظنون من أن المال الذى جمعوه من الغش والتطفيف نافعهم بل هو نارٌ ووبالٌ عليهم .

﴿ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴾

أى كتاب الأعمال الذى أثبتت فيه أعمال الفجار وسجلت فيه موضوع فى سجين، وهو سجن فى الأرض السابعة السفلى، كما فى حديث البراء بن عازب رضى الله عنهما عند أحمد والطبرى بإسناد صحيح ، وفيه أن رسول الله ﷺ قال لما ذكر نفس الفاجر وصعود الملائكة بها إلى السماء، قال: « **فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الخبيث** » ؟ قال: فيقولون فلان بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله ﷺ :

﴿ لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾

فيقول الله: « **اكتبوا كتابه فى أسفل الأرض فى سجين فى الأرض السفلى** . . . . الحديث» (واللفظ للطبرى) .

ثم حذَّر الله من سجين وأشار إلى خطورتها وعظيم شأنها بقوله : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴾

وقوله ﴿ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴾ أى كتاب مكتوب ومسطر، فالمعنى إن كتاب الفجار، مكتوب ومسطر وموضوع فى سجين، وليس قوله ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ تفسير لسجين، ولكن المعنى إن كتاب الفجار كتاب مرقوم موضوع فى سجين وما أدراك ما سجين .

* ثم توعَّد الله سبحانه وتعالى هؤلاء المكذِّبين بيوم الدين المنكرين للبعث والحساب فقال سبحانه: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (١١) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾

أى وما يكذِّب بيوم القيامة إلا المتعدٍّ لحدود الله المرتكب للآثام .

﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾ أى كلما تليت عليه الآيات قال هذا ما كتبه الأولون الذين ماتوا وسطَّروه من القصص والخرافات والحكايات .

﴿ كَلاَّ ﴾ أى ليس الأمر كما يزعم هذا المعتد الأثيم ويدَّعى .

﴿ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ولكن قد غطَّت على قلوب هؤلاء الكافرين ذنوبهم كما قال نبينا محمد ﷺ« **إذا أذنب العبد نُكتَ فى قلبه نكتةٌ سوداء فإن تاب صقل منها فإن عاد عادت حتى تعظُم فى قلبه فذلك الران الذى قال الله : ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾**

وقوله : ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ أى ليس الأمر كذلك على ما يظنون ، فهم محجوبون عن الله سبحانه

وتعالى، محجوبون عن رؤيته ولن يتلذذوا بالنظر إلى وجهه الكريم، أما أهل الإيمان فوجوههم ناضرة إلى ربها ناظرة، لهم الحسنى وزيادة، سيرون ربهم كما يرون القمر ليلة البدر كما جآء عن رسول الله ﷺ، أما الكفار ـ فكما أسلفنا ـ فمحجوبون عن ربهم عزّ وجل. وليسوا بمحجوبين فقط.

﴿ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴾ أى داخلوا النار وذائقوها ومصلين بحرِّها .

﴿ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ ثم يقال لهؤلاء الكافرين المكذِّبين بيوم القيامة، هذا جزاء التكذيب الذى صدر منكم فى الدنيا، هذا جزاء قولكم لا بعث ولا جنة ولا نار، هذه النار هى التى كنتم تكذِّبون بها فى الدنيا فاصلوها وذوقوا عذابها .

﴿ كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَّرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾

﴿ كَلاَّ ﴾ ليس الأمر كما تزعمون من أنه لا جنة ولا ثواب.

﴿ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴾

فالكتاب هو الذى كتبت فيه أعمال الأبرار المطيعين لربهم أصحاب اليمين، هذا الكتاب موضوع فى مقام عالٍ مرتفع كما فى حديث البراء المشار إليه قريباً[1] ففيه أن النبى ﷺ قال(لما ذكر روح العبد

(١) تقدم فى تفسير سورة النازعات.

المؤمن): « . . . فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الرُّوح الطَّيب؟فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمُّونه بها فى الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها حتى ينتهى به إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل اكتبوا كتاب عبدى فى عليين . . »

وليس قوله ﴿ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴾ تفسيراً للعليين ولكن المعنى إن كتاب الأبرار كتاب مرقوم (أى مكتوب) موضوع فى عليين، ثم ذكر الله عز وجل عليين تفخيماً لشأنها بقوله ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴾

ويا ترى من يطَّلعُ على هذا الكتاب كتاب أعمال المطيعين وينظر فيه ويتصفحه ؟!!

﴿ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾

إنهم المقربون، إنهم أفضل الخلق، إنهم الملائكة يشهدون هذا الكتاب، يرون ما فيه من الخير والبر والصلاح والذكر والعبادة !

* لفتة طيبة فى تفسير قوله تعالى:﴿ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾.

وهنا نلفت النظر إلى فائدة طيبة وقيمة تتعلق بهذه الآية الكريمة ولتقريب هذه الفائدة أقول، وبالله التوفيق: إن أهل الدنيا إذا كان لأحدهم ابن أو بنت تدرس فى المدارس أو الجامعات وكان الولد متفوقاً وكانت البنت كذلك متفوقة، ثم نجحا فى الامتحان وحصلا

على أعلى الدرجات فإن الأب يفتخر بذلك غاية الفخر ويحمل شهادة ابنه أو ابنته ويطوف بها على الأصدقاء والجيران قائلاً انظروا إلى درجات ولدى وابنتى فى الاختبار ، فهذه مادة الرياضيات قد أتى فيها بمائة من مائة ، وهذه مادة اللغة العربية كذلك أتى فيها بمائة من مائة ، وهذه اللغة الإنجليزية أتى فيها بالامتياز . . . وهكذا سائر المواد ، فتجد الأب يطير فرحاً بذلك ويعمد إلى هذه الشهادة فيضعها معلقة فى غرفة استقبال الأضياف !

* فما ظنك بكتاب الأبرار ، ذلك الكتاب الذى كتبت فيه أعمال الأبرار وأثبتت فيه أقوالهم وكتبت فيه خطاهم وآثارهم ، ترى من يباهى به! يباهى به رب العزة سبحانه وتعالى ملائكته المقربين ، فيشهد المقربون هذا الكتاب ويطلعون على ما فيه ، فينظروا إلى ما فيه من صلوات خشع فيها العبد وأحسن فيها القيام وأتم الركوع والسجود .

* وينظروا إلى ما فيها من صيام كيف صام العبد، ويتعجبون من حفظه لصومه وعدم خوضه فى القيل والقال واغتياب المؤمنين والمؤمنات ، وتركه الرفث والفسوق والصخب ، وكيف كان يصوم الفرض ثم يتبعه بالنفل ، وكيف لا تمر عليه الأيام إلا وإذا شئت أن تراه صائما رأيته .

* وينظروا إلى ليل هذا الصيام كيف عُزِّز بالقيام ومُلىء به فينظرون إلى ترتيل العبد واستغفاره بالأسحار وسؤاله ودعائه !!

* وينظروا إلى ما سُجِّل من دمعات العين حينما ذكر العبد ربَّه خالياً ففاضت عيناه .

* ينظرو إلى فريضة الحج فيجدون العبد قد أَدَّى الفرض، بل والنفل كذلك قد تَنَفَّل !!!وليس الحج فحسب بل والاعتمار كذلك أكثر العبد منه .

* يشهد المقربون ما كتب من آثار الخطا إلى المساجد والإصلاح بين الناس واتباع الجنائز وصلة الأرحام وعيادة المرضي والمشى فى حوائج المسلمين .

* يشهد المقربون مجالس العلم التى حضرها العبد ودروس العلم التى بثها ومجالس الذكر التى ذكر العبد فيها ربه عز وجل، وثواب الآيات التى تليت وأحاديث النبى ﷺ التى بُثت .

* يشهد المقربون آثار الخطا إلى الجهاد فى سبيل الله لإعلاء كلمة الله والثواب الذى أثبت لهذه الأقدام التى اغبرت .

* يشهد المقربون كظماً للغيظ وعفوا عن الناس بل والإحسان إليهم.

يشهد المقربون كل هذا الخير فيحمدوا الله عز وجل على ما وفّق وهدى وعلى ما امتن به وأسدى وعلى ما تفضَّل به وأكرم .

هؤلاء أيها المقربون من ذرية من قلتم : ﴿ **أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ** ﴾ [البقرة: ٣٠]

ألم تجدوا أيها المقربون الكرام فى صحف هؤلاء المؤمنين الأبرار من يسبِّح بحمد الله ويُقدِّس له ؟!!

ألم تجدوا أيها المقـربون الكرام أقواماً لا يسبقـونه بالقول وهم بأمره يعملون؟!!

ألم تجدوا أيها المقربون الكرام مقربين أمثالكم لم يستنكفوا عن عبادة ربهم والسجود له والخضوع ؟!!

ألم تجدوا قوماً أيها المقربون لاحت فى جباههم آثار السجود ؟!!

ألم تروا الغـرَّة والتحجـيل بادية على الأيدى والأرجل والجـباه من آثار الوضوء؟!

ها هى أيها المقـربون دماء شهداء قـد سالت فى سبـيل الله لإعلاء كلمته ونشر دينه ونصرة رسله !!

ها هى أيها المقربون أموالٌ قد أنفقت فى سبيلى وابتغاء مرضاتى!!

انظروا واشهدوا أيها المقربون إلى ما أُثبت فى هذه الصحف والكتب من التحميد والتسبيح والتهليل والتكبير وتلاوة آى الذكر الحكيم !!

* يشهـد المقربون كل هذا فى كـتب الأبرار الموضوعـة فى عليين، فـيحـمد المقـربون ربهم عز وجل علـى ما منَّ به على أوليـائهم من المؤمنين فيدعون لهم بتمام النعمة قائلين: ﴿ **رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** (٨) **وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ**

هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

لا يكاد يجد الملائكة المقربون شيئاً يُشين صحف الأبرار، وإن وجدوا بادروا بالاستغفار طلباً لمحوه وإزالته حتى تبقى كتب الأبرار ناصعة بيضاء إلى يوم التلاق، إن وجدوا ذنباً زلت فيه قدم البر المتّقي قالوا كما ذكر الله سبحانه:

﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾

ويصف الله سبحانه وتعالى حال الأبرار والمآل الحسن الذى صاروا إليه والمستقر الطيب الذى استقروا فيه فيقول سبحانه:

﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ أما الأبرار هنا فهم أصحاب اليمين من أهل الجنة، فكما قدَّمنا أن الناس ثلاثة أصناف يوم القيامة، الفجار والأبرار والمقربون، فالفجار هم أصحاب الشمال وهم أهل النار، والأبرار هم أصحاب اليمين، والمقربون هم السابقون، وكلا الطائفتين الأبرار والمقربون من أهل الجنة، وقد قدَّمنا بعض القول فى ذلك .

وأحيانا يأتى ذكر الأبرار بمعنى المطيعين فيدخل فيه الطائفتان **(أصحاب اليمين والسابقون المقربون)** .

وهذا فى الغالب إذا جاء ذكر الأبرار فى السياق ولم يأت فيه غيرهم

من السابقين المقربين، فحينئذ يدخل فيهم المقربون، كما فى قول المؤمنين : ﴿ وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ ﴾

فالأبرار هنا يدخل فيها الطائفتان، والله أعلم .

فهؤلاء الأبرار فى الجنان مُنَعَّمين فى نعيمٍ مقيمٍ.

﴿ عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴾

والأرائك جمع أريكة وهى السرير الموضوع فى الحجلة، والحجلة بيت من الثياب الفاخرة، قريب منه عند العامة فى زماننا وفى دنيانا (الناموسية)، فالأبرار على هذه السرر المكسوة بالثياب الفاخرة والموضوعة فيها، وهى سرر مرفوعة، كما قال تعالى فى الآية الأخرى.

﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴾ ينظرون إلى ما أعدَّه الله لهم من النعيم، ينظرون أحيانا إلى أهل النار وإلى ما هم فيه من العذاب حتى يزدادوا شكراً لله سبحانه وتعالى .

كما قال تعالى: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٥٠) قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣) قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ (٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾

ثم قالَ تعالى : ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾

تعرف فى وجوه هؤلاء الأبرار أثر النعيم، إذا نظرت إلى وجوههم رأيت أثر النعمة والفضل بادياً عليها، رأيت بريق النعيم وتلألؤه وأثر

النور والبهاء وحسنه والبياض والبهجة قد علا هذه الوجوه الطيبة .

أما إذا سألت عن شرابهم فإنهم:

﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴾

أما الرحيق فهو الخمر، خَمرٌ فى منتهى اللذة، كما قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (٤٥) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴾

ولكنها خمر لا تُسكر ولا تذهب بالعقول، بل كما قال تعالى: ﴿ لا يُصَدَّعُونَ عَنهَا وَلاَ يُنزِفُونَ ﴾

وكما قال تعالى: ﴿ لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾

هذا الرحيق مختوم، أى أن تلك الكأس التى يشربون منها هذا الرحيق مغلقة لم تفتح لأحدٍ قبلهم ولم يشرب منها أحدٌ غيرهم، فهو مغلقٌ لم يفتح إلا لهم، وما هو الغطاء والختم الذى غُطى به وختم به

إن ﴿ خِتَامُهُ مِسْكٌ ﴾ فالأبرار أحيانا يشربون الخمر من كؤوسٍ مغلقةٍ مختومةٍ غطاؤها وخاتمها المسك، وأحيانا يشربون الخمر من الأنهار، قال تعالى:

﴿ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴾

يشربون الخمر الذى يشم ممن شربه بعد شُربه رائحة المسك، ليس كخمر الدنيا الذى تشم فيه الروائح الكريهة بعد شربه ، ففى مثل هذا النعيم فليتنافس المتنافسون كما قال تعالى: ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ فليتسابق إلى هذا النعيم المتسابقون بفعل الخيرات

والتخفف من المنكرات حتى ينالوا هذا النعيم أما قوله ﴿ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴾ فمزاجه أى خليطه، فكأس الخمر الذى يشرب منه الأبرار قد خُلط معه شراب أتى من عينٍ يُقال لها تسنيم، تلك العين التى يشرب منها المقربون، فالتسنيم يشرب منها المقربون صافية خالصة غير مخلوطة، أما أصحاب اليمين فيشربون من الرحيق المخلوط بشىء من التسنيم

فالحاصل أن التنسيم عينٌ خاصة للمقربين يشربون منها كما قال تعالى﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾

يؤخذ منها جُزء ويخلط بغيره ويشرب من هذا الخليط غيرهم وهم أصحاب اليمين الذين هم الأبرار، فالمقربون يشربون من التسنيم صرفاً أى خالصة، وتمزج التسنيم مع غيرها لأصحاب اليمين مزجاً، وهى إنما تُمزج (أى تخلط) بالرحيق المختوم .

* وهذه الآيات كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾

فالكافور عين يشرب منها عباد الله (**الذين هم المقربون**) صافية خالصة غير مخلوطة وتخلط الكافور بغيرها ليشرب من هذا الخليط الأبرارُ، ولتقريب المعنى نضرب مثلاً من دنيانا ـ مع الفارق ـ فموضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها .

* نتخيل أن هنا مشروبين شاى ولبن، فقوم يشربون اللبن صافياً وهم

الأثرياء، وقوم يشربون شاى قد خُلط بشىء من اللبن وهم الأقل ثراءاً والله أعلم.

ثم يَذْكُر الله سبحانه وتعالى أفعال أهل الإجرام وما كانوا يصنعون فى الدنيا، من الاستهزاء بالمؤمنين والسخرية منهم، وكيف تبدَّلت الأحوال وتغيرت وإلى ماذا انتهت الأمور، وما هو الوضع المخزى الذى صاروا إليه، فيقول سبحانه :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾ هذا حال أهل الإجرام فى الدنيا سخرية دائمة من المؤمنين.

﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴾ استهزاءٌ بالمؤمنين وبأفعالهم !!غمزٌ وهمزٌ ولمزٌ !! عيبٌ وازدراء وطعنٌ واحتقار !! وصفٌ بالسفاهة وبالجنون والتخلف والرجعية ! بل ووصفٌ بالضلال!

وليس هذا خاص بزمانٍ بعينه بل هو دأب أهل الإجرام على الدوام.

قال الله سبحانه وتعالى فى شأن نبيه نوح عليه الصلاة والسلام :

﴿ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ وقالوا أيضا: ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾

وكذلك قال قوم هود لهودٍ عليه السلام : ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ ﴾

وقال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

وقال أهل الكفر فى شأن المؤمنين : ﴿ أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنْ

بَيْننا﴾

وقال تعالى: ﴿ الَّذينَ يَلْمزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ منَ الْمُؤْمنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذينَ لا يَجِدُونَ إلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ منْهُمْ ﴾

وقال أهل الكفر: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذي نُزِّلَ عَلَيْه الذِّكْرُ إنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَد اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلكَ ﴾

هذا هو دأب أهل الكفر باضطراد وليست سخرية فى وجوه أهل الإيمان فحسب بل: ﴿ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴾ أى أن أهل الكفر إذا رجعوا إلى بيوتهم وأهليهم يسمرون على ذكر أهل الإيمان والسخرية منهم ويتفكهون بذكر أحوالهم.

و﴿ فَكِهِينَ ﴾ أيضاً فرحين بما هم فيه من الشرك والمعاصى ونِعَمِ الدنيا .

﴿ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاءِ لَضَالُّونَ ﴾ أى إذا قُدِّر والتقى أهل الإجرام بأهل الإيمان فى الطُّرق وصفوهم بالضلال والجهل. ﴿ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾

أى أنكم يا أهل الإجرام ما أرسلتم رقباء على عبادى ولا حفظة لأعمالهم ولا كتبة لهم إنما كلفتم الإيمان بى والعمل بطاعتى وليس لكم وراء ذلك شيء، فلماذا شغلتم أنفسكم بعبادى وجعلتموهم نصب أعينكم تحكمون عليهم بما شئتم وتصفونهم بما أردتم حتى أنسوكم ذكرى!

ولكن الله عز وجل لم يكن يتخلى عن عباده وأوليائه ولا يُضل سعيهم ولا يخيِّبُ رجاءهم، فيوم القيامة تتبدل الأحوال ويُنتصر للمظلوم من الظالم فيضحك أهل الإيمان من أهل الإجرام : ﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ فالجزاء من جنس العمل .

﴿ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾

ثم تختتم السورة بقوله تعالى: ﴿ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾

أى هل جُوزِىَ الكفار بما كانوا يعملون ؟!

هل رأيتم يا أهل الإيمان ما حلَّ بأهل الكفر ؟!

هل ذهب غيظُ قلوبكم وشفى الله صدوركم من عدوكم الذى كان يسخر منكم ويتهكم عليكم ؟! .

* وأنت أيها الكافر هل علمت أن وعد الله حق ،وأن الساعة قد أتت، هل علمت أيها الكافر أن النار حق،وهل لاقيت جزاءك الذى تستحقه ،ألا فبُعداً للقوم الظالمين . ألا فلتقر عَيْنُ المؤمنين .

***

﴿ معانى مفردات السورة الكريمة ﴾

الكلمة	معناها
وَيْلٌ	عذاب شديد، واد فى جهنم
لِّلْمُطَفِّفِينَ	الذين يُنقصون المِكيال والميزان
اكْتَالُوا عَلَى	طلبوا الكيل من
يَسْتَوْفُونَ	يأخذون حقهم وافيا
كِتَابَ الْفُجَّارِ	الكتاب الذى كتبت فيه أعمال الفجار
سِجِّينٍ	سجن فى الأرض السابعة السفلى
مَّرْقُومٌ	مكتوب
أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ	ما كتبه الأولون وسطروه
رَانَ	غطى
صَالُوا الْجَحِيمِ	داخلو النار وذائقوها
كَلَّا	حقاً (ولها معان أُخر)
عِلِّيِّينَ	ارتفاع (فى السماء السابعة)
يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ	يراه الملائكة
الْأَرَائِكِ	الأريكة هى السرير الموضوع فى الحجلة، والحجلة بيت مربع من فاخر الثياب
نَضْرَةَ النَّعِيمِ	أثر النعيم وبريقه
رَّحِيقٍ	خمر
مَّخْتُومٍ	ممزوج ـ مخلوط
مِزَاجُه	خليطه

﴿ معانى مفردات السورة الكريمة ﴾

الكلمة	معناها
تَسْنِيمٍ	عينٌ اسمها تسنيم
يَشْرَبُ بها	يشرب منها
الْمُقَرَّبُونَ	السابقون
يَتَغَامَزُونَ	يشيرون باستهزاء
انقَلَبُوا	رجعوا
فَكِهِينَ	يتفكهون بذكر أهل الإيمان والطعن فيهم
ثُوِّبَ	جُوزى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢) وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (٤) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٥) يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ (٦) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ (١٤) بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (١٥) فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (١٦) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (١٨) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ (١٩) فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ (٢١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ (٢٢) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٢٣) فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٤) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٢٥) ﴾

***

سبق أن بيَّنا أن اللـه سبحانه وتـعالى يذكر المعنى الواحـد فى عدة آيات وعدة سـور حتى يفـهمـه الناس، فمن لم يفـهـم المعنى من هذه السورة أو هذه الآية فهمه من آيـات أُخَر وسورٍ أُخر، ومن هذه المعانى التى تكررت فى عدة سورٍ وآياتٍ أن الشخص يُلاقى عمله يوم القيامة

خيراً كان أو شراً.

فكما قدَّمنا أن هذا المعنى تكرر فى عدة سور.

قال تعالى: ﴿ يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ﴾

وقال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ وقال تعالى: ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ وقال سبحانه: ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾

إلى غير ذلك من الآيات ،ويتأكد هذا المعنى فى هذه السورة فى قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ ﴾

يقول الله سبحانه: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ أى حدثت فيها شقوق وتصدعات وفتحات فكانت أبوابا كما قال تعالى: ﴿ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴾

وكما قال سبحانه : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنزِيلاً ﴾

وقوله: ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾أى سمعت لربها وأطاعت، فجدير بها أن تسمع وتطيع فقوله ﴿ أَذِنَتْ ﴾ أى سمعت كما فى قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾

﴿ وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ ﴾ أى فُرِدَت وبُسطت وزيد فى سعتها ومساحتها.

﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾

أى ألقت ما بداخلها من الأموات الذين دفنوا فيها وتخلت عنهم، وألقت أيضاً ما بداخلها من المعادن والذهب والفضة، فلما مُدَّت الأرض وبُسطت ألقت أثقالها وما بداخلها من الموتى، ألقتهم على ظهرها وتخلت عنهم، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ﴾

وتلقى أيضاً المعادن التى بداخلها كما فى حديث رسول الله ﷺ[1]: « **تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الاسطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول فى هذا قتلت ويجيء القاطع فيقول فى هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول فى هذا قطعت يدى ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً** » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً .

فتخلت الأرض عنهم بعد أن كانت لهم كفاتا أحياءاً وأمواتاً، وبعد أن كانت لهم مهاداً لفظتهم وتخلت عنهم، وهذا ـ كما قال بعض العلماء ـ مما يزيد من رهبة الموقف وشدته وشدة التضييق على العباد، وأن لا ملجأ لهم ولا منجى إلا إلى الله كما قال تعالى: ﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴾

وقوله ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ أى استمعت الأرض هى الأخرى لربها وأطاعت، وجدير بها أن تسمع وتطيع، فإذا حدث هذا

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٠١٣).

كله ،إذا انشقت السماء وسمعت لربها وأطاعت والأرض كذلك مُدَّت وبُسِطَتْ وأخرجَتْ ما فيها وسمعت لربها وأطاعت،حينئذ يلاقى الإنسان كدحه وعمله الذى عمله فى الدنيا ويلاقى ربه فيسأله عن هذا الكدح .

كما قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ** ﴾

أى عاملٌ عملاً فملاقٍ عملك،وملاقٍ ربك كذلك .

* وتظهر مقدمات الخير أو الشر وبوادرهما عند استلام كتاب الأعمال،ذلكم الكتاب الذى أثبتت فيه أعمال الشخص وأقواله وحركاته وسكناته .

فمن الناس من يؤتى كتابه بيمينه،ومنهم من يستلمه بشماله من وراء ظهره أى يجعل يده اليسرى خلف ظهره ويتسلم الكتاب على هذه الحال المزرية والوضع المخزى أعاذنا الله منه .

﴿ **فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا** ﴾

وليس المراد بالحساب حساب التأنيب والتوبيخ،إنما فقط تعرض عليه أعماله فَيُجَازى على حسنها ويغفر له سيئها،فالمراد بالحساب هنا فى حق المؤمن العرض، فقد أخرج البخارى ومسلم فى صحيحيهما من حديث عائشة[1] رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: « ليس

---

(١) أخرجه البخارى (٤٩٣٩) ،ومسلم (حديث ٢٨٧٦).

أحد يحاسب إلا هلك » قالت: قلت يا رسول الله جعلنى الله فداءك أليس يقول الله عز وجل: ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ⑦ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا** ﴾

قال: « **ذاك العرض ،يُعرضون ،ومن نوقش الحساب هلك** »

وللعلماء فى تفسير العرض أقوال منها أن المراد بالعرض عرض الناس على الميزان ، ومنها أن ينظر فى أعماله فيغفر له سيئها ويجازى على حسنها، وأصحها عرض أعمال العبد عليه بين يدى الله ثم مغفرتها له،ودل على ذلك ما أخرجه البخارى ومسلم(١) من حديث ابن عمر رضى الله عنهما أنه سمع النبى ﷺ يقول:

« **يُدنى المؤمن يوم القيامة من ربِّه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه فيقول هل تعرف؟ فيقول :أى رب أعرف ، قال فإنى قد سترتها عليك فى الدنيا وإنى أغفرها لك اليوم فيعطى صحيفة حسناته،وأما الكفار والمنافقون فيُنادى بهم على رؤوس الخلائق هؤلاء الذين(٢) كذبوا على الله** »

يتلقى المؤمن كتابه بيمينه فيرجع منطلقا مسروراً إلى أهله كما قال تعالى : ﴿**وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا** ﴾

ينطلق ويرجع إلى أهله الذين أعدهم الله له فى الجنان من الحور

---

(١) أخرجه البخارى (حديث ٢٤٤١) ومسلم (حديث ٢٧٦٨).
(٢) أخرجه مسلم ترتيب محمد فؤاد (**هؤلاء الذى ...**) والصواب ما أثبتاه .

العين، وأهله من أهل الصلاح الذين كانوا معه فى الدنيا وسبقوه إلى الجنة من زوجات وأولاد وآباء وأمهات وعشيرة وأصدقاء :

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾

أما الشقى ـ والعياذ بالله ـ الذى يُعطى كتاب أعماله بشماله من وراء ظهره ذلكم الكتاب الذى أثبتت فيه أعماله وجرائمه وشروره ومفاسده وشركه وغروره، فلا بشرى لهذا المجرم يومئذ بل:

﴿ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾

أى سوف يدعو على نفسه بالموت والهلاك، كما فى قوله تعالى : ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾

وكما فى قوله : ﴿ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴾

إنه سيصلى سعيراً أى سيدخل النار ويصلى بحرِّها، سيُشْوى وجهه ويُحرق جلده ويُبدل جلداً غير جلده ويحترق الجلد أيضا : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾

﴿ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴾

كان فى دنياه وسط أهله مسروراً بكفره وضلاله ومخالفته لأمر الله عز وجل، وكان مسروراً بارتكابه للمعاصى سعيداً بتحلله من شرع الله عز وجل: ﴿ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ (١٤) ﴾

أى أن هذا الكافر الذى تلقى كتابه بشماله من وراء ظهره اعتقد أنه

لن يرجع إلى ربِّه حياً بعد موته .

﴿ بَلَىٰ ﴾

ليرجعن إلى ربِّه وليحاسبن ﴿ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيراً ﴾

مطلعاً عليه وعلى أعماله لا يخفى عنه حاله .

﴿ فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴾

أما قوله تعالى: ﴿ فَلا ﴾ فقد تقدم الكلام عليه عند تفسير قوله تعالى: ﴿ لا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴾ وقوله ﴿ أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴾

أقسم الله عز وجل بالشفق والمراد به الحُمرة التى تبقى فى السماء بعد غروب الشمس ناحية الغروب (بعد المغرب إلى العشاء)

﴿ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ⑰ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴾

أقسم الله أيضاً بالليل ﴿ وَمَا وَسَقَ ﴾ أى وما جمع وحوى ،فالليل تنتشر فيه الشياطين وتخرج فيه السباع والهوام وتُدبر فيه الأمور ويُبيَّتُ فيه للأعداء ،ويقسم الله بالقمر إذا اتسق أى اكتمل وتمَّ واستوى وتكامل نوره، وهذا يكون ليلة ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة ،يقسم الله سبحانه بهذه الأشياء: الشفق والليل وما وسق والقمر إذا اتسق على شىء ألا وهو:

﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَق ﴾ أى أن أحوالكم ستتغير وستتبدل حالاً بعد حالٍ فمعنى قوله تعالى ﴿ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ أى حالاً بعد حالٍ، ولكن ما المراد بالحال الأولى؟ وما المراد بالحال الثانية ؟

فلأهل العلم فى ذلك أقوال مبنية على القراءة فى قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ فمن القرَّاء من قرأها بفتح التاء (المثناة الفوقانية) وفتح الباء (الموحدة التحتانية) لَتَرْكَبَنَّ،والذين قرأوها على هذا النحو لهم فيها تأويلات:

* **أحدها** : أن هذا خطاب لرسول الله ﷺ،والمعنى على هذا له وجوه :

الوجه الأول: لتركبن يا محمد حالاً بعد حال[١] أى أن الأحوال ستمر بك يا محمد من حال فقرٍ إلى حال غنى،ومن حال ضعف إلى حال قوة وظفرٍ وغلبة على المشركين المكذبين بالبعث .

كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ ﴾

الوجه الثانى: أن المراد لتركبن يا محمد سماء بعد سماء،وقد فعل الله ذلك به ليلة المعراج،وقد قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴾

الوجه الثالث: لتركبن يا محمد درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة فى القرب إلى الله عز وجل .

* **التأويل الثانى:** أن المراد بقوله لتركبن هى السماء فالمعنى أن

---

(١) أخرجه الطبرى باسناد صحيح عن ابن عباس أنه كان يقرأ لتركَبنَّ طبقاً عن طبق يعنى نبيكم ﷺ حالاً بعد حال
وبإسناد صحيح عنه أيضا: ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾[الانشقاق:١٩]قال محمد ﷺ .

السماء تتغير أحوالها فمرَّة تكون كالدهان كما قال تعالى :

﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾

ومرة تشقق بالغمـام كما قال تعالى : ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنزِيلاً ﴾

ومرة تنفطر كما قال تعالى: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴾ وتتغير السماء من لونٍ إلى لون .

وقرأ فريق آخر من العلماء لَتَرْكَبُنَّ بفتح التاء (المثناة الفوقانية)وضم الباء (الموحدة التحتانية)

وهذا الخطاب فى قوله ﴿ لَتَرْكَبُنَّ ﴾ للناس والمعنى الاجمالى أولاً لتمُـرَّن بك أيها الإنسان وأنتم أيـها الناس جملة أمـور وأحوال، وفي بيان هذه الأمور والأحوال جملة أقوال .

* **القــول الأول:** لتـمرن بك أيهـا الإنسان شـدائد وأهوال الموت والبعث والعرض والميزان والصراط والجنة أو النار .

* **القول الـثانى:** أن الإنسان يمر بجـملة أطوار، نطفة ثم عـلقة ثم مضغة ثم يـكسي عظمه لحما ثم ينشأ خلقاً آخـر ويخرج من بطن أمه ضعيفاً ثم يتقوى ثم يضعف ويشيب ثم يموت .

كما قـال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَـعْفٍ ثُـمَّ جَـعَلَ مِنْ بَعْـدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾

* **القول الثالث:** أن المراد أن أحوال الإنسان تتغير بين الدنيا والآخرة ، فقد يكون وضيعاً فى الدنيا ويرفعه الله فى الآخرة، وقد يكون مرتفعاً فى الدنيا ويخفضه الله عز وجل فى الآخرة كما قال تعالى فى شأن الآخرة .

﴿ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴾ وقد يكون مرتفعاً فى الدنيا ويزداد رفعة كما قال تعالى فى شأن عيسى عليه السلام : ﴿ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾

وقد يكون وضيعاً فى الدنيا ويزداد إذلالاً فى الآخرة .

* **القول الرابع:** أن أحوال الانسان تتغير فى الدنيا من صحة إلى مرض، ومن مرض إلى صحة، ومن غنى إلى فقر ومن فقر إلى غنى كما قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾

* **القول الخامس:** أن المراد بقوله: ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾

أى لتتبعن أحوال اليهود والنصارى حالاً من أحوالهم بعد حال كما جاء عن رسول الله ﷺ: « **لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب دخلتموه وراءهم** » والمعنى أيضاً لتركبن سنة الأولين ممن كان قبلكم فى التكذيب بالنبوة والقيامة .

* **قال الطبرى رحمه الله:** وأولى القراءات فى ذلك عندى بالصواب قراءة من قرأ بالتاء وبفتح الباء، لأن تأويل أهل التأويل من جميعهم بذلك ورد، وإن كان للقراءات الأُخر وجوه مفهومة ، وإذا كان الصواب من القراءة فى ذلك ما ذكرنا فالصواب من التأويل قول من قال:

﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ أنت يا محمد حالاً بعد حال، وأمراً بعد أمرٍ من الشدائد ، والمراد بذلك وإن كان الخطاب إلى رسول الله ﷺ موجهاً إلى جميع الناس أنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأهواله أهوالاً

أما وقد علم الكفار هذا، علموا أن الأحوال ستتغير وتتبدل: ﴿ فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ ﴾[١]

ما هو الحامل لهم على ترك الإيمان وهجر القرآن وتكذيب المرسلين والامتناع عن السجود والصلاة ؟!!

ليس لهم فى الحقيقة مبرر صحيح ولا برهان ناصع.

﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴾ لكنهم قوم مكذبون مستمرون فى التكذيب والعناد.

﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴾ أى بما يكتمون ويُسرون : ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أي فبشِّر هؤلاء الكفرة المكذبين المعرضين عن الإيمان والقرآن بعذاب أليم أى مؤلمٌ موجع . ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ أى لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجرٌ غير مقطوع ولا منتهى.

*****

---

(١) ملاحظة ثبت أن النبى ﷺ سجد عند قراءة هذه الآية كما فى صحيح مسلم ،ففى صحيح مسلم (ص٤٠٦) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال سجدنا مع النبى ﷺ فى ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾
و﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾

﴿ معانى مفردات السورة الكريمة ﴾

الكلمة	معناها
انشَقَّتْ	حدث بها شقوق
أَذِنَتْ	سمعت وأطاعت
حُقَّتْ	حقق عليها الاستماع
مُدَّتْ	بسطت وزيد فى سعتها
كَادِحٌ كَدْحًا	عاملٌ عملاً
يَدْعُو ثُبُورًا	يدعو على نفسه بالهلاك
يَحُورَ	يرجع حياً يوم القيامة
الشَّفَقِ	الحُمرة التى تبقى بعد غروب الشمس
	ناحية الغروب
وَسَقَ	جمع وحوى
اتَّسَقَ	اكتمل نوره
طَبَقًا عَن طَبَقٍ	حالاً بعد حال
يُوعُونَ	يكتمون ـ يُسرون
مَمْنُونٍ	مقطوع

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١١) إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٦) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩) وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ (٢٠) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ (٢٢)

* * *

قوله سبحانه: ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾

يُقْسم الله عز وجل بالسماء ذات البروج، أى بالسماء التى فيها

بروج وهى النجوم والكواكب العظيمة، وهى أيضاً منازل الشمس والقمر أى الأماكن التى ينزل فيها القمر والأماكن التى تنزل فيها الشمس أيضاً.

ويقسم سبحانه باليوم الموعود وهو يوم القيامة، وكذلك يُقْسِم ربنا عز وجل بالشاهد والمشهود، وللشاهد والمشهود معنيان تنبنى عليهما تفسيرات العلماء .

أحدهما: أن الشاهد هو الذى يشهد أو يشاهد أى يحضر أو يرى كما يُقال شهدت صلاة الجمعة أى حضرتها، والمشهود هو المرئى أو المحضور .

الثانى: أن الشاهد هو الذى يشهد على الأشخاص أو الأحداث والوقائع، وتثبت به الدعاوى وتُقام به الحقوق كما يقال شهد فلان على كذا والمشهود هو المشهود عليه .

وعلى ذلك جاءت تفاسير العلماء فالذين بنوا على التفسير الأول لهم أقوال:

الأول منها: أن الشاهد هم الخلائق الذى يشهدون (**أى يحضرون**) والمشهود يوم القيامة، وذلك لقوله تعالى فى شأن يوم القيامة: ﴿ **ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ** ﴾

الثانى: أنَّ الشاهد هم المصلُّون الذين يصلُّون الجمعة ، والمشهود صلاة الجمعة وخطبتها .

الثالث: الشاهد هم الحجيج الذين يشهدون الحج ،والمشهود يوم عرفه ،ومنهم من قال المشهود يوم النحر،إلى غير ذلك من الأقوال .

* أما الذين قالوا إن الشاهد من الشهادة التى تثبت بها الحقوق،فلهم فى التفسير ضروب:

الأول: أن الشاهد هو الله سبحانه وتعالى والمشهود التوحيد والنبوة،لقوله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾

ولقوله: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾

الثاني: أن الشاهد محمد ﷺ والمشهود عليه أمته لقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلاءِ شَهِيدًا﴾

الثالث: أن الشاهد الأنبياء والمشهود عليه الأمم.

الرابع: أن الشاهد الملائكة والمشهود عليه الأنفس.

الخامس: الشاهد هو الجوارح والمشهود عليه الإنسان.

وثمَّ أقوال أُخر،وكل ما ذُكر يصلح أن يُقال عنه شاهد ،وكذلك كل مشهود ذُكِر يصلح أن يقال عنه مشهود.

فالحاصل أن الشاهد هو كل من يشهد أى يحضر ويُشاهد،والمشهود هو ما يُرى من المشاهد العظيمة.

* والشاهد أيضاً هو الذى يشهد على الأشياء ،والمشهود كذلك كل ما يُشهد عليه أيضاً،والله أعلم .

فأقسم الله سبحانه وتعالى بالسماء ذات البروج واليوم الموعود

وشاهد ومشهود على أن أصحاب الأخدود ملعونين مطرودين من رحمته، وهو معنى قوله: ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ﴾

وقُتِلَ هنا معناها لُعن وطُرِدَ وأُبِق، أما أصحاب الأخدود فهم قوم مجرمون كفار خدُّوا الأخاديد ـ أى حفروا الحفر فى الأرض ـ وأشعلوا فيها نيراناً عظيماً ذات وقود هائل كما وصفها الله بقوله: ﴿ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴾ وألقوا فيها المؤمنين .

وقد ورد حديث فى هذا المعنى أخرجه مسلم[1] من حديث صهيب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّى قَدْ كَبِرْتُ. فَابْعَثْ إِلَىَّ غُلاَمًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلاَمًا يُعَلِّمُهُ. فَكَانَ فِى طَرِيقِهِ، إِذَا سَلَكَ، رَاهِبٌ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلاَمَهُ فَأَعْجَبَهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ. فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ حَبَسَنِى أَهْلِى. وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِى السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ. فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ ! إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فاقتل هَذِهِ الدَّابَّةَ. حَتَّى يَمْضِىَ النَّاسُ. فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ. فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ. فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَىْ بُنَىَّ ! أَنْتَ الْيَوْمَ

(١) أخرجه مسلم (حديث : ٣٠٠٥)

أَفْضَلُ مِنِّى. قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى. وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلاَ تَدُلَّ عَلَىَّ، وَكَانَ الْغُلاَمُ يُبْرِىءُ الأَكْمَهَ[١] وَالأَبْرَصَ وَيُدَاوِى النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الأَدْوَاءِ. فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِىَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ. فَقَالَ: مَا هَهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِى، فَقَالَ: إِنِّى لاَ أَشْفِى أَحَدًا. إِنَّمَا يَشْفِى اللَّهُ. فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ. فَآمَنَ بِاللَّهِ. فَشَفَاهُ اللَّهُ. فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ. فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ ؟ قَالَ: رَبِّى. قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِى ؟ قَالَ: رَبِّى وَرَبُّكَ اللَّهُ. فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلاَمِ. فَجِىءَ بِالْغُلاَمِ. فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ:

أَىْ بُنَىَّ ! قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِىءُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ. فَقَالَ: إِنِّى لاَ أَشْفِى أَحَدًا. إِنَّمَا يَشْفِى اللَّهُ. فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ فَجِىءَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ. فَأَبَى. فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ. فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ[٢] فِى مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ. ثُمَّ جِىءَ بِالْغُلاَمِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ. فَأَبَى. فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا. فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ[٣]، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلاَّ فَاطْرَحُوهُ. فَذَهَبُوا بِهِ

(١) الأكمه الذى ولد أعمى.

(٢) (بالمئشار) مهموز فى رواية الأكثرين: ويجوز تخفيف الهمزة بقلبها ياء، وروى: المنشار بالنون. وهما لغتان صحيحتان .

(٣) (ذروته) ذروة الجبل أعلاه، وهى بضم الذال وكسرها .

فَصَعَدُوا به الْجَبَلَ.فَقَالَ: اللَّهُمَّ ! اكْفنيهِمْ بِمَا شئْتَ.فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ[١] فَسَقَطُوا.وجَاءَ يَمْشى إِلَى الْمَلك،فَقَالَ لَهُ الْمَلكُ: مَافَعلَ أَصْحَابُكَ ؟ قالَ:كَفَانِيهِمُ اللَّهُ.فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ منْ أَصْحَابه فَقَالَ:اذْهَبُوا به فَاحْمِلُوهُ فى قُرْقُورٍ[٢]،فَتَوَسَّطُوا به الْبَحْرَ.فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دينه وإِلاَّ فَاقْذفُوهُ.فَذَهَبُوا به.فَقَالَ:اللَّهُمَّ ! اكْفنيهِمْ بِمَا شئْتَ.فَانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ[٣] فَغَرِقُوا،وجَاءَ يَمْشى إِلَى الْمَلك .فَقَالَ لَهُ الْمَلكُ:مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ.فَقَالَ للْمَلك:إِنَّك لَسْتَ بِقَاتلى حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ به.قَالَ:وَمَا هُوَ؟ قَالَ:تَجْمَعُ النَّاسَ فى صَعيد[٤] وَاحد. وتَصْلُبُنِى عَلَى جِذْعٍ. ثُمَّ خُذْ سَهْماً منْ كنَانَتى.ثُمَّ ضع السَّهْمَ فى كَبِد الْقَوْسِ[٥] ثُمَّ قُلْ:باسْمِ اللَّه،رَبِّ الْغُلامِ.ثُمَّ ارْمنى .فَإِنَّكَ إِذَا فَعلْتَ ذَلكَ قَتَلْتَنِى .فَجَمَعَ النَّاسَ فى صَعيد وَاحد.وصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ .ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا منْ كنَانَته.ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فى كَبِد الْقَوْسِ ثُمَّ قَالَ:باسْمِ اللَّه، رَبِّ الْغُلامِ.ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فى صُدْغه.فَوَضَعَ يَدَهُ فى صُدْغه فى مَوْضعِ السَّهْمِ.فَمَاتَ.فَقَالَ النَّاسُ: آمنَّا بِرَبِّ الْغُلامِ.آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلامِ .فَأُتِىَ الْمَلكُ فَقيلَ لَهُ:أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ ؟ قَدْ ،وَاللَّه ! نَزَلَ بِكَ

---

(١) (فرجف بهم الجبل) أى اضطرب وتحرك حركة شديدة .

(٢)(قرقور) القرقور السفينة الصغيرة. وقيل الكبيرة. واختار القاضى الصغيرة، بعد حكايته خلافا كثيراً. قاله النووى .

(٣) (فانكفأت بهم السفينة) أى انقلبت .

(٤) (صعيد) الصعيد، هنا الأرض البارزة .

(٥) (كبد القوس) مقبضها عند الرمى .

حَذَرُكَ[١] .قَدْ آمَنَ النَّاسُ فَأَمَرَ بِالأُخْدُودِ[٢] فى أَفْوَاهِ السِّكَكِ[٣] فَخُدَّتْ،وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ.وَقَالَ:مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا[٤].أَوْ قِيلَ لَهُ :اقْتَحِمْ .فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِىٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ[٥] أَنْ تَقَعَ فِيهَا .فَقَالَ لَهَا الْغُلاَمُ:يَا أُمَّهِ ! اصْبِرِى .فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ » .

أوقد هؤلاء المجرمون النيران وجلسوا حولها يقذفون المؤمنين فى النار واحداً تلو الآخر،ويتفرجون عليهم ويستمتعون بمناظرهم وهم يعذبون فى النار.

كما قال تعالى: **﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾**

* ويتساءل الشخص ما هى الجريمة التى اقترفها أهل الإيمان حتى يقذف بهم فى النار ؟! ليس لهم ذنب الا أنهم آمنوا بالله العزيز الحميد.

﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ هل الإيمان بالله ذنب يُعاقب عليه العبد ؟!!

يرى هؤلاء الكفار الذين طمس الله على أعينهم أن الإيمان بالله ذنب،ويعذبون المؤمنين عليه ومن أجله يخرجونهم من بيوتهم

---

(١) (**نزل بك حذرك**) أى ما كنت تحذر وتخاف .
(٢) (**بالأخدود**) الأخدود هو الشق العظيم فى الأرض ،وجمعه أخاديد .
(٣) (**أفواه السكك**) أى أبواب الطرق .
(٤) أحموه أى اطرحوه.
(٥) فتقاعست أى فتوقفت ولزمت موضعها وكرهت الدخول فى النار.

ويطردونهم من بلادهم .

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾وقال سبحانه: ﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾

وقال سحرة فرعون لفرعون: ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا﴾

وقال قوم لوط للوط عليه السلام: ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴾

وقال قوم نوح لنوح عليه السلام : ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ ﴾

وقال ورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ: « ياليتنى فيها جزعاً ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك،فقال رسول الله ﷺ أو مخرجىَّ هم ؟ قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودى »[1]

إنها صور من الابتلاءات والمحن ابتلى بها من كان قبلنا،وما كان

---

(١) أخرجه البخارى (حديث رقم ٣٦١٢) ومسلم (حديث ١٦٠) من حديث عائشة رضى الله عنها .

لهم من ذنب اقترفوه ولا جرم ارتكبوه إلا أنهم آمنوا بالله العزيز الحميد !!!

نشرٌ بالمناشير وتمشيطٌ بأمشاط الحديد .

أخرج البخارى[١] من حديث خباب بن الأرت رضى الله عنه قال شكونا إلى رسول الله ﷺ - وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة - قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا ؟ قال: « **كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له فى الأرض فَيُجْعل فيه فَيُجاء بالميشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى[٢] يسير الراكبُ من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو[٣] الذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون** » .

قذفٌ فى النار وتعذيبٌ نفسى بإحراق الأولاد أمام أعين آبائهم وأمهاتهم .

فقد أخرج الإمام أحمد رحمه الله بسند صحيح لغيره من حديث

---

(١) البخارى حديث (٣٦١٢) وأبو داود (٢٦٤٩).

(٢) الأمر ، المراد به الإسلام .

(٣) فى رواية: والذئب على غنمه .

قال الحافظ ابن حجر فى « فتح البارى » (٧/ ١٦٧): « تنبيه: قوله « والذئب » هو بالنصب عطفاً على المستثنى منه لا المستثنى، كذا جزم به الكرمانى، ولا يمتنع أن يكون عطفاً على المستثنى، والتقدير: ولا يخاف إلا الذئب على غنمه، لأن مساق الحديث إنما هو للأمن من عدوان بعض الناس على بعض كما كانوا فى الجاهلية، لا للأمن من عدوان الذئب، فإن ذلك إنما يكون فى آخر الزمان عند نزول عيسى ».

ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ

: «لما كانت الليلة التى أسرى بى فيها،أتت علىَّ رائحة طيبة،فقلت:يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة ؟ فقال:هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها،قال:قلت: وما شأنها ؟ قال:بينا هى تمشط ابنة فرعون ذات يوم إذ سقطت المدرى من يديها،فقالت:بسم الله،فقالت لها ابنة فرعون:أبى ؟ ! قالت: لا،ولكن ربى ورب أبيك الله.قالت :أُخْبره بذلك ؟ قالت:نعم، فأخبرته ،فدعاها،فقال:يا فلانة،وإن لك رباً غيرى ؟ قالت:نعم،ربى وربك الله،فأمر ببقرة من نحاس فأحميت،ثم أمر بها أن تلقى هى وأولادها فيها،قالت له:إن لى إليك حاجة.قال:وما حاجتك ؟ قالت:أحب أن تجمع عظامى وعظام ولدى فى ثوب واحد وتدفننا .قال:ذلك لك علينا من الحق،قال: فأمر بأولادها فألقوا بين يديها واحداً واحداً إلى أن انتهى ذلك إلى صبى لها مرضع ،وكأنها تقاعست من أجله.قال:يا أمه،اقتحمى فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة .فاقتحمت ».

* وكذلك أُلقى الخليل إبراهيم عليه السلام فى النار ولكن جعلها الله عليه بردا وسلاماً.

قال تعالى: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ﴾

وقال تعالى: ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾

* وكما قدَّمنا طردٌ من البلاد وإخراجٌ من البيوت كذلك .

قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ** ﴾

* وها هو رسولنا وحبيبنا محمد ﷺ يُخرج من بلدته مكة وهى عزيزة عليه ولكنه قضاء الله وسنته فى العباد.

أخرج الإمام أحمد فى مسنده[1] بإسناد صحيح من حديث عبدالله بن عدى بن الحمراء رضى الله عنه أنه سمع النبى ﷺ وهو واقف بالحزورة فى سوق مكة يقول: « **والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله عز وجل ولولا أنى أُخرجت منك ما خرجت** ».

* حقا إنها السنن ولا حول ولا قوة إلا بالله والأمر كله إلى الله.

﴿ **وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾

والله ليس بغافل وهو مطلعٌ وشاهدٌ على هؤلاء القوم الظالمين ، ومطَّلعٌ وشاهدٌ على عباده المؤمنين الذين يُقذفون فى النار، ولكنه سبحانه يمهل ولا يهمل

ثم يبين الله سبحانه وتعالى العاقبة الوخيمة والعذاب الأليم الذى ينتظر هؤلاء المجرمين الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات وعَذَّبوهم وحرقوهم بالنار ليصرفوهم عن دينهم ويجبرونهم على الردة والكفر وترك دينهم .

---

(١) أحمد (المسند ٤/ ٣٠٥) والترمذى (٥/ ٧٢٢) وابن ماجة (٣١٠٨).

فيقول سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾

أى أنهم إذا ماتوا ولـم يتوبوا من هذا الذنب والجـرم الذى ارتكبوه فلهم عذابان أحدهما عذاب جهنم والثانى عذاب الحريق، فيزيدهم الله عذاباً فوق العذاب، عذاباً لكفـرهم وإفسادهم فى الأرض وصدهم عن الإيمان، وعذاباً آخر لتحريقهم المؤمنين والمؤمنات .

كما قال تعالى فى آية أخرى: ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴾

فهنا عذابان عذاب للكفر وعذاب للصد عن سبيل الله .

وكمـا قال سبحـانه فى الآية الأخرى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٢) وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾

وهكذا فكل كـافر مفـسد، صاد عن سـبيل الله له عـذابان، عذاب لكفـره، وعـذاب لصـرف الناس عن دينهم، ألا فليـحـذر الآباء الذين يقودون أولادهم إلى الشرك، وليـحذر الآباء الذين يَصدُّون أبنائهم عن الدين وعن الصـلاة ، ولتحـذر الأمهـات اللواتى يجبـرن بناتهن على التبرج والسفور، ولتحذر الأمهات اللواتى يصرفن بناتهن عن طاعة الله ورسوله.

* هذا ومن أهل العلم من ذكر أن هؤلاء أصحاب الأخدود قد احترقوا فى الدنيا، فذكر قائل هذا القول أنهم بعد أن عذَّبوا المؤمنين والمؤمنات تطاير إليهم شررٌ من النار فأحرقهم، ويُدَّخَر لهم فى الآخرة عذاب جهنم، والله أعلم .

ولنا وقفة مع قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا ﴾

فهذا القول يدل على أنهم لو تابوا لخرجوا من هذا الوعيد، وهذا مما يدل على سعة رحمة الله عز وجل وقبوله التوبة من عباده، وكما نُقل عن الحسن البصرى رحمه الله: انظروا إلى هذا الكرم والجود، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة .

قلت: فسبحانك ربنا ما أحلمك وما أرحمك، قوم عذَّبوا أولياءك وخدوا لهم الأخاديد وأشعلوا فيها النيران وجلسوا حولها ينظرون ويشاهدون أهل الايمان وهم يحترقون، ويشاهدون الطفل ينزع من بين ثدى أمه ويقذف أمام عينيها فى النار ثم يؤتى بها هى الأُخرى فتقذف فى النار، يشاهدون ذلك ويستمتعون بهذا التعذيب والنكال الذى يُصاب به أهل الإيمان، وليس لأهل الإيمان جرم ارتكبوه حتى يعذبوا هذا العذاب ومع ذلك تفتح لهم يا ربنا باب التوبة بقولك :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا ﴾

فإذا تابوا يارب قبلت منهم توبتهم وعفوت عن جريمتهم!!

حقا ربنا إنك رب رحيم، إنك عفوٌ حليمٌ، إذ فتحت باب التوبة للتآئبين ولم تغلقه.

* أقررنا لك ربنا إنك أنت أرحم الراحمين، إذ قلت وقولك الحق: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

شكراً لك يا إلهنا ويا خالقنا ويامولانا على مامننت به فى قولك ووعدك : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾

سبحانك يا إلهنا فأنت تعلم ضعفنا وتعلم جهلنا وتعلم تقصيرنا وخطأنا وعمدنا، تعلم أن كل ذلك عندنا ففتحت باب التوبة للمذنبين وباب الرجوع للخطائين، فتحت باب التوبة لمن أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات كى يرجعوا إليك، قلت وقولك الحق: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (٦٠) جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴾

* لم تقطع طريق الإنابة والرجوع على من قطع طريق العباد وسفك دمائهم وأكل أموالهم وحاربوك وحاربوا رسلك وسَعَوْا فى الأرض بالفساد .

فقلت وقولك الحق: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

* وكذلك من زلت قدمه وأساء إلى والديه ثم أراد الرجوع إليك يارب والإصلاح لم ترده، قلت يا ربنا: ﴿ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً ﴾

سبحانك ربنا ما أحلمك وما أرحمك إذ لم تغلق باب التوبة فى وجه رجلٍ قتل مائة نفس، بل وجعلت مآله إلى الجنان.

وحديث قاتل التسعة والتسعين نفسا [(١)] فيه: «.. كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أعلم أهل الأرض فَدُلَّ على راهب فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة ؟ فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فَدُلَّ على رجلٍ عالمٍ فقال إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا ..» الحديث وفيه فغفر له .

حتى أهل الشرك إذا تابوا ـ والقتلة والزناة ـ كل هؤلاء فتحت لهم

---

(١) أخرجه البخارى (حديث ٣٤٧٠) ومسلم (٢٧٦٦) من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه مرفوعاً.

أبواب التوبة إذا تابوا، فلك الحمد، قلت وقولك الحق : ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

* سبحانك ربى لم تغفر لهم فحسب، بل وبدَّلت سيئاتهم حسنات !!! فلك الحمد .

* عَلِمْنا يا ربنا أنك تأخذ بالذنب وتعاقب به ولكنا عَلِمْنا أيضاً أن رحمتك سبقت غضبك فعُذنا بعفوك من عقوبتك وعُذنا بك منك .

أخرج البخارى[(١)] ومسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت النبى ﷺ قال: « إن عبداً أصابَ ذنباً ـ وربما قال أذنب ذنباً ـ فقال ربِّ أذنبت ذنباً ـ وربما قال أصبت ـ فاغفره فقال ربُّه :أعلمَ عبدى أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به ؟ [(٢)] غفرت لعبدى،ثم مكث ما شاء الله ،ثم أصاب ذنباً أو أذنب ذنبا فقال رب أذنبت ـ أو أصبت ـ آخر فاغفره فقال:أعلم عبدى أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدى ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنباً ـ وربما قال أصاب ذنبا ـ فقال رب أصبت ـ أو أذنبت ـ آخر فاغفره لى فقال أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدى ثلاثا فليعمل ما شاء»[(٣)].

---

(١) البخارى حديث (٧٥٠٧) ومسلم (٢٧٥٨) .

(٢) يأخذ به أى يعاقب به .

(٣) قال الحافظ فى الفتح(١٣/ ٤٧٢):معناه ما دمت تذنب فتتوب غفرت لك .

* أقسمتَ ربناً بعزتك وجلالك أن تغفر لعبادك إذا استغفروك فنستغفرك ونتوب إليك، ولك الحمد.

أخرج الإمام أحمد بسند صحيح[١] من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إن إبليس قال لربه بعزتك وجلالك لا أبرح أغوى بنى آدم ما دامت الأرواح فيهم، فقال الله فبعزتى وجلالى لا أبرح أغفر لهم ما استغفرونى** ».

* فرحت يا ربنا بتوبتنا ورجوعنا إليك فلك الثناء والمجد .

* بسطت يدك بالليل ليتوب مسىء النهار ، وبسطتها بالنهار ليتوب مسىء الليل فلك الحمد ، قال نبيك ﷺ: « **إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها** »[٢]

* فرحت بتوبتنا ورجوعنا إليك فلك الثناء والمجد.

أخرج البخارى ومسلم[٣] من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

« **الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله فى أرض فلاة** »

= قلت: وليس هذا فيمن ـ يجاهر ربه بالمعاصى ويقول سيغفر لى ـ بل فى حق التائب الوجل الخائف من ربه .

(١) المسند (٣/ ٢٩)

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٧٥٩) من حديث أبى موسى رضى الله عنه مرفوعاً .

(٣) أخرجه البخارى (٦٣٠٩) ومسلم (٢٧٤٧).

وفى لفظ لمسلم: « **لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح:اللهم أنت عبدى وأنا ربك.أخطأ من شدة الفرح** ».

* تنزل ربنا من السماء فى الثلث الأخير فتسأل عبادك،أنت سبحانك تحثهم أنت سبحانك لا أحد سواك تقول هل من مستغفرٍ فأغفر له،فسبحانك ربى يا حليم يا رحيم يا عفو يا كريم،أخبرنا نبيك ﷺ قال: « **ينزل ربنا إلى السماء الدنيا فى الثلث الأخير من الليل فيقول هل من مستغفر فأغفر له**[1] »

* هذا هو ربكم يا عباد الله هذا هو إلهكم ومليككم ربٌ رحيم حليم عفو كريم.

* فإلى الذين أشركوا وظلموا.

* إلى الذين طَغَوْا وبَغَوْا وظلموا العباد.

* إلى الذين أسرفوا على أنفسهم.

* إلى الذين ارتكبوا الذنوب والآثام،وقطعوا الأرحام،ها هى أبواب التوبة مفتوحة أمامكم،ربكم يناديكم،هل من مستغفر فأغفر له ،ربكم يناديكم : ﴿ **يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن**

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم وسيأتى .

رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾

* ربكم يستحثكم ويحذركم: ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ ﴾

* ألا فتوبوا إلى الله جميعاً لعلكم تفلحون !!

* ألا فالحقوا بركب الأبرار ومسيرة الأخيار، ألا فادخلوا فى زمرة الصالحين

إن أبواب التوبة مفتوحة فلا تقنطوا من رحمة الله: ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ ﴾

* ألا فلا تيأسوا من روح الله: ﴿ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾

* **ووقفة أخرى مع المقنِّطين:** الذين يُقنِّطون الناس من رحمة ربهم.

* ألا فلا تفعلوا، لا تقنطوا الناس من رحمة الله، استجيشوا الناس بما تعلموا فيهم من خير.

* ألم تقرأوا : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾

إن إسرائيل هو النبى الكريم يعقوب ﷺ فيذكرهم الله بأبيهم الصالح إسرائيل ويستجيش عواطفهم بذكره .

ألم تقرأوا قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

فيستجيش الله عواطفكم بذكر الإيمان الذى وقر فى قلوبكم !

ألا ترون الله قال: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾

أى يا ذرية القوم الصالحين المحمولين مع نوحٍ فى الفلك، فإنه ما حُمل مع نوحٍ إلا صالح، كونوا صالحين كآبائكم المحمولين فى الفلك .

قولوا لمن أسرف على نفسه وكان فى أبيه صلاح، يا ابن الصالحين كن من الصالحين ، قولوا لابن المحسنين، يا ابن المحسنين تصدق، قولوا لابن الشجعان، يا ابن الشجعان بارز الأبطال، قولوا لابن العالم، يا ابن العلماء ، أقبل على تعلم ما يقربك من الله.

اعلموا يا من تقنطون الناس من رحمة ربهم أن عملكم عليكم وبال، وأنه نارٌ وشنارٌ .

فى سنن أبى داود بإسناد حسن[1] من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: كان رجلان فى بنى إسرائيل متواخيين فكان أحدهما يذنب والآخر مجتهد فى العبادة فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول اقصر، فوجده يوماً على ذنب فقال له اقصر، فقال خلِّنى وربى أبعثت علىَّ رقيباً، فقال والله لا يغفر الله لك، أولا يدخلك الله الجنة، فقبض أرواحهما فاجتمعا عند ربِّ العالمين فقال لهذا المجتهد أكنت بى عالماً ؟! أو كنت على ما فى يدى

(١) أبو داود (٤٩٠١).

قـادراً ؟! وقال للمـذنب اذهب فادخل الجـنة برحمـتى، وقال للآخـر اذهبوا به إلى النار.

وفى صحيح مسلم[١] من حديث جندب أن رسـول الله ﷺ حدَّث أن رجلاً قال : والـله لا يغفر الله لفلان، وإن الله تعـالى قال: من ذا الذى يتألى[٢] علىَّ أن لا أغفر لفلان، فإنى قـد غفرت لفلان وأحبطت عملك أو كما قال.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴾

ها هم الذين آمنـوا وعـملوا الصـالحـات وهذا جـزاؤهم، فـجـزاء الاحسان الإحسان، وعاقبة الصبر الرضوان وفسيح الجنان، جنات تجرى من تحتـها الأنهار، ذلك الفـوز الكبير، حـقاً إنه هو الفوز الكبـير، وهو الفوز بالمطلوب ألا وهى الجنان والرضوان .

*** ووقفة ثالثة مع الغافلين والمستهزئين ،مع اللاعبين بحدود الله.**

ارجعوا إلى ربكم فـ: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾

انتقامه عزَّ وجل شديد ممن عصاه وخالف أمره، فكما أن ربكم غفور رحيم، فإنه شديد العقاب.

﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

وكما أنه غافر الذنب، فهو عزيز ذى انتقام

(١) مسلم (٢٦٢١).

(٢) يتألى اى يحلف .

﴿ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ﴾

﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ ﴾

﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾

اعلموا : ﴿ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾

يبدأ الخلق ثم يعيده، يخلق الخلق فى الدنيا ويميتهم ثم يعيدهم أحياءاً يوم القيامة، كما قال سبحانه: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾

* اعلموا أيضاً أن الله يبدأ العذاب ثم يعيده على أهل الكفر والعصيان يعذبهم فى الدنيا وفى الآخرة كذلك ويكرر عليهم العذاب فى الآخرة أيضاً.

قال تعالى: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾

وقال تعالى: ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا ﴾

ثم يحث الله عز وجل عباده على التوبة والإنابة فيقول سبحانه :

﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴾

أى كثير المغفرة لذنوب عباده ،(وَدُودٌ) أى محب للطائعين منهم والتائبين.

كما قال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾

ثم وصف سبحانه نفسه بأنه :

﴿ ذو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ⑮ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾

أما ﴿ ذو الْعَرْشِ ﴾ فصاحب العرش، أما ﴿ الْمَجِيدُ ﴾ فمن العلماء من فسرها بالكريم، وهل المجيد صفة للعرش أم صفة لله سبحانه وتعالى؟!! المجيد صفة لله، وصفة لعرشه أيضاً.

قال تعالى: ﴿ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾

وقال سبحانه: ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾

فوصف العرش عرش امرأة فى الدنيا بأنه عظيم، وقد ذكرت قول من فسر المجيد بالكريم .

* ثم يُسلى الله نبيه محمداً ﷺ ويُصبِّره، فيذكر له أقواماً مكذبين، كذبوا رسلهم كما كذب هؤلاء الكفار من قريش، ويذكر له ماذا حل بهؤلاء المكذبين، وكيف أن العاقبة كانت للمتقين.

فيقول سبحانه :

﴿ هلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ⑰ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴾.

هل بلغك خبر هؤلاء الذين تجندوا وتحزبوا لحرب الله ورسله، جند فرعون وثمود، قد أتاك خبرهم، وقومك كذلك قد علموا الخبر، فلا يظن ظآن أن خبرهم لم يبلغ قريشاً، بل قد بلغها، وقد علمت قريش ما حل بهؤلاء الجنود وتلك الجموع، قد علموا ما حل بآل فرعون، وما حل بعادٍ وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع، أتتهم أخبار

هؤلاء المكذبين:

﴿ إن كلٌّ إلاَّ كذَّب الرُّسل فحقَّ عقاب ﴾ فقد كان القرشيون يمرون على كثير من ديار هؤلاء المعذبين صباحاً ومساء وفى أسفارهم، كما قال تعالى: ﴿وإنكم لتمرون عليهم مصبحين (١٣٧) وبالليل أفلا تعقلون﴾

وكما قال سبحانه: ﴿ وإنهما لبإمام مبين ﴾ أى بطريق واضح وبيِّن ولكن لم ينتفع الكفار بالمواعظ والذكرى .

﴿ بل الذين كفروا في تكذيب ﴾أى فى تكذيب مستمر وعنادٍ دائم فهذا شأنهم وذلك دينهم.

﴿ والله من ورائهم محيطٌ ﴾ قادر عليهم فإنهم لا يفوتونه ولا يُعجزونه محيط بأعمالهم ومحصى لها لا يخفى عليه منها شيء وهو مجازيهم على جميعها ،مهلكهم ربى ومعذبهم ومُنزلٌ بأسه بهم، ولايظن ظآن أن هذا القرآن من فعل الشياطين وأنها تنزلت به، فما تنزلت به الشياطين .

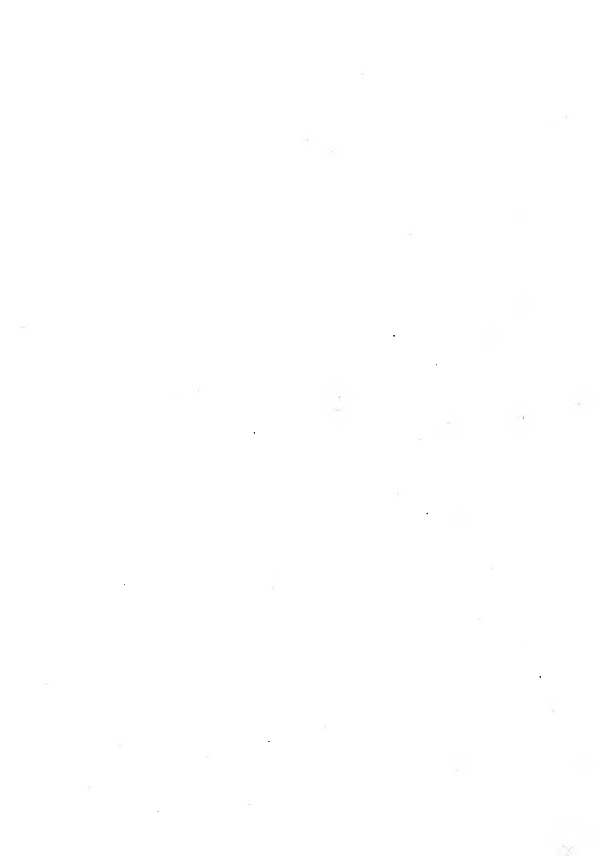
قال تعالى: ﴿ وما تنزلت به الشياطين (٢١٠) وما ينبغي لهم وما يستطيعون (٢١١) إنهم عن السمع لمعزولون ﴾ وكما قال تعالى فى وصف كتابه: ﴿ إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز (٤١) لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد ﴾

فما هو بقول شيطان رجيم: ﴿ بل هو قرآنٌ مجيدٌ (٢١) في لوح محفوظ ﴾ محفوظ عند الله ومحفوظ من الزيادة والنقصان .

*****

﴿ معانى مفردات السورة الكريمة ﴾

الكلمة	معناها
الْبُرُوجِ	النجوم والكواكب العظيمة
قُتِلَ	لُعن
الأُخْدُود	حفرة مستطيلة فى الأرض
شُهُودٌ	حضور مشاهدين
فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ	عذبوهم ليصرفوهم عن دينهم
بَطْشَ	انتقام
الْوَدُودُ	المحب للطائعين
الْمَجِيدُ	الكريم



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤) فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلا نَاصِرٍ (١٠) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦) فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا (١٧) ﴾

***

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴾

يُقْسم الله سبحانه وتعالى بالسماء والطارق، وهو النجم المضىء الذى يظهر فى السماء ليلاً فيثقب الظلام بضوئه، يُقْسم الله بذلك على أنه ما من نفسٍ إلا وعليها حافظ يحفظها ويحصى أعمالها ويسجلها عليها.

كما قال سبحانه: ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ وهذا الحافظ ـ على رأى كثير من أهل العلم ـ ملك من الملائكة، فهناك ـ كما أشرنا ـ ملك يحفظ العبد من الشىء الذى لم يقدره الله عز وجل عليه، فإذا

أراد أحدٌ العبدَ بسوء، ولم يكن الله قدر عليه هذا السوء حفظت الملائكة العبد مما لم يقدره الله عليه ، كما قال تعالى: ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ أما إذا كان الشيء مقدراً تنحت الملائكة حتى ينفذ قضاء الله فى العبد وهناك ملائكة آخرون يحفظون على العبد أقواله وأفعاله ويسجلونها عليه كما قال سبحانه : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾

ثم يوجه الله نظر الانسان الكافر، بل وعموم الإنسان إلى النظر فى أصل خلقته حتى يعتبر ويوقن أن الله قادر على بعثه وإحيائه يوم القيامة، فيقول سبحانه : ﴿ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾

أما الماء فهو المنى، وقوله : ﴿ دَافِقٍ ﴾ أى مدفوق، ومدفوق معناها مصبوب متدفق أى متدفق مصبوب فى رحم المرأة، أما الصلب فهو صلب الرجل وهو فقرات الظهر، وأما الترائب فهى ترائب المرأة وهى صدرها وما بين ثدييها وهى المواطن التى توضع عليها القلادة من المرأة .

﴿ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴾ أى أن الله سبحانه وتعالى الذى خلق الإنسان من هذا المنى المتدفق الآتى من صلب الرجل والخارج من إحليله والمتدفق فى رحم المرأة المختلط بمائها الآتى من الترائب، إن الذى فعل هذا وخلق هذا الإنسان قادر على إعادته حياً يوم القيامة كما بدأ خلقه ، وقادر أيضاً على إعادة المنى إلى ذكر الرجل وإلى

موضـعه الـذى جآء منه، الله قـادر على إعادة العـبد حـياً بعـد مماته وسيحييه.

﴿ يوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾أى يوم أن تظهر الأمـور التى كان صاحبـها يُسرها فـى الدنيا ويكتـمها عن الخلق فـستظهـر هذه الأمور واضـحة جلية، وستظهـر آثارها على الوجوه زينا أو شيناً سيعلن السـرٌ ويشتهر المكنون، ويستر الله على أهل الإيمان بستره الجميل وحينئذ.

﴿ فمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلا نَاصِرٍ ﴾ ليست للعبد فى نفسـه قوة فهو نفسه ضعيف، وليس له ناصر ينصره كذلك .

ثم يقسم الله عز وجل قسماً آخر فيقول سبحانه : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ⑪ وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّـدْعِ ﴾ يقـسم الله بالسـمـاء ﴿ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ أى التى ترجع كل عام على الناس بالأمطار بإذن الله، ويُقْسم سبحانه ﴿ بالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴾ أى ذات التشقق، فـتتشقق الأرض فيدخل فيها الماء ويخرج منهـا النبات، وقد يكون هناك وجهٌ من الشبه بين قوله تعالى : ﴿ والسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ⑪ وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴾ أى بين مضمـون الآية وهو خروج النبات، فالسـماء تأتى بالمطر يدخل فى الأرض فـتنبت بإذن الله، وبين خلق الانسـان إذ المنى يخـرج من الذكر فيدخل فى الفرج فيحدث الحمل وتلد المرأة بإذن الله، يقسم الله بالسـماء ذات الرجع والأرض ذات الصـدع على أن هذا القرآن قـول فصل﴿ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ أى حـق ﴿ ومَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴾ أى ومـا هو باللهو ولا بالعبث ولا بالباطل.

﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴾ أى أن هؤلاء الكافـريـن يمكرون مكراً ويدبِّرون تدبيراً .

﴿ وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦) فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾ أى أنظرهم واصبر عليهم وأتأنى بهم.

﴿ رُوَيْدًا ﴾ أى قليلاً، فالله سينتقم منهم كـما انتقم ممن كان قبلهم

*****

الكلمة	معناها
الطَّارِق	النجم
الثَّاقِبُ	المضىء
لَمَّا عَلَيْهَا	إلا وعليها
دَافِقٍ	متدفق فى الرحم
الصُّلْبِ	صلب الرجل فقرات ظهره
التَّرَائِبِ	صدر المرأة
تُبْلَى السَّرَائِرُ	تظهر الأمور الخفية
الرَّجْعِ	السحاب يرجع بالمطر
الصَّدْعِ	التشقق(بالنبات)
فَصْلٌ	حق
الْهَزْلِ	اللعب واللهو والباطل
يَكِيدُونَ كَيْدًا	يمكرون مكراً
أَمْهِلْهُمْ	اصبر عليهم (فسترى مايحل بهم)
رُوَيْدًا	قليلا

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ (٥) سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ (٦) إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ (٧) وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ (٨) فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ (٩) سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ (١٢) ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ (١٣) قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٧) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ (١٩) ﴾

* * *

كان النبى ﷺ يكثر من قراءة هذه السورة فى صلاته، فقد كان يقرأ بها فى الجُمَع والعيدين.

ففى صحيح مسلم(١) من حديث النعمان بن بشير رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ فى العيدين وفى الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى، وهل أتاك حديث الغاشية، قال وإذا اجتمع العيد والجمعة فى يوم واحد يقرأ بهما أيضا فى الصلاتين .

---

(١) مسلم (حديث ٨٧٨).

وفى الصحيحين[١] أن النبى ﷺ قال لمعاذ بن جبل رضى الله عنه لما صلى معاذ بالناس صلاة العشاء وأطال فيها ـ واللفظ لمسلم ـ: «**أتريد أن تكون فتانا يا معاذ ،إذا أممت الناس فاقرأ بالشمس وضحاها، وسبح اسم ربك الأعلى،والليل إذا يغشى**» .

وقد كان النبى ﷺ يقرأ بها فى الوتر أيضاً .

ففى مسند الإمام أحمد من حديث عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه عن النبى ﷺ أنه كان يقرأ فى الوتر بسبح اسم ربك الأعلى،وقل يا أيها الكافرون،وقل هو الله أحد). . وسنده صحيح.[٢]

قوله تعالى ﴿ **سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى** ﴾

لما نزلت هذه الآية قال النبى ﷺ :« **اجعلوها فى سجودكم** » .

وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما إذا قرأ ﴿ **سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى** ﴾ قال سبحان ربى الأعلى،كما عند الطبرى بإسناد صحيح.

وقوله تعالى:﴿ **سَبِّحِ** ﴾ معناه مجِّد وعظِّم ونزِّه .

وقوله ﴿ **سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى** ﴾ هل المراد نزه اسم ربك الأعلى؟ أم المراد نزِّه ربك الأعلى ؟!

الظاهر،أن كلاهما مراد ،فأمرنا الله سبحانه أن ننزه اسمه فالآية الكريمة فيها:﴿ **سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى** ﴾ أى أنَّ الذى يُسبَّح هو (اسم

---

(١) أخرجه البخارى(٧٠٥) ومسلم (حديث ٤٦٥)من حديث جابر رضى الله عنه مرفوعا.

(٢) أحمد (٣/٤٠٦).

ربنا) فى هذه الآية الكريمة ،والمعنى نزِّه اسم ربك يا محمد عن أن تسمى به شيئا من الأشياء سواه ،ولا تفعل كما يفعل أهل الشرك إذ يشتقون لأسمائهم أسماءاً من أسماء الله سبحانه وتعالى فيقولون اللات ويقولون العزى ،وكما يقول كذاب اليمامة مسيلمةُ عن نفسه إنه رحمن اليمامة،ويلحق بذلك تنزيه اسم الله عن اللهو والباطل كمن يعبث بأسماء الله ويلهو بها ،أو كمن ينقش أسماء الله على نعال أو على ثياب ممتهنة أو يلقى الأوراق التى فيها ذكر الله على الأرض توطأ بالأقدام ونحو ذلك .

وتسبيح الإسم كما فى قوله تعالى ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾

ومن العلماء من قال إن (اسم) صلة كبيت الشعر المنسوب للبيد

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يَبْك حولاً كاملاً فقد اعتذر[١]

* والمعنى عند بعض العلماء (إلى الحول ثم السلام عليكما)

والمعنى على هذا التأويل ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾

أى عظِّم ربك الأعلى الذى لا رب أعلى منه ولا أعظم ،وقد ورد الأمر بتسبيح الله فى قوله تعالى: ﴿ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً ﴾

وفى قوله تعالى﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾

ويقال أيضا: والمراد بتسبيحه هنا تنزيهه عن كل ما لا يليق به،فمن ذلك تنزيهه عن اتخاذ الولد كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا

---

(١) انظر كلامنا على هذا البيت فى سورة الفاتحة.

سُبْحَانَهُ ....﴾

وكما قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

* وتنزيهه عن الشريك كما قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾

وكما قال تعالى: ﴿ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

* ومن العلماء من قال إن معنى ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ هو قل سبحان ربى الأعلى، وعزاه ابن الجوزى فى: « زاد المسير » إلى الجمهور، ويُستدل لهذا القول بأن النبى ﷺ لما نزلت هذه الآية قال: « **اجعلوها فى سجودكم** » وبأن عدداً من الصحابة كانوا يقولون إذا قرأوا ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ سبحان ربى الأعلى

* ومن العلماء من قال سبح اسم ربك الأعلى أى صلِ وأنت له ذاكراً .

* ومنهم من قال كذلك له واخشع له عند ذكره

ومنهم من قال سبح اسم ربك الأعلى أى اذكره بالتسبيح كما

تذكره بالحمد والتكبير والتهليل ونحو ذلك، وكل ذلك محتمل والعلم عند الله تعالى.

وقوله تعالى﴿ الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾

أى الذى خلق الخلق فسوّاهم وعدلهم ،فقد خلق الله كل مخلوق على أحسن ما يتناسب مع ما خُلق له.

وقوله تعالى﴿ وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ أى قدر المقادير ثم هدى الخلائق إليها .

فقدَّر سبحانه وتعالى الشقاوة على أقوام والسعادة لأقوام ثم هدى أهل السعادة إلى عمل السعداء ،وأهل الشقاوة إلى عمل الأشقياء، فهدى المؤمنين للإيمان والرشاد ،وهدى الكافرين إلى الكفر والضلال

* وقدَّر سبحانه وتعالى أرزاقا للعباد ثم هدى العباد إلى التماس أسباب هذه الأرزاق ويسَّر لهم سبيل الحصول عليها .

* وقدَّر على أقوام أن يموتوا مثلاً فى مكان من الأمكنة ثم جعل لهم حاجة فى تلك الأمكنة حتى يذهبوا إليها ويموتوا .

* وقدَّر العباد ذكراناً وإناثاً ثم هدى الذكور إلى إتيان الإناث وعلَّمهم ذلك

وقوله ﴿ وَالَّذِى أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴾

أما المرعى فهو النبات الذى تأكله الأنعام.

وقوله ﴿ غُثَاءً ﴾ فالغثاء هو النبات اليابس الجاف الذى تتطاير به الريح .

وقوله ﴿ أَحْوَىٰ ﴾ أى أسوداً بعد البياض وبعد الاخضرار، وذلك من شدة اليبس الذى اعتراه .

أما قوله تعالى ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ ⟨٦⟩ إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ .... ﴾ أى سنقرؤك يا محمد هذا القرآن ونعلّمك إياه ونجمعه لك فى قلبك فتحفظه ولا تنساه إلا إذا شاء الله كما قال تعالى ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ⟨١٧⟩ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ⟨١٨⟩ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾

* وفى هذا معجزة من المعجزات التى أيَّد الله بها نبيه ﷺ، فقد كان عليه الصلاة والسلام أميًا لا يقرأ ولا يكتب، ومع ذلك فقد حفظ القرآن كله كاملاً صلوات الله وسلامه عليه بدون معلمٍ من البشر.

* ويجدر بنا هنا أن نذكر بعض الوسائل المعينة على حفظ القرآن وتثبيته وعدم نسيانه بإذن الله، ومن هذه الأسباب ما يلى:

* تعاهد القرآن ومداومة قراءته ومراجعته ،قال النبى ﷺ[١]: « **إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت** »

وقال عليه الصلاة والسلام[٢] : « **تعاهدوا القرآن فوالذى نفسى بيده**

---

(١) أخرجه البخارى (مع الفتح ٩/ ٧٩) ومسلم (مع النووى ٦/ ٧٥) من حديث ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعاً وفى رواية لمسلم « . . .**وإذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره وإذا لم يقم به نسيه** »

(٢) أخرجه البخارى (٩/ ٧٩) ومسلم (٦/ ٧٨) من حديث أبى موسى رضى الله عنه مرفوعاً

لهو أشد تفصياً من الإبل فى عقلها ».

ومن ذلك التخفف من الذنوب والمعاصى، فإن الذنوب والمعاصى تزيل النعم وحفظ كتاب الله من أعظم النعم وضياعه وذهابه مصيبة من المصائب الكبرى وقد قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ** ﴾

* ومن ذلك أيضا التخفف من الهموم والأحزان والتعوذ منها فإن الهموم والأحزان تذهب بالذاكرة ،ورب العزة سبحانه وتعالى يقول : ﴿ **مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ** ﴾

ومن ذلك شكر الله عز وجلّ على هذه النعمة ،فإن الشكر يزيد النعم، قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ** ﴾

* ومن ذلك طلب الثبات من الله فهو سبحانه قادر على إذهابه بعد حفظه ،قال تعالى : ﴿ **وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا** ﴾

* وقوله تعالى : ﴿....... **إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ** ﴾ يُفيد أن السرَّ والعلن عند الله سواء فسواء أسر الشخص أموره أو أظهرها ، فالله يعلمها : ﴿ **وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** ﴾

وكما قال سبحانه : ﴿ **إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ** ﴾

وكما قال تعالى : ﴿ **وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ** ﴾

* أما قوله تعالى ﴿ ونُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴾

فتأويلـه :ونسهِّلك لعمل الخيـر المؤدى إلى الجنة ، ومن ذلك حفظ القرآن ، أى سنسـهِّل عليك حفظ القرآن وسنوفقك للطريقـة السهلة الميسرة لتحصيله.

ومن المعانى أيضا : سنوفـقك للشريعة السمحـة السهلة فنشرع لك شرعًا سمحا مستقيما عدلا لا اعوجاج فيه ولاحرج.

* أما قوله تعالى ﴿ فذَكِّرْ إن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴾

فمدار تأويله على معنى ﴿ إن ﴾ فى قوله ﴿ إن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴾ ولأهل العم فى ذلك وفى تفسير الآية أقوال :

أحدها:أن ﴿ إن ﴾ بمعنى (حيث) وهذا اختيار ابن كثير رحمه الله فإنه قال : وقوله تعالى ﴿ فذَكِّرْ إن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴾ أى ذكِّر حيث تنفع التذكرة ، ومن ههنا يؤخذ الأدب فى نشر العلم ، فلا يضعه عند غير أهله كما قال ابن مسـعود رضى الله عنه : (ماأنت بمحدثٍ قومًا حديثا لاتبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة)[1]

وقـال على رضى الله عنه:(حدِّثوا الـناس بما يعرفـون أتحبـون أن يُكَذَّب الله ورسوله)[2].

قلت:فـعلى هذا الـقـول ينبـغى أن ينظر المُذكـر إلـى الحـالة التى

---

(١) أخرجه مسلم فى المقدمة ص ١١. وفى إسناده انقطاع .

(٢) أخرجـه البخارى (حديـث ١٢٧) من طريق معروف بن خـربوذ عن أبى الطفيل عن علىٍّ بذلك .

أمامه، هل يُرجى من وراء تذكيرها انتفاع أو لايرجى، وهل التذكير سيأتى بمفسدة أعظم أم أن وجه الانتفاع أرجى وأظهر، ومن ثَمَّ يقرر هل يُقدم على التذكير أو لايُقدم.

ويشهد لهذا القول العمومات الواردة فى اختيار أخف الضررين والمفاسد والمصالح ونحو ذلك .

* **الثانى** :هو أن ﴿ إن ﴾ بمعنى قد ، فالمعنى فذكِّر فقد تنفع الذكرى .

* **الثالث** :أن فى الآية محذوف دل عليه السياق، فالمعنى (فذكر إن نفعت الذكرى وإن لم تنفع)، كما قال تعالى ﴿ **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلالاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ** ﴾ أى وتقيكم البرد كذلك، ولكن حذف البرد لدلالة السياق عليه، فذكر سبحانه أشرف الحالين وهو الانتفاع بالتذكرة ونبَّه على الأخرى .

ونقل القرطبى عن الجرجانى قوله: التذكير واجب وإن لم ينفع.

* ونقل الشوكانى فى « فتح القدير » عن الواحدى قوله: (إن نفعت وإن لم تنفع لأن النبى ﷺ بُعث مبلغًا للإعذار والإنذار فعليه التذكير فى كل حال نفع أو لم ينفع) . .

واختار الشوكانى هذا القول الذى ذهب إليه الواحدى والجرجانى وقال :وقد سبقهما إلى القول به الفراء والنحاس .

قلت : ويتأيد هذا بقوله تعالى: ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾

وقول قوم نوحٍ لنوحٍ عليه السلام : ﴿ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا ﴾

وقول نوح عليه السلام: ﴿ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾

* وقال بعض أهل العلم ماحاصله إن تخلف قوله إن نفعت الذكرى لاتأثير له فى التذكير، فالمعنى (فذكر) .

أما قوله : ﴿ . . إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴾

فهو كقوله تعالى: ﴿ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾ فى قوله تعالى: ﴿ وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾

* ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ فإن القصر جائز [١] وإن لم يوجد الخوف .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾

---

(١) وقد أوجبه بعض العلماء.

والرهن جائز مع الكتابة .

وقوله تعالى: ﴿ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ والمراجعة جائزة بدون هذا الظن .

وقوله تعالى ﴿ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾

* ومن العلماء من فَصَّلَ فى مسألة النُّصح فقال إن المدعوين من الناس على أقسام:

* **القسم الأول** :قسم يترجح لدى الناصح أنهم ينتفعون بالذكرى وهم أهل الإيمان ، فهؤلاء يُذَكَّروا كما قال الله تعالى ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾

وكما قال تعالى : ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾

* **القسم الثانى** :قسم مقطوع بعدم نفعه كمن بُيِّن له مرارا وتكراراً فما وُجد منه إلا السخرية والاستهزاء من الدين ومحاربة أهله ومحاربة الواعظين ، فهذا لانفع فى تذكيره[1]

* **القسم الثالث**:قسم يظن أنه قد يتعظ وقد لايتعظ،فهذا أيضا يذكر، والله تعالى أعلم .

* وقوله تعالى:﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴾ أى سيتعظ ويعتبر من فى قلبه خشية لله سبحانه وتعالى .

---

(١) وقد قال موسى ﷺ ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴾

﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى (١١) الَّذِى يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴾

أما الأشقى فهو الكافر الشقى المجرم ، فهذا الذى سيدخل نار جهنم ، تلك النار الكبرى، هذا الكافر الذى سيحرم فضل الذكرى ولن ينتفع بها ولن تؤثر فيه المواعظ ولن تُجدى معه الآيات ، هذا هو الذى سيتجنب الذكرى ويبتعد عنها وينفر منها .

* أما قوله ﴿ ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ ﴾

فالمراد منه بيان حال الكافر فى النار، وكما قال تعالى: ﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾

وكما قال سبحانه : ﴿ لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾

وقال النبى ﷺ: « **وأما أهل النار الذين هم أهلها لايموتون ولايحيون** »

وكما قال بعض العلماء : إن نفس الكافر تقف فى حلقه (فى النار) فلا تخرج فتفارقه فيموت ولاترجع إلى موضعها من الجسم فيحيا .

* ثم يبين الله سبحانه وتعالى أنه قد أفلح ونجح وفاز وأدرك مطلبه ونجا من المخاطر من تزكى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ أى من تطهر من الكفر والشرك والمعاصى ، ووحَّد الله وعمل بشرائعه ، وتكثر من التقوى وطهَّر نفسه من الأخلاق الرذيلة وأدى زكاة أمواله .

﴿ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ أى ذكر ربَّه فخافه فعبده ووحَّدَه ودعاه وصلى له الفرض والنفل وذكره فى صلاته .

* وقوله ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾

معناه أنكم لا تقبلون على التزكى وذكر اسم ربكم والصلاة ولكنكم تفضِّلون وتقدمون الحياة الدنيا وتؤثرون لذَّاتها الفانية مع أن الآخرة خير لكم وأبقى فالدنيا فانية زائلة أما الآخرة فهى الباقية كما قال تعالى ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾

وكما قال تعالى: ﴿ كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ ﴾

أما المخاطب بالآية الكريمة فلأهل العلم فيها قولان :

أحدهما: أن المراد بالآية الكفرة ،والمراد بإيثار الحياة الدنيا الرضا بها والاطمئنان إليها والاعراض عن الآخرة وترك العمل لها كما قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾

الثانى: أن المراد جميع الناس مؤمنهم وكافرهم ،والمراد بإيثارهم الحياة الدنيا أعم مما ذكر فيدخل فيه التوجه إلى الدنيا وتحصيل منافعها والاهتمام بها اهتماماً زائد أكثر من الاهتمام بالطاعات، كالظاهر من حال كثير من الناس ترى الرجل يهتم بعمله الدنيوى ويحرص على الاستيقاظ مبكراً له أكثر من حرصه على الصلاة المكتوبة، وآخر يحرص على جمع المال أكثر من حرصه على جمع الحسنات . . .

وهكذا، والله أعلم .

* قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ أى أن هذا المذكور فى هذه السورة من إيثار الحياة الدنيا وترك الإقبال على الآخرة، وعموم ما ذُكر فى هذه السورة، كل ذلك مذكور فى الصحف الأولى التى نزلت على ابراهيم ونزلت على موسى عليهما السلام .

*****

﴿ معانى مفردات السورة الكريمة ﴾

الكلمة	معناها
سَبِّحِ	نزِّه ـ عظِّم ـ مجِّد
سَوَّىٰ	سوى الخلق وعدله
الْمَرْعَىٰ	النبات والعشب
غُثَاءً	يابساً جافاً
أَحْوَىٰ	أسوداً بعد الإخضرار
نُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ	نسهلك لعمل الخير
سَيَذَّكَّرُ	سيتعظ ويعتبر
أَفْلَحَ	فاز ونجح
تَزَكَّىٰ	تطهر من الكفر والمعاصى
تُؤْثِرُونَ	تقدمون ـ تفضلون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾

***

هذه السورة أيضاً كان النبى ﷺ يقرأ بها فى الجُمع والأعياد كما تقدم فى سورة الأعلى .

يقول الله سبحانه : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ هل وصل إلى علمك ونما إليه الحديث عن يوم القيامة وعن النار ؟!! والغرض من الاستفهام التنبيه على عِظم يوم القيامة وعِظم ما فيه والنار وشدتها.

إن لم يكن الحديث عن الغاشية قد وصلك فها هو الحديث عنها وها هى أخبارها، ومن العلماء من يقول إن ﴿ هَلْ ﴾ هنا بمعنى (قد) فالمعنى قد أتاك حديث الغاشية وها هو وها هى مشاهده.

* ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴾

وجوه الكفار والعصاة والمجرمين فى هذا اليوم ذليلة مُهانة، فالغاشية قد غشيتهم بالأهوال وأنواع الكروب والبلاء، وأيضاً نار تغشى وجوه الكفار باللفح فى الوجوه والشواظ. كما قال تعالى: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾

وكما قال: ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾

آثار المعاصى والذنوب والشرك والجرائم قد غشيت الوجوه وغطتها وكذلك غشيت تلك الوجوه النار، هذه الوجوه التى لم تخشع لله فى الدنيا تُذَل وتنكسر يوم القيامة.

* وقوله تعالى: ﴿ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴾ مفاده أن أصحاب هذه الوجوه الذليلة الحقيرة الخاشعة يعملون ويتعبون يوم القيامة، ويظهر على وجوههم أثر التعب والنصب والإرهاق فإن قيل فما هو العمل الذى يعمله أهل النار وقد دخلوا النار ؟

فالإجابة أن العذاب الذى هم فيه أشد وأشق من أى عمل ثم إنهم أيضاً يعملون فدعاؤهم على أنفسهم بالهلاك عمل ولعنهم لبعضهم البعض عمل ، والصعود الذي يصعدونه فى النار عملٌ وإرهاقٌ كما

قال تعالى ﴿ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴾

* ﴿ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾ هذه الوجوه تدخل وتذوق وتردْ ناراً حامية كما أحميت وأُججت، هذا هو مأواهم، مأواهم النار الحامية.

﴿ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴾

أما شرابهم، شراب أصحاب هذه الوجوه الذليلة الحقيرة، فمن عين ساخنة سُخِّنت لأعلى درجات الحرارة، أما طعامهم فهو من ضريع، ليس لهم إلا هذا الضريع.

﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ ⑥ لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴾

أما الضريع فهو نبات ذو شوكٍ يُقال له الشِّبرق وهو سمْ من السموم، وهو طعام من شر أنواع الطعام وأخبث أنواع الطعام، فإذا يبس يقال له الضريع، وتتنوع أطعمة الكفار فى النار، فمنهم من يأكل الضريع ليس له طعام إلا هو، ومنهم من يأكل الغسلين ليس له طعام إلا هو، كما قال تعالى: ﴿ وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ ﴾

ويقال أيضاً إنهم يمكثون مدة ليس لهم طعام إلا من الضريع، ومدة أخرى ليس لهم طعام إلا من الغسلين، وهل ترى أن هذا الطعام يسمن أو يُغنى من جوع ؟!!

كلا إنه ﴿ لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴾

أما أهل الإيمان فهذا حالهم وهذه وجوههم.

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ⑧ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴾

إنها وجوه ذات حُسنٍ وبهجة ونضـارة، إنها وجوه ناعمة، إنها وجوه قد ظهر عليها أثر النعيم ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾

إن أصحـاب هذه الوجوه قـد رضوا عن سعـيهم الذى سـعوه فى الدنيـا، وحمـدوا هذا السـعى، إنهم راضون عن أعـمـالهم الصالحـة وأقوالهم الطيـبة ، إنهم راضون عـن الإيمان الذى كانوا فيـه فى الدنيا وراضون بالإسـلام الذى اعتقدوه وتدينوا به لله رب العـالمين ، راضون بهذا لما رأوا العـواقب الحميدة بسـببه وفازوا بالمراتب العـالية من أجله فـقـد رضى الله عنهم وأرضـاهم وأجـزل لهم المثـوبة والعطاء على عملهم الصالح .

أما مستـقر هؤلاء فهم ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ إنه الجنان العالية، عالية المكان والقدر والمنزلة تلكم الجنان .

﴿ لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً ﴾

لا تسمع فى هذه الجنان كلمة لغوٍ ولا باطل، لا تسـمع فيها سبابٌ ولا شتائم! لا تسمع فيها إثم ولا زور .

قال تعالى: ﴿ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلاَّ قِيلاً سَلامًا سَلامًا ﴾

وقال سبحانه : ﴿ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلاَّ سَلامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾

فى هذه الجنان العالية عيون جارية.

﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴾

إنها عيون ﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً ﴾

وعينا تسمى التسنيم. كما قال تعالى: ﴿ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾ وأيضاً: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾ وكذلك: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾

* هذه الجنان ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴾

إنها سررٌ مرتفعة ليرى المؤمن إذا جلس عليها جميع ما خوَّله ربُّه من النعيم والملك والكرامة، إنها مرتفعة ليرى المؤمن فيها أحياناً أهل النار وهم يعذبون فيزداد حمداً وشكراً له كما قال تعالى: ﴿ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥) قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ (٥٦) وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾

وفى هذه الجنان ﴿ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴾

إنها أكواب جاهزة معدة حاضره قد وضعت على حافة العين الجارية كلما أرادوا الشرب وجدوها ملأى من الشراب .

وفيها أيضاً: ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴾

والنمارق هى الوسائد والمرافق التى يُرتفق عليها، أى يُتكأ عليها، وهذه الوسائد مصفوفة أى متجاورة بعضها إلى جانب بعض .

﴿ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾

أما الزرابى فهى الطنافس، وهى البُسط (جمع بساط) ، والسجاجيد

والفُرش التى لهما خملٌ رقيق، ويطلق عليها أيضاً عبقرى حسان، وهذه الزرابى مبثوثة أى منتشرة متفرقة وموزعة هنا وهناك ومبسوطة .

* ﴿ أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾

أفلا ينظر هؤلاء المنكرون للبعث والحساب إلى آيات الله عز وجل فى هذه الأشياء المحيطة بهم، أفلا ينظرون إلى عِظم خلق هذه الابل وكبير جثتها ومزيد قوتها وبديع أوصافها ؟!!

وإلى السماء فى ارتفاعها وعلوها وتلاصقها وتماسكها، مالها من فروج وما فيها من شقوق، أفلا ينظرون إلى الجبال الرواسى الثابتة الراسخة فى الأرض كيف نصبها الله وأقامها، تلكم الأوتاد التى ثبَّتَ الله بها الأرض حتى لا تميد بنا كما قال سبحانه: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ ﴾

أفلا ينظر هؤلاء إلى الأرض كيف سطحت أى جُعلت مسطحة ممهدة ، كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا ﴾

أفلا ينظرون إلى الفجاج والطرق التى جعلها الله فى الأرض حتى يسلكها العباد ويصلون إلى مصالحهم ويحصلون على منافعهم .

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ ﴾

فذكِّر هؤلاء يا محمد: ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾ إن مهمتك هى التذكير وليس لك تسلط على القلوب فأمر القلوب موكول إلى الله

سبحانه، أما أنت ﴿ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ ﴾

أى ليس لك سيطرة على القلوب ولن تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين.

﴿ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴾

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾

وقوله: ﴿ إِلاَّ مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ ﴾

معناه لكن من تولى وانصرف عنك وكفر بالله فيعذبه الله العذاب الأكبر ألا وهو عذاب جهنم .

﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴾

أى رجوعهم إلينا يوم القيامة.

﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ أى ثم إننا سنحاسبهم يوم القيامة، فحسابهم علينا ليس على غيرنا .

*****

﴿ معانى مفردات السورة الكريمة ﴾

الكلمة	معناها
الْغَاشِيَةِ	القيامة
خَاشِعَةٌ	ذليلة
عَامِلَةٌ	يعنى أنها تعمل
نَّاصِبَةٌ	متعبة ومرهقة
تَصْلَىٰ	تدخل ـ تذوق
آنِيَةٍ	بلغ حرُّها أعلاه
ضَرِيعٍ	نبات ذو شوك وسموم
نَّاعِمَةٌ	حسنة نضرة متنعمة
لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ	راضية عن عملها
لاغِيَةً	كلمةلغو ـ نفساً لاغية
نَمَارِقُ	وسائد ومرافق
مَصْفُوفَةٌ	متجاورة
زَرَابِيُّ	السجاجيد والبُسط
مَبْثُوثَةٌ	منتشرة ـ متفرقة
سُطِحَتْ	بسطت
إِيَابَهُمْ	رجوعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ۝٥ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ ۝٨ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ ۝١٠ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ۝١٤ فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ۝١٦ كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ۝١٧ وَلا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۝١٨ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا ۝١٩ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٠ كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝٢١ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ۝٢٣ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ۝٢٤ فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ۝٢٥ وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ۝٢٦ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۝٢٩ وَادْخُلِي جَنَّتِي ۝٣٠ ﴾

* * *

قال الله سبحانه: ﴿ وَالْفَجْرِ ۞ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۞ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۞ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۞ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾

يقسم الله سبحانه وتعالى لعباده بهذه الأشياء المذكورة، ألا وهى الفجر والليال العشر والشفع والوتر والليل عند ذهابه ومُضيِّه، ثم يقول سبحانه لعباده. هل فى هذا الذى أقسمت به قَسَمٌ كافٍ ومُقنع يكفى ويُقنع العقلاء الذين يعقلون عن الله سبحانه وتعالى ويفهمون أمره وما يريده منهم ؟!!

يقسم سبحانه بهذه الأشياء على أنه سبحانه وتعالى بالمرصاد يرصد الكافرين والظالمين ويُحصى أعمالهم ويكتبها عليهم، وعلى أنه سيبعث الناس يوم القيامة ويُجازى أهل الإحسان على إحسانهم وينتقم من أهل الشرك والإجرام لشركهم وإجرامهم .

* أما الفجر الذى يُقسم الله به فالمراد به وقت الفجر، والمراد به أيضاً صلاة الفجر، ومن العلماء من قال إنه فجر ليلة العاشر من ذى الحجة، ذلكم الفجر الذى يصليه الحجيج بمزدلفة بعد رجوعهم من عرفات ومبيتهم فى مزدلفة .

* أما المراد بالليال العشر فهى ليالى العشر الأول من شهر ذى الحجة، وقد ورد فى فضل الأيام العشر من ذى الحجة حديثٌ أخرجه البخارى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال : « **ما العمل فى أيام العشر أفضل من العمل فى هذه ،قالوا ولا**

الجهـاد؟قال ولا الجهاد إلا رجل خـرج يخاطر بنفسـه وماله فلم يرجع بشيء »[١].

ولفظ أبى داود[٢] بإسناد صحيح من حـديث ابن عباس رضى الله عنهما قال، قال رسول الله ﷺ: « **ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى اللـه من هذه الأيام** ». يعنى أيام العـشر، قالوا يـا رسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله ؟! قال: « **ولا الجهاد فى سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء** ».

* أما الشـفع والوتر فهما كل شـفعٍ وكل وترٍ، فالله سبـحانه وتر، كما قال رسول الله ﷺ: « **إن لله تسعـة وتسعين اسماً مـائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة إنه وتر يحب الوتر** »[٣].

والخلق كلهم شفع كمـا قال تعالى: ﴿ **وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ والشـفع أيـضـاً العـدد الزوجى، والـوتر العـدد الفردى، والشفع أيضاً يوم النحر لأنه يوم العاشر، والوتر يوم عرفة لأنه يوم التاسع، والصلوات منها شفعٌ ومنها وتر.

أما قوله تعالى: ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ** ﴾ فقد قدَّمنا معناه .

وقوله ﴿ **هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ** ﴾

أو قوله: ﴿ **لِّذِي حِجْرٍ** ﴾ أى لصاحب عقل.

---

(١) أخرجه البخارى (حديث ٩٦٩)

(٢) أخرجه أبو داود (٢٤٣٨).

(٣) اللفظ لمسلم (حديث ٢٠٦٣).

وقوله ﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ ﴾ أى هل فى ذلك قسمٌ كافٍ ومقنع لرجل عاقل * ثم ذكر الله سبحانه وتعالى أمثلةً لأهل البغى والظلم والطغيان ، وذكر سبحانه ما حلَّ بهم ونزل لما كفروا بنعم الله عليهم، فذكر عاداً وثمودَ وفرعون ذا الأوتاد فقال سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾

وقوله ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾ ألم تعلم يا محمد، ألم يبلغك يا محمد كيف فعل ربك بقبيلة عاد إرم، وإرم اسم للقبيلة على قول بعض العلماء تلك القبيلة الظالمة العاتية التى أمدها الله بالصحة والعافية ورزقها طولاً فى الأجسام وقوةً فى الأبدان كما وصفهم نبيهم فى قوله ﴿ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً ﴾

ولكن يا ترى كيف قابلوا هذه النعم هل شكروها ؟ أم جحدوا بها ،بل جحدوها واستطالوا على الخلق والخالق وقالوا من أشد منا قوة.

وقوله تعالى: ﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ تلك القبيلة ذات العماد كانوا يحملون معهم العُمدُ الطويلة (جمع عمود) ينصبون عليها خيامهم أثناء ترحالهم، ألم تر كيف فعل الله بهم: ﴿ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا

صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾

* وهؤلاء ثمود أيضاً ﴿ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴾

الذين قطّعوا الصخور وخرقوها ونحتوها واتخذوها بيوتا، كما قال تعالى ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴾ ألم تعلم ما حلَّ بهم؟!!

﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ ﴾ هذا الظالم الطاغى الباغى، ألم تر كيف فعل ربك به وماذا حل عليه من العذاب ؟!! هذا الطاغى كانت له أوتاد يصلب عليها الرجال، وكانت له أوتاد يبنى عليها الخيام ويلعب تحتها، وكانت له أوتاد (**أعمده وأساسات**) يبنى عليها البنيان، ومن أهل العلم المعاصرين من أشار إلى أنه لايمتنع أن تحمل الأوتاد على الأهرامات فهى شبيهة بالجبال، وقد قال الله فى شأن الجبال، ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾

هؤلاء الظلمة جميعا (**عاد وثمود وفرعون**) هم ﴿ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾

أنزل الله بهم نقمته وأحل عليهم عذابه كما قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (٤) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾

وكما قال سبحانه فى شأن فرعون : ﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ

وَالأُولَىٰ ﴾

* ثم بيَّن الله عز وجل حال الانسان عند اختباره إياه، فالله سبحانه يبتلى الانسان بالخير والشر والغنى والفقر كما قال سبحانه ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾

يبتلى الله الانسان فإذا ابتلاه بالنعم واختبره بها وتفضَّل عليه بالمال ووسَّع عليه فيظن الإنسان أن الله سبحانه أكرمه بهذه الكرامة وأنه جدير بها وأن الله عز وجل يحبه لما أكرمه بهذا الكرامة.

كما قال سبحانه: ﴿ فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴾

أى إذا ضيَّق عليه ربُّه فى الأرزاق يظن أن هذا التضييق إهانة من الله سبحانه وتعالى له، وينسى هذا الإنسان أن الله عزَّ وجل يُنزِّل بقدر ما يشاء، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ﴾ هذا هو ظن الإنسان وهذا تفكيره.

فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ كَلاَّ ﴾ أى ليس الأمر كما يظن هذا الإنسان من أن الغنى إكرام والفقر إهانة، وإنما أكرم من أكرمت بطاعتى، وأهين من أهنت بمعصيتى، فالكرامة كل الكرامة فى طاعة الله، والإهانة فى معصية الله سبحانه وتعالى، فلا يظن ظآن أن المال خير للعبد فى كل الأحوال ولا يظن أن الفقر شرٌّ فى كل الأحوال.

قال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ ﴾

وقال سبحانه: ﴿ فَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾

فلا يظن الإنسان أبداً أن الكرامة والإهانة بالمال، إننى إذا أهنت شخصاً فإنما أهينه لكونه يعصينى، لكونه لا يكرم اليتيم ولا يحضُّ الناس ولا يحثهم على طعام المسكين، كما قال تعالى: ﴿ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾

أى وتأكلون ميراث الضعفاء من النساء والصبيان والضعفة ﴿ أَكْلاً لَّمًّا ﴾ أى شديداً وتحبون المال (حبا جما) أى كثيراً.

* ﴿ كَلاَّ ﴾ فليس هذا هو التصرف الصحيح الذى تتصرفونه، ليس تصرفاً صحيحاً ما صنعتموه من أكل مال اليتيم ولا من ترك الحض على إطعام المساكين، ليس تصرفاً صحيحاً حبُّ المال بهذه الدرجة الكبيرة، ليس تصرفاً صحيحا أن تأكلوا ميراث غيركم .

﴿ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾ فإذا رجت الأرض رجاً، وزلزلت زلزلةً زلزلةً وجُعل عاليها سافلها، والدك الكسر والدق.

وجاء ربك والملائكة صفوفا صفوفاً كما قال سبحانه فى الآية الأخرى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴾

* ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ﴾

يؤتى بهـا ولها سـبعون ألف زمـام مع كل زمام سـبعـون ألف ملك يجرونها » كما ورد ذلك فى صحيح مسلم[1] عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ، وقد رُوى هذا الحديث موقـوفاً على ابن مسعود من قوله ولكنه لا يُقال من قبيل الرأى

﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴾

أى يوم القيـامة يتـذكر الانسـان ويتعظ ويعـتبر ولكـن من أى وجه يحدث له الانتـفاع بهذه التذكرة وبهـذا الاتعاظ والاعتبـار ؟ فلا وجه حـينئذ للانتـفاع بالمواعظ فـقد قـضى الأمـر ولا ينفع الظالمين يومئـذ معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار.

﴿ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾ يا ليتنى قدمـت لحياتى الأبدية - التى هى الآخرة - التى لا موت بعدها من الأعمـال الصالحة ما ينفعنى وينجينى من غضب الله ويورثنى رضوانه.

وقوله ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴾

فمـعناه فيومـئذ لا يعذب كعـذاب الله أحدٌ، ولا يوثق كوثاقـه أحد

(١) مسلم (٢٨٤٢).

فعذاب الله يوم القيامة لمن أراد له العذاب ليس كعذاب بعضكم لبعضٍ فى الدنيا، ووثاق الله عز وجل يوم القيامة ليس كوثاق بعضكم لبعض فى الدنيا.

* ومن العلماء من قال: لا يُعذَّب كعذاب هذا الكافر المعين أحد ولا يوثق بالسلاسل والأغلال كوثاقه أحد لتناهيه فى الكفر والفساد، وقيل المعنى لا يعذب مكانه أحد ولا يوثق مكانه أحد. فلا تؤخذ منه فدية كما قال تعالى: ﴿ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾

* ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ إلى وعد الله الذى وعد به أهل الإيمان فى الدنيا من أنه سيكرمهم فى الآخرة، يا أيتها النفس المصدقة بأن الله ربها ، يا أيتها النفس المطمئنة بذكر الله الراضية بقضائه وقدره. أما متى هذا القول: قال بعض العلماء إنه عند الموت والخروج من الدنيا ، وقال آخرون هذا عند البعث ، وقال غيرهم إنه عند دخول الجنة .

﴿ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ ارجعى أيتها النفس إلى الله عز وجل وقال أخرون ارجعى إلى جسد العبد .

﴿ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ ادخلى أيتها النفس المطمئنة فى زمرة عبادى الصالحين وجملتهم وفيما أعددته لهم، وانضمى إليهم وانتظمى فى سلكهم .

* وادخلى أيتها النفس المطمئنة فى جسد عبدى .

﴿ معانى مفردات السورة الكريمة ﴾

الكلمة	معناها
يَسْرِ	يذهب ويمضى
لِّذِي حِجْرٍ	لصاحب عقل
أَلَمْ تَرَ	ألم تعلم
إِرَمَ	بلدة ـ قبيلة
ذَاتِ الْعِمَادِ	ذات الطول
جَابُوا	خرقوا ـ قطّعوا
الأَوْتَادِ	جمع وتد (يعذب عليه الناس)
ابْتَلاهُ	اختبره
قَدَّرَ	ضيَّق
تحَاضُونَ	يحث بعضكم بعضا
التُّرَاثَ	الميراث
لَّمًّا	شديداً
جَمًّا	كثيراً
دَكًّا دَكًّا	رجاً رجاً
الْمَلَكُ	الملائكة
الْمُطْمَئِنَّةُ	المصدقة والراضية والمطمئنة بذكر الله

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ① وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ② وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ③ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ④ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ⑤ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَدًا ⑥ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ ⑦ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ⑧ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ⑨ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ⑩ فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ⑪ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ⑫ فَكُّ رَقَبَةٍ ⑬ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ⑭ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ⑮ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ⑯ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ⑰ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ⑱ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ⑲ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ⑳ ﴾

* * *

يقول سبحانه ﴿ لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ① وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ② وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ③ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾

أما قوله ﴿ لا ﴾ فقد تقدم الكلام عليه بما حاصله أن من أهل العلم من قال إن ﴿ لا ﴾ زائدة كما فى قوله: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾

وقال آخرون إنها لنفى شىء متقدم، فكأنهم أنكروا البعث فقيل لهم لا تنكروا البعث ثم أقسم . . .

ومن العلماء من قال إن ﴿ لا ﴾ هنا على بابها ، فالمعنى لأقسم بهذا البلد أثناء تواجدك فيه وهو حلالٌ لك .

وعلى كلٍ فقوله تعالى: ﴿ لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ على رأى الجمهور معناه أُقسم بهذا البلد، فيقسم الله سبحانه وتعالى بمكة البلد الحرام فى الوقت الذى أحلها لنبيه ﷺ يصنع فيها ما يشاء من غير مؤاخذة، فقد كانت مكة بلداً حراماً لا يحل لأحد أن يحمل فيها سلاحاً ولا يسفك بها دماً كما فى الصحيحين[1] من حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال يوم فتح مكة: « **إن هذا البلد حرَّمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة وإنه لم يحل القتال فيه لأحدٍ قبلى ولم يحل لى إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا يُنفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرَّفها ولا يختلى خلاها** » فقال العباس يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقينهم ولبيوتهم فقال « **إلا الإذخر** ».

ففى هذا الحديث أن مكة أُحلت لرسول الله ﷺ ساعةً من نهار يصنع فيها ما يشاء ويقتل من يشاء ويستحيى من يشاء، فأقسم الله سبحانه وتعالى بالبلد (**وهى مكة**) أثناء إحلالها لرسول الله ﷺ، فالمعنى أقسم بهذا البلد أثناء تواجدك فيها وإحلالها لك .

أما قوله ﴿ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾

---

(١) أخرجه البخارى (حديث ١٥٨٧) ومسلم (حديث ١٣٥٣).

فمعناه وأنت برىء من الإثم والحرج ولا تؤاخذ بما يؤاخذ به غيرك إذا حملت فيها السلاح أو قتلت من تشاء من الكفار .

فقوله: ﴿ وَأَنْتَ حِلٌّ ﴾أى وأنت فى حِلٍ،أى لست بآثمٍ.

أما قوله ﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾ فيقسم الله بكل والدٍ وولده،فيدخل فى هذا آدم وذريته،وإبراهيم وذريته .

* يقسم الله سبحانه وتعالى بهذا على أنه خلق الانسان (فى كبد) أى فى تعب ومشقة.

* هذا الكبد كما قدمنا هو العناء والمشقة والجهد،وقد لخص القرطبى ذلك فقال:قال علماؤنا :أول ما يكابد قطع سرَّته،ثم إذا قُمطَ قِمَاطا،وشدَّ رباطا،يكابد الضيق والتعب،ثم يكابد الارتضاع،ولو فاته لضاع،ثم يكابد نبت أسنانه ،وتحرك لسانه،ثم يكابد الفطام،الذى هو أشد من اللطام،ثم يكابد الختان،والأوجاع والأحزان،ثم يكابد المعلم وصولته،والمؤدب وسياسته،والأستاذ وهيبته،ثم يكابد شغل التزويج والتعجيل فيه،ثم يكابد شغل الأولاد،والخدم والأجناد،ثم يكابد شغل الدور،وبناء القصور،ثم الكبر والهرم،وضعف الركبة والقدم،فى مصائب يكثر تعدادها،ونوائب يطول إيرادها،من صداع الرأس، ووجع الأضراس ،ورمد العين،وغم الدَّيْنَ ،ووجع السن،وألم الأذن،ويكابد مِحَناً فى المال والنفس،مثل الضرب والحبس،ولا يمضى عليه يوم إلا يقاسى فيه شدة،ولا يكابد إلا

مشقة، ثم الموت بعد ذلك كله، ثم مساءلة الملك، وضغطة القبر وظلمته، ثم البعث والعرض على الله، إلى أن يستقر به القرار، إما فى الجنة وإما فى النار.

قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ فلو كان الأمر إليه لما اختار هذه الشدائد. وَدَلَّ هذا على أن له خالقاً دَبَّره، وقضى عليه بهذه الأحوال، فليمتثل أمره .

﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾

أيظن هذا الانسان بعد أن خلقناه فى هذا الكبد الذى لا يستطيع دفعه عن نفسه أن لن يغلبه ولن يقهره أحدٌ ، إنه إن نظر فى نفسه وجد أن أقدار الله سبحانه وتعالى من صحة ومرض وفقرٍ وغنى وكِبْرٍ وهرم ومصائب وأحداث كل ذلك يجرى عليه رغم أنفه، ومع ذلك لا يتَّعِظْ بل يظن أنه لن يُغلب ولن يُقهر ولن يُعاقب ولن تتغير أحواله من القوة إلى الضعف ومن الصحة إلى المرض ـ ومن الاغترار بالأهل والعشيرة إلى الوحدة والانفراد والبعد عن الخلان والإخوان.

﴿ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَدًا ﴾ يقول الكافر إننى أنفقت مالاً ﴿ لُّبَدًا ﴾ أى كثيرا فى عداوة محمد وفى حرب الإسلام، ويقول المنافق أنفقت مالاً كثيراً لنصرة هذا الدين .

﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴾ أيظن هذا الكافر ويظن المنافق أن أمره يخفى وليس هناك من يطَّلع عليه ويراقبه ؟!!

﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾ إذا كان هذا الكافر يظن أن أحداً لم يره فقد أخطأ الظن فقد جعلنا له عينين ولساناً وشفتين، وكل ذلك يشهد عليه يوم القيامة، كما قال تعالى : ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢١ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢٢ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

فالأيدى تشهد يوم القيامة، وكذلك الأرجل، وكذلك الألسن، كل ذلك يشهد على ابن آدم بما قدَّم وصنع، ألا فليحذر الغافلون !!

ألا فليدرك هذا المنافق أيضاً الذى يظن أنه أنفق أموالاً طائلة لنصرة الدين ليدرك أن نعَمَ الله عليه أعظم وأوسع وأكثر مما أنفقه فقد جعلنا له عينين ولساناً وشفتين .

وقوله تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾

من نعَمِ الله على العبد أيضاً فقد أوضح الله له الطريقين طريق الخير وطريق الشر .

كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾

وقوله : ﴿ فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴾

ولكن مع إنعامنا عليـه بهذه النِّعْم وتفضّلْنا عليه بهـذه الأفضال لم يعمل أعمالاً صالحة تجعله ـ يتخطى العقبة التى فى النار (ومن العلماء من قال إنها جبل فى النار ومنهم من قال هى الصراط)،ويمر بها مروراً سريعاً ويتجاوزها وينجو منها.

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴾ إنها عقبة خطيرة،إنها عقبة كبيرة.

﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾

هذه هى الأعمـال التى تجعل صاحـبها يتـخطى العقبة ويـقتحمـها ويتجاوزها ،هذه هى الأعمال التى لم يعملها هذا الكافر والمنافق ومن ثمَّ سيسـقط فى الجحيم،هذه الأعمـال المنجية هى ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾ أى عتق العبيـد وتحرير الرقاب،فلم يفك الكافر رقبة عـبدٍ ولم يساهم فى ذلك ولو باليسير،لم يدفع شيئا من ماله لشراء عبدٍ أو أَمَةَ ولتحريرهما من الرِّق وذل العبودية للبشر .

﴿ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴾

لم يطعم هذا الكافر أقاربه الأيتام ولا المساكين الفقراء شديدى الفقر فى أيام المجـاعات،فـالأعمـال التى تنجى من العـقبـة إطعام الأيتـام والمساكين والفقراء الذين ألصقهم الفقر بالتراب .

وقوله ﴿ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴾ أى ذى مجاعة أى فى أيام المجاعات.

وقوله ﴿ ذَا مَقْرَبَةٍ ﴾ أى قريباً له .

وقوله ﴿ ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ أى لا يملك إلا التراب

﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾

إن الكافر لم يحرص على أن يكون من المؤمنين الذين يتواصون فيما بينهم بالصبر على المحن والشدائد والبلايا والمصائب، لم يكن من الذين يتواصون أيضاً بالصبر على الطاعات، ولم يكن كذلك من الذين يتواصون فيما بينهم برحمة الناس والإحسان إليهم والرفق بهم إن الكافر والمنافق لم يحرص على هذه الأعمال التى تجعله يقتحم العقبة ويمر بها وينجو منها .

* أما أهل الإيمان أصحاب اليمين ﴿ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ فهم الذين سعوا فى تحرير الرقاب وفكها، هم الذين أطعموا الطعام فى أيام المجاعات يبتغون بذلك وجه ربهم ويخافون يوماً عبوساً قمطريراً، إنهم الذين أطعموا أقاربهم الأيتام وسائر المساكين وأهل الاحتياج، إنهم الذين كانوا يتواصون فيما بينهم بالصبر ويحض بعضهم بعضاً عليه ويحض بعضهم بعضاً على رحمة الناس والرفق بهم ، والعفو عنهم، حقاً إنهم أهل إيمان إنهم أصحاب اليمين الذين يتلقون كتبهم بأيمانهم . ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ⑲ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾ لكن الذين كفروا بآيات الله وجحدوا بها والذين لم يقدموا

أعمالاً صالحة تُيسر لهم اقتحام العقبة فلم يطعموا اليتيم ولا المسكين ولم يتواصوا بالصبر ولم يتواصوا برحمة الناس والرفق بهم هم أصحاب المشأمة أصحاب الشمال الذين يتلقون كتبهم بشمالهم من وراء ظهورهم .

﴿ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴾ أى مطبقة مغلقة عليهم .

*****

﴿ معانى مفردات السورة الكريمة ﴾

الكلمة	معناها
حِلٌّ	فى حل ـ لست بآثم
كَبَد	مشقة وعناء وتعب
هَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ	وضحنا له طريق الخير وطريق الشر
الْعَقَبَةَ	عقبة فى جهنم، قيل جبل وقيل الصراط
فَكُّ رَقَبَةٍ	عتق عبدٍ أو أمة
مَسْغَبَةٍ	مجاعة
ذَا مَقْرَبَةٍ	ذا قرابة
ذَا مَتْرَبَةٍ	ذا فقر شديد
تَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ	أوصى بعضهم بعضا برحمة الناس
أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ	أصحاب اليمين
أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ	أصحاب الشمال
مُّؤْصَدَةٌ	مغلقة مطبقة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا (١٥) ﴾

* * *

يقول سبحانه: ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾

يُقسم الله سبحانه وتعالى فى هذه الآيات الكريمة بالشمس وضحاها، وهو ضوؤها المنتشر، وبالقمر إذا تلاها أى تبعها، وبالنهار إذا جلاَّها أى أوضح الأرض وجلَّى الظلمة عنها أى أذهب عنها الظلام، وجلَّى الشمس كذلك أى أوضحها وأظهرها.

ويُقْسم ربنا كذلك بالليل إذا يغشاها أى غطاها بظلامه أى غطى الأرض والشمس بظلامه، ويقسم كذلك سبحانه وتعالى بالسماء .

﴿ وَمَا بَنَاهَا ﴾ أى والذى بناها، أى خلقها وجعلها سقفاً للأرض .

ويُقْسم سبحانه كذلك بـ ﴿ وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴾

أى يُقْسم بالأرض وبالذى بسطها يمينا وشمالاً ومن كل جانب ، ويقسم كذلك بنفس وما سواها أى والذي عدل خَلْقها وخَلَقها فى أحسن تقويم

﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ أى بيَّن لها ووضَّح لها ما تكون به شقية فاجرة وما تكون به تقية صالحة، وكذلك جعل فيها الفجور أو التقوى.

* يُقْسم الله سبحانه بهذه الأشياء على أنه قد (أفلح) أى فاز بالمطلوب وهو الجنة، ونجا من المرهوب، وهو النار من زكا نفسه أى طهرها من الكفر والمعاصى والذنوب والآثام، وأصلحها بالأعمال الصالحة وبطاعة الله عز وجل . . .

﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ أى وقد خسر من أخفى نفسه عن الخير وأبعدها عن الصلاح وصدَّها عن الهدى حتى وقع فى المعاصى وترك طاعة الله عز وجل .

* ثم ذكر الله سبحانه وتعالى تلك القبيلة الطاغية قبيلة ثمود التى كانت تسكن فى الحجر قريبا من بلاد تبوك، تلك القبيلة التى طغت

طغيانا كبيراً حملها هذا الطغيان على تكذيب المرسلين والكفر برب العالمين، والتكذيب بالبعث وبالقارعة، كما قال تعالى ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴾

وحملها هذا الطغيان على عقر الناقة التى أخرجها الله سبحانه وتعالى لهم دالة على صدق نبيهم صالح عليه السلام .

كما قال الله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ⑪ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴾ فخرج أشقى رجلٍ فى هذه القبيلة كما جاء فى « الصحيحين »[١] وغيرهما عن رسول الله ﷺ، أنه قال: ﴿ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴾ انبعث لها رجل عارمٌ عزيزٌ منيع فى رهطة كأبى زمعة. انبعث هذا الرجل أى نهض وخرج لقتل الناقة فحذرهم نبيهم ﷺ من قتلها وذكَّرهم بحقها وحق الله عز وجل فيها وأنها ناقة الله .

﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴾

أى قال لهم نبيهم صالح عليه السلام يا قوم هذه ناقة الله[٢] فاحذروها ولا تعتدوا عليها ولاتمسوها بسوء.

واحذروا أيضاً ﴿ سُقْيَاهَا ﴾

أى الماء الذى تشرب منه فلا تشربوا من البئر فى اليوم المخصص للناقة أن تشرب منه، كما فى الآية الأخرى: ﴿ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ

---

(١) البخاري (حديث٤٩٤٢) ومسلم (حديث ٢٨٥٥) من حديث عبد الله بن زمعة مرفوعا.
(٢) وخُصَّت هذه الناقة بأنها ناقة الله مع أن كل النوق لله وكل شيء لله، لتشريفها، كما شرفت المساجد فى قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ﴾ مع أن الأرض كلها لله .

وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (١٥٥) وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾

واستمر نبيهم فى التحذير والإنذار، ولكنهم كذَّبوه واجتمعت كلمتهم على قتلها وندبوا لها هذا الرجل الشقى أشقى القبيلة ورشحوه لقتلها فعقرها وقتلها، كما قال سبحانه ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ﴾

فنسب العقر إليهم جميعا لما تواطئوا على قتلها ووافقوا على ذلك، فمن المعلوم أن الشخص إذا ارتكب معصية وأقرَّه قومه حملوا معه قسطاً من الاثم ونزلت عليهم جميعاً العقوبة.

ومن الأدلة على ذلك، قوله تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ﴾

فنسب العقر إليهم جميعاً مع أن الذى عقرها واحد، لكن لما أقرُّوه على فعله ولم يمنعوه منه كانوا مشاركين له فى الفعل ونسب العقر إليهم جميعا .

* ومن الأدلة أيضاً قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾

* وقوله عليه الصلاة والسلام: « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة .... الحديث »[1].

---

(١) أخرجه البخارى (٢٤٩٣) من حديث النعمان بن بشير رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً. »

* وقوله عليه الصلاة والسلام: « إن الناس إذا رأو الظالم فلم يأخذوا على يديه أو شك أن يعمهم الله بعقابه »[(١)].

﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴾ فدمَّر الله عليهم بلادهم وأرسل عليهم رجفةً فأهلكتهم بسبب هذا الذنب العظيم ألا وهو الكفر بالله وتكذيب المرسلين وعقر ناقة الله عز وجل، فدمرت عليهم منازلهم وهدمت البيوت وسويت بالأرض.

وأما قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾ فجمهور المفسرين على أن المراد أن الله سبحانه وتعالى لا يخاف عاقبة الذى صنعه بقبيلة ثمود من إنزاله العذاب عليهم، ومن العلماء من قال إن المراد أن صالحاً عليه السلام لا يخاف من أحد عاقبة ما أحله الله بثمود .

* والقول الثالث: أن أشقى ثمود وهو الذى عقر الناقة عقرها وهو لا يخشى الله ولا يخاف العقوبة من قتلها .

*****

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند (١/ ٢و٥و٧و٩) وأبو داود فى الملاحم (٤٣٣٨) وابن ماجة (٤٠٠٥) والترمذى (مع تحفة الأحوذى ٦/ ٣٨٨)، وعبد بن حميد فى المنتخب (بتحقيقى رقم ١) باسناد صحيح من حديث أبى بكر رضى الله عنه عن النبى ﷺ. وقد روى الحديث موقوفاً ومرفوعاً، ولمزيد من الكلام عليه انظر تعليقى على حديث رقم (١) من المنتخب لعبد بن حميد .

﴿ معانى مفردات السورة الكريمة ﴾

الكلمة	معناها
تَلاهَا	تبعها
جَلاَّهَا	أظهرها ـ أضاءها
يَغْشَاهَا	يغطيها حتى تغيب
طَحَاهَا	بسطها
سَوَّاهَا	عدَّل خلقها
أَلْهَمَهَا	بيَّن لها ـ جعل فيها
زَكَّاهَا	طهرها من الكفر والمعاصى
دَسَّاهَا	أخفاها وأبعدها عن الخير
بِطَغْوَاهَا	بسبب طغيانها
انْبَعَثَ	نهض ـ خرج
دَمْدَمَ	دمر ـ أهلك

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ (٤) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ (١١) إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ (١٣) فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ (٢١) ﴾

* * *

يقول سبحانه: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾

يُقْسم الله سبحانه وتعالى ببعض آياته الكونية وهى الليل والنهار،فالليل والنهار آيتان من آيات الله كما قال الله سبحانه وتعالى ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾

كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ﴾ يُقْسم الله بالليل عند دخوله وتغطيته للنهار بظلمته وتغطيته للأرض والأشياء فقوله ﴿يَغْشَىٰ﴾ معناه يُغطى،ويقسم سبحانه بالنهار إذا تجلى أى إذا أضاء

وأنار وظهر للأبصار، ويقسم سبحانه بنفسه فيقول :

﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ ﴾ أى والذى خلق الذكر والأنثى، وهو سبحانه الذى خلق الذكر والأنثى، يقسم الله بذلك كله على: ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾ أى إن عملكم لمتنوع ومختلف، فمنكم من يعمل الصالحات ويعمل بعمل أهل السعادة، ومنكم من يقترف المحرمات ويعمل بعمل أهل الشقاوة .

وقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ أى وأما من أعطى المال وأنفقه فى سبيل الله واتقى الله واجتنب المحرمات .

﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ أى وصدق بالجنة وبأن وعد الله حق وأن الله يخلف على المنفق كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ أى سنهيئه لعمل الخير وعمل السعداء، فمن بدأ فى الخير وسعى فيه فتح الله له أبواباً أُخر من أبواب الخير وسهلها عليها وجعلها خفيفةً على قلبه سهلةً على بدنه.

كما قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾

* وقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾

أى بَخِلَ بما آتاه الله من فضله ولم ينفقه فى سبيل الله ولم يؤد حق

الله فيه من زكوات مفروضة وحقوقٍ للعباد واستغنى عن ربِّه عز وجل وظن أنه لا حاجة له فى ربِّه.

﴿ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾

أى وكذَّب بالجنان وما فيها من النعيم المقيم والثواب للمتصدقين المحسنين، وكذَّب بوعد الله بالخلف على المنفق فهذا قد قال الله فيه، ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾

أى سنهيئه لعمل الشر وعمل أهل الشقاوة وسنسهل عليه أعمال الشقاوة، تلكم الأعمال التى تؤدى بصاحبها إلى النار فمن سعى فى الشر فتحت له أبوابه، كما قال تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾

وكما قال سبحانه: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾

وكما قال سبحانه: ﴿ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا ﴾

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴾ أى أن هذا المال الذى بخل به صاحبه الكافر ولم ينفقه فى أبواب الخير لن يغنى عنه عند سقوطه فى جهنم، ودخوله النار، فبمجرد موته يذهب عنه هذا المال كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ﴾

وكما قال النبى ﷺ - فيما أخرجه مسلم من حديث أنس رضى

الله عنه: «يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد،يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله»[1].

ثم يبين الله سبحانه وتعالي أن أمر الهداية موكول إليه سبحانه وتعالى فلن يهتدى أحد إلا إذا هداه الله .

فيقول سبحانه: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴾وكذلك فإن الله يضل الظالمين ويفعل ما يشاء.

وهذا كما قال الله تعال: ﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾

وكما قال تعالى: ﴿ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ،وكما قال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾

وكما قال سبحانه: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾

فالهداية من عند الله سبحانه ،والمهتدى من هداه الله،ألا ترى أن نوحاً عليه السلام لم يستطع مع ولده شيئاً.

* وإبراهيم كذلك لم يستطع هداية أبيه .

* وكذلك امرأة نوحٍ وامرأة لوط كانتا تحت عَبْدَيْن صالحين من عباد الله فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين،ونبينا محمد ﷺ ألحَّ على عمه أبى طالب كى يُسلم فلم

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٠) من حديث أنس رضى الله عنه مرفوعاً .

ينتفع أبو طالب بذلك ونزل فيه، قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ فأمر الهداية موكول إلى الله سبحانه وتعالى كما بينا، فجدير بالعبد أن يطلبها من الله سبحانه وتعالى ويسلك الأسباب التى ينال بها هداية الله، ومن ذلك إنفاق المال فى سبل الخير، واتقاء المحرمات والتصديق بالحسنى، فإن هذه أسباب تُهيئه لعمل السعداء، كما قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾

* وقوله: ﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولَىٰ ﴾ يُفيد أن الأمر كله فى الدنيا والآخرة لله سبحانه وتعالى يهدى من يشاء ويضل من يشاء ويرحم من يشاء ويعذب من يشاء إليه يرجع الأمر كله ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴾ أما مهمة رسول الله فهى الإنذار ينذر ويحذر من تلك النار الكبرى التى تلظى وتتوهج، هذه النار لايدخلها ولا يُخلَّد فيها ويصلى سعيرها إلا الأشقى كما قال تعالى: ﴿ لا يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى ﴾ ﴿ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ ذلك الشقى الكافر الذى كذَّب بآيات الله وكذَّب المرسلين وكذَّب باليوم الآخر ﴿ وَتَوَلَّىٰ ﴾ أى وأعرض عن كتاب الله وعن رسول الله ﷺ، وليس معنى قوله ﴿لا يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى ﴾ إن الكافر هو الذى يدخل النار فقط، بل قد يدخلها مسلمون كذلك من المسرفين على أنفسهم الذين ظلموا العباد وسفكوا الدماء وأكلوا أموال الناس بالباطل كما ورد فى حديث المفلس وغيره من الأحاديث. لكن المراد

بقوله ﴿ لا يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى ﴾ أى لا يدخلها مخلداً فيها إلا الأشقى وهو الكافر، أما عصاة المسلمين فإنهم وإن عُذِّب بعضهم إلا أن مآلهم إلى الخروج منها ودخول الجنان

وقوله تعالى: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى ۝ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴾ أى وسيُبْعد عن هذه النار الكبرى التقى المؤمن الذى ينفق ماله فى سبيل الله وفى أوجه الخير ويطهر ماله من الحرام الذى يُدنِّسه ويتطهر هو أيضاً من الذنوب والمعاصى: ﴿ وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۝ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَىٰ ﴾ أى أن هذا المؤمن التقى لا ينتظر مجازاة من أحد من الخلق على المعروف الذى يصنعه والمال الذى ينفقه لكنه يريد فقط وجه الله بهذه الأعمال كما قال سبحانه: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا ﴾

وهكذا ينبغى دائماً أن تكون الأعمال كل الأعمال خالصة لوجه الله سبحانه وتعالى، ويطلب بها العبد ثواب الله وعظيم جزائه لا يطلب شيئاً من أحدٍ سواه. قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ فإذا صبر العبد على أى شيء فليكن صبره لله، لا ليُقال عنه إنه صابر ولا يصبر خوفاً على صحته من المرض، ولا يصبر تجلداً، إن صبره الذى يُثاب عليه ابتغاء وجه ربه.

* وفى الانفاق قال تعالى ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ

فَلا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾

فلابد ـ حتى يثبت الثواب ويكمل ـ من ابتغاء ثواب الله وإراده وجهه عز وجل .

* وفى الإصلاح يقول سبحانه ﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

فلابد من ابتغاء مرضات الله فى الإصلاح، فكم من مُصْلِحٍ لا أجر له وهو المصلح الذى يُصلح ليقال عنه مُصلح، أما المصلح الذى يُثاب ويؤجر فهو المصلح بين الناس ابتغاء مرضات الله .

وهكذا سائر الأمور والأعمال، فمن فعل ذلك ابتغاء وجه الله فسيرضيه الله، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ أى أن الله عز وجل سيرضى هذا التقى المؤمن ويُجازيه على إحسانه أحسن الجزاء وأجمل الجزاء وأكمل الجزاء .

*****

﴿ معانى مفردات السورة الكريمة ﴾

الكلمة	معناها
يَغْشَىٰ	يغطى
تَجَلَّىٰ	أضاء وأنار
سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ	عملكم لمختلف
نُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ	نهيئه لعمل الخير
تَرَدَّىٰ	سقط (فى جهنم)
تَلَظَّىٰ	تتوهج
يُؤْتِي	يعطى
يَتَزَكَّىٰ	يتطهر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ والضُّحَىٰ ① وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ② مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ③ وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَىٰ ④ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ⑤ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ⑥ وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَىٰ ⑦ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ ⑧ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ ⑨ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ ⑩ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ⑪ ﴾

* * *

يقول سبحانه ﴿ والضُّحَىٰ ① وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾

يُقْسم الله سبحانه وتعالى بالضحى وهو أول النهار وصدره، ومن العلماء من قال إنه النهار كله، ويُقْسم سبحانه بالليل إذا سجى أى إذا أقبل بظلامه وغطى الأشياء، يُقْسم الله سبحانه لنبيه ﷺ فيقول له :

﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾

أى ما تركك ربك ولا أبغضك ربك منذ أحبك ، وسبب ذلك ما أخرجه البخارى ومسلم من حديث جندب بن سفيان رضى الله عنه(١) قال اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً فجاءت امرأةٌ فقالت يا محمد إنى لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثاً. فأنزل الله عز وجل: ﴿ والضُّحَىٰ ① وَاللَّيْلِ إِذَا

(١) أخرجه البخارى (١٠/٣٣٩) ومسلم (١٢/١٥٦).

سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾

ثم أخبر الله نبيه ﷺ أن الدار الآخرة وما أُعد له فيها من الجنان والنعيم المقيم خيرٌ له من الحياة الدنيا فقال سبحانه:

﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴾

وكذلك حاله بعد مرضه وشكواه خيرٌ له من حاله قبل الشكوى والمرض .

ثم قال سبحانه : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾

فأخبر الله سبحانه نبيه ﷺ أنه سيعطيه أنواعاً من الخير وسائر أنواع العطاء حتى يرضي صلوات الله وسلامه عليه ومن هذا العطاء ما أخرجه البخارى من حديث جابر بن عبدالله رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: « **أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلى،نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل،وأُحلّت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى ،وأعطيت الشفاعة، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**»[1] .

* ومن ذلك القرآن والسبع المثانى[2]، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾

* ومن ذلك الكوثر ، قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾

---

(١) أخرجه البخارى (حديث ٣٣٥) ومسلم (حديث ٥٢١) .

(٢) وهى فاتحة الكتاب .

* ومن ذلك شهادة الرسول على أمته وشهادة أمته على سائر الأمم، قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

* ومن ذلك كونه ﷺ جُعل سيد ولد آدم، ومن ذلك المقام المحمود والحوض المورود ثم ذكَّر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بصنوفٍ من النعم التى أنعم بها عليه فقال سبحانه:

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ ﴾

فمن هذه النِّعم أنه وجده يتيماً فجعل له مأوى ومسكناً يسكن فيه وحبَّب فيه الخلق الذين قاموا بكفالته ورعايته، ومن هذه النعم أنه وجده ضالاً فهداه، فقد كان ضآلا عن أحكام الشريعة لا يدرى ما الكتاب ولا الإيمان ،كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ ﴾

وكما قال سبحانه : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾

* وقد ذكر بعض أهل العلم أنه عليه الصلاة والسلام ضلَّ فى بعض شعاب مكة فردَّه الله سبحانه وتعالى إلى أهله .

* ومن هذه النعم : ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ ﴾

أى أنه سبحانه وجدك فقيراً فأغناك وفتح عليك أنواعاً من

الفتوحات وزَوَّجك بخديجة رضى الله عنها تلك الزوجة الصالحة الرشيدة العاقلة، وكانت ذات مال فنفعك الله بمالها .

﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾

أى وكما كنت يتيماً فآواك الله وضالاً فهداك الله وعائلا فأغناك الله فلا تقهر اليتيم ولا تسىء معاملته، واذكر نعمة الله عليك ولا تنهر السائل .

﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ ﴾

سواء السائل المحتاج إلى المال أو السائل الذى يسأل عن دينه أو السائل الذى يسأل عن الطريق، أى سائل كان يسأل عن شىء ينفعه ويصلحه فلا تنهره ولا تدفعه ولا تغلظ له فى القول ولا تشتد عليه فى العُتب. اللهم إلا إذا كان هناك ما يستدعى ذلك .

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾

أى لا تكتم نِعَم الله عليك بل حدِّث بها واذكرها واشكر الله عليها وقد قال النبى ﷺ قال: « **إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده**»[1] أثرها عليه فى هيئته وزينته وسمته ولسانه وعمله، ألا فلا تنس نصيبك من الدنيا، وأيضاً فكن من الشاكرين وأحسن كما أحسن الله إليك، حَدِّث بنعمة الله عليك إلا إذا خشيت حسد الحاسدين فحينئذ اكتم

---

(١) * حسن لشواهده: أخرجه الترمذي (٢٨١٩) وأحمد (٢ / ١٨٢) ، (٢ / ٣١١)

النعمـة عنهم فهم يتـمنون لك زوال النِّعم كمـا قال يعقـوب ليوسف عليهما السلام :

﴿ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾

وكما قال النبى ﷺ:

« إذا رأى أحدكم ما يحب فلا يُحدِّث به إلا من يُحب »[1]

*****

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٠٢٤) ومسلم (ص ١٧٧٢) من حديث أبي قتادة - رضي الله عنه -.

﴿ معانى مفردات السورة الكريمة ﴾

الكلمة	معناها
الضُّحَىٰ	وقت الضحى
سَجَىٰ	غطى ـ أقبل بظلامه
وَدَّعَكَ	تركك
قَلَىٰ	أبغض
آوَىٰ	جعل لك مأوى
عَائِلاً	فقيراً ـ تعول غيرك
تَقْهَرْ	تسئ المعاملة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨ ﴾

* * *

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾

يُذكِّر اللهُ عز وجل نبيه ﷺ ببعض نعمه ومِنَنه عليه، فمن ذلك أنه شرح له صدره أى جعله فسيحاً رحيا يقبل تعاليم الدين ويستلذ بالطاعات، وَسَّع له صدره ونَوَّره فتدخل كل التكاليف وكل الأوامر والنواهى إلى صدره، وهو مرتاح لها متسعٌ لقبولها ،كما قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾

فبداية طريق الهداية يكون بشرح الصدر، ومن ثمَّ دعا موسى ﷺ ربه ـ لما كلفه الله بالذهاب إلى فرعون ـ فقال: ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝٢٥ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾

وشرح الله لنبينا صدره أيضاً ليلة الإسراء، وشرح الله له صدره أيضاً وهو صغير عند مرضعه، وقد ثبتت بذلك الأحاديث وصحت، ثبت فيها أن صدر رسول الله ﷺ شُرِحَ مرتين، الأولى منها وهو صغير يلعب مع الغلمان كما فى« صحيح مسلم »[١] من حديث أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم ثم لأَمَهُ[٢] ثم أعاده فى مكانه ، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه (يعنى ظئرة)[٣] فقالوا إن محمداً قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون[٤] قال أنس، وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط فى صدره.

والثانية ليلة المعراج كما فى صحيح البخارى وصحيح مسلم من حديث أبى ذر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **فرج عن سقف بيتى وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدرى ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيماناً فأفرغه فى صدرى ثم أطبقه . . . . الحديث** »[٥].

---

(١) أخرجه مسلم (ص١٤٧) .
(٢) لأَمَهُ: ضمه وجمع بعضه إلى بعض.
(٣) ظئره : مرضعته.
(٤) منتقع اللون أى متغير اللون.
(٥) أخرجه البخارى (٣٤٩) ومسلم (حديث ١٦٣).

ويُخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أنه وضع عنه وزره، أى حطّ عنه ذنوبه التى أثقلت ظهره وأتعبته ،كما قال تعالى: ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾

تلك الذنوب التى حمل همومها حتى كادت تكسر فقار ظهره حتى يُسمع له نقيض، وأيضاً فقد كان النبى يحمل هموم الدعوة إلى الله وهموم عدم إسلام قومه فخفف الله عنه ذلك ويسَّره كما قال سبحانه:

﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾

ويمتن الله عز وجل على نبيه ﷺ بأنه سبحانه رفع له ذكره ،وقد رفع الله سبحانه وتعالى ذكر النبى محمد ﷺ بأمور منها ما يلى :ـ

* إيتاءه القرآن وإنزاله عليه وبعثه لخير أمة أخرجت للناس فقد قال تعالى عن القرآن : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ أى شرف لك ولقومك

* وأخذ الله الميثاق على النبيين أن يؤمنوا به إذا بُعث وهم أحياء ،قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

* ولا ينعقد لأحدٍ إسلام إلا بالاعتراف برسالته ﷺ والإقرار بها

بقوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ،فجاء ذكر النبى ﷺ ،والشهادة برسالته من أركان الاسلام .

* ويُدوِّى هذا الإسم الكريم اسم محمد خمس مرات فى اليوم والليلة فى الآذان،وكذلك عند إقامة الصلاة .

* ورب العزة سبحانه وملائكته يصلون على هذا النبى الكريم محمد ﷺ قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

* وكرر اسمه فى القرآن فى عدة مواطن ﷺ ،بل وجعلت فى القرآن سورة باسمه عليه الصلاة والسلام،وكما أسلفنا فالقرآن كله نزل عليه ،وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾

* وأعطى الشفاعة العظمى صلوات الله وسلامه عليه،وجُعل سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام.

* ويأتى شهيداً على أمته يوم القيامة،وعلى سائر الأمم وكذلك أمته تشهد على سائر الأمم ﷺ.

* وهو صاحب الحوض والكوثر ﷺ.

* وبَشَّرت به الكتب المنزلة على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم

* واسمه يُذكر فى كل خطبة وفى خطبة النكاح والتشهد فى الصلاة كذلك

* وأمر الله بطاعته وتوقيره وتعظيمه قال تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ

الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾

وقال سبحانه: ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾

وقال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾[المائدة: ٩٢]

وقال تعالى: ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾

فانظر إلى الذى يجهر لرسول الله ﷺ بالقول ويرفع صوته فوق صوته وكيف أن عمله يحبط وهو لا يشعر ؟!!

وانظر إلى المتخلق بالخُلُقِ الحسن مع رسول الله ﷺ وكيف تغفر له ذنوبه ويثبت له الأجر العظيم ؟!!

وبالجملة فقد ملأ ذكره الجميل السموات والأرضين وجعل الله له لسان صدق فى الأولين والآخرين، وجعلت أمته ـ كما أسلفنا خير الأمم ـ أكثر أهل الجنة فصلوات ربى وسلامه عليه آناء الليل وأطراف النهار فى الدنيا وفى الآخرة عليه أفضل صلاة وأتم تسليم وأزكاه ،وما

أجمل وأحسن هذه الأبيات المنسوبة إلى حسان رضى الله عنه حيث قال فى وصف النبى ﷺ والثناء عليه:

أغرٌ عليه للنبوة خاتم ... من الله مشهود يلوح ويشهد
وضم الإله اسم النبى مع اسمه ... إذا قال فى الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

فهذه بعض نعمنا عليك شرحنا لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك، فإن كان قد حلَّ بك عسرٌ فاعلم أن مع العُسْرِ يسراً، فمع الضيق والشدة والكرب سعةً وغنًى ومخرجاً وفَرجاً فتأكد من ذلك غاية التأكد، ولذلك كُرر قوله إن مع العسر يسراً، فدائماً العُسر يتبعه يسر .

قال تعالى:

﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾

قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾

وكما قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ولكى يُدفع هذا العُسر ويأتى اليُسر، ولكى تؤدى شكر هذه النعم التى أنعمنا بها عليك ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴾ إذا فَرغْتَ من أعمال الدنيا فاجتهد فى العبادة واجتهد فى الطاعات، واجتهدفى الدعاء ، واجتهد

فى تبليغ الرسالة والحمد والاستغفار والتسبيح، وكذلك إذا فرغت من الصلاة فاجتهد فى الدعاء.

﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ أى الجأ واتجه إليه واجعل رغبتك فيه دون من سواه واجعل ملتجأك إليه وعملك خالصاً لوجهه رغبةً فيما عنده سبحانه وتعالى .

*****

﴿ معانى مفردات السورة الكريمة ﴾

الكلمة	معناها
نَشْرَحْ	نوسع لقبول الاسلام والارتياح له ـ نشق
وِزْرَكَ	ذنبك ـ حملك
أَنقَضَ	أتعب ـ أرهق
الْعُسْرِ	الضيق والشدة والكرب
يُسْراً	سعة وغنى ومخرجاً
انصَبْ	اجتهد فى العبادة
ارْغَبْ	الجأ واتجه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (٧) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ (٨) ﴾

* * *

يُقْسِم الله سبحانه وتعالى فى هذه السورة بالتِّينِ ، وهو الفاكهة المعروفة لدى الناس، ويُقسِم كذلك بالزيتون، وهو الزيتون الذى يُعصر.

(ومن العلماء من قال إن الله أقسم بمنابت التِّينِ وَالزَّيْتُونِ، أى الأماكن التى ينبت فيها التين والزيتون، وهى بلاد الشام التى كان بها عيسى عليه السلام)

ويُقْسِم سبحانه أيضاً بطور سينين، وهو طور سيناء ذلكم الجبل المبارك الحسن الذى كلَّم الله عنده موسى ﷺ، ويُقْسِم بالبلد الأمين، وهى مكة، والأمين أى الآمن الذى حرَّمه الله وحرَّمه الناس فلا يُعتدى على أحدٍ فيه ولا يُنفر صيده ولا يعضد شوكه ولا يقطع شجره .

أقسم الله بهذه المواطن، والأمكنة المعظَّمة الثلاثة التى ظهر فيها

نوره وهُداه، وهبط فيها وحيه ونزلت فيها كتبه، وهى الشام التى كان بها عيسى عليه السلام وطور سينين الذى كلّم الله عنده موسى عليه السلام، والبلد الأمين وهى مكة التى نزل فيها الوحى على رسول الله ﷺ .

أقسم الله بهذه الأماكن المشرَّفَة الثلاثة على أنه سبحانه خلق الانسان فى أحسن تقويم، أى فى أعدل خلقٍ وأحسن صورةٍ وقوامٍ واستواء وأتم عقلٍ ، وقوة ذاكرة ثم رددناه بعد هذا الحُسن والاعتدال إلى أرذل العمر ، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ وكما قال تعالى : ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلا يَعْقِلُونَ﴾ وكما قال سبحانه: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾

وكما قال سبحانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾

فقوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ أى رددناه إلى أرذل العمر، ومن العلماء من قال إن المعنى رددناه إلى النار على وجهه فى أقبح صورة بعد أن كان فى أحسن تقويم، وذلك بسبب كفره، وهل المراد بالإنسان عموم الإنسان أم الإنسان الكافر فعلى القول الثانى المراد بالإنسان الكافر.

أما القول الأول، فقوله ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ ... ﴾ المراد به عموم الانسان ويتأتى للآية والتى بعدها تفسيران :

فعلى **القول الأول**: فالمراد برددناه عموم الإنسان فالمعنى لقد خلقنا الانسان فى أحسن صورة وأعدل قوام وأتم عقل وقوة ذاكرة، وصلنا به إلى ذلك بعد أن كان ضعيفاً فى صغره، وبعد أن وصل إلى هذه الحال من الاعتدال وحسن القوام رجع كرة أخرى يُنكس فى الخلق كما قال تعالى: ﴿ **وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلا يَعْقِلُونَ** ﴾ فبدأ فى الضعف والخور وذهاب العقل شيئاً فشيئا وترك العمل شيئاً فشيئاً فينقطع أجره إذ لا عمل صالح يعمله :

﴿ **إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ** ﴾ لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فى حال صحتهم وقوتهم فهم وإن ردوا ـ كسائر الخلق ـ إلى أرذل العمر وانقطعوا عن كثير من العمل الصالح لضعفهم وقلة حيلتهم فأجرهم ما زال يكتب لهم غير مقطوع ولا منقوص .

كما قال النبى ﷺ: « **إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحاً** »(١)

* فعلى ذلك فالاستثناء فى قوله تعالى: ﴿ **إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ﴾ استثناء منقطع، فالمعنى لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات

---

(١) أخرجه البخارى (حديث ٢٩٩٦) من حديث أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه، وانظر المنتخب لعبد بن حميد (بتحقيقى ٥٣٣).

وإن رُدُّوا إلى أرذل العمر ـ لم ينقطع ثواب عملهم.

* وعلى **القول الثانى**: فالمراد بالإنسان الإنسان الكافر، والمعنى ثم رددنا الكافر أسفل سافلين فى جهنم، والله أعلم .

أما قوله تعالى: ﴿ **فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ** ﴾ **فالمخاطب بالآية لأهل العلم فيه قولان**: **أحدهما**: أن المخاطب هو الكافر[1]، والمعنى إذا عرفت أيها الإنسان أن الله خلقك فى أحسن تقويم وأنه يردك إلى أرذل العمر وينقلك من حالٍ إلى حال فما يحملك على التكذيب بالبعث والجزاء وقد أخبرك به محمد ﷺ بما أوحى إليه. **الثانى**: أن المخاطب هو رسول الله ﷺ، والمعنى فمن يقدر يا محمد على تكذيبك بالبعث والجزاء والثواب والعقاب بعد ما بينا قدرتنا فى خلقه وتقلبه فى الأطوار من طور إلى طورٍ .

وقوله : ﴿ **أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ** ﴾ أى أتقن الحاكمين صُنْعاً فى كل ما خلق، قاله القرطبى وقال ابن كثير رحمه الله: أما هو أحكم الحاكمين الذى لا يجور ولا يظلم أحداً .

قلت (مصطفى) : وقد ورد حديث أبى هريرة مرفوعاً « **فإذا اقرأ أحدكم والتين والزيتون فأتى على آخرها فليقل بلى وأنا علي ذلك من الشاهدين**»[2]

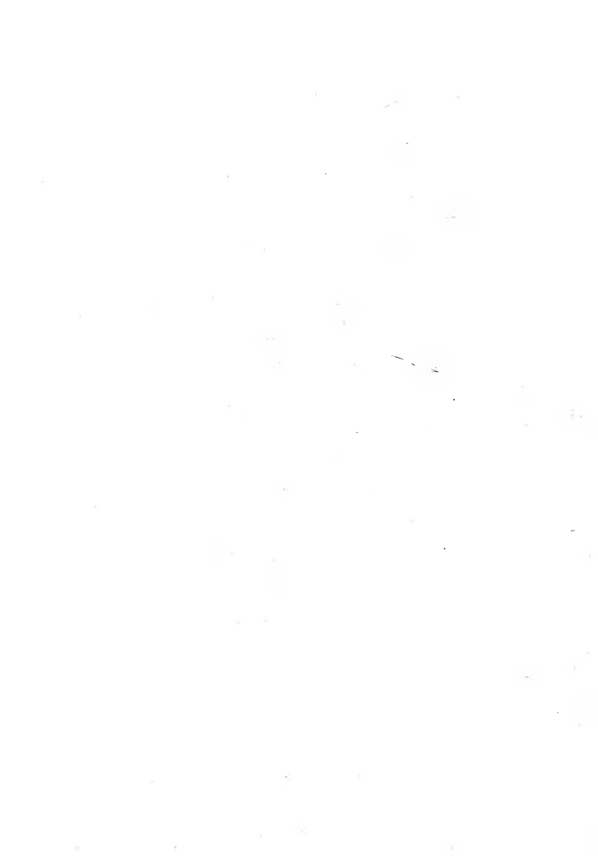
---

(١) أخرج الطبرى بإسناد صحيح عن منصور قال: قلت لمجاهد ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ أعنى به النبى ﷺ ؟ قال معاذ الله عنى به الإنسان .

(٢) أسانيده فيها كلام : ففي إسناده رجل مبهم ، وقد ورد نحوه عن قتادة مرسلا ، وورد نحوه عن ابن عباس موقوفا عند الطبراني ، وفي إسناده مقال.

﴿ معانى مفردات السورة الكريمة ﴾

الكلمة	معناها
طُورِ	الطور كل جبلٍ ينبت
سِينِينَ	مبارك حسن ـ سيناء
الأَمِينِ	الآمن
أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ	أحسن صورة وقوام
أَسْفَلَ سَافِلِينَ	أرذل العمر(الشيخوخة)
مَمْنُونٍ	مقطوع ـ منقوص
الدِّينِ	الجزاء ـ الحساب
أَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ	أتقن الحاكمين صنعاً



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ (٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ (٨) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ (١٠) أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ (١٢) أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٣) أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ (١٤) كَلاَّ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلاَّ لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب (١٩) ﴾

* * *

مطلع هذه السورة الكريمة أول ما نزل من القرآن.

ففى الصحيحين[١] من حديث أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت: أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبِّب إليه الخلاء .

وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالى ذوات

(١) أخرجه البخارى (حديث ٣) ومسلم (حديث ١٦٠).

العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ قال: ما أنا بقارىء قال: فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال: اقرأ قلت: ما أنا بقارى فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال: اقرأ فقلت ما أنا بقارىء فأخذنى فغطنى الثالثة ثم أرسلنى فقال:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ﴾[1]

فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده

يقول الله سبحانه: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ أى اقرأ القرآن مُفتتحا باسم ربك الذى خلق، خلق الإنسان من علق وهو جمع علقة وهى قطعة من الدم المتماسك، سميت بذلك لأنها تعلق ـ لرطوبتها ـ بما تمر عليه .

﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ﴾ الذى يُعطى بدون مقابل ولا انتظار مقابل .

وقوله تعالى: ﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

يمتن الله عز وجل على الإنسان إذ علّمه بالقلم، علّمه كل ما يحتاج

---

(١) فى رواية البخارى (٤٩٥٣) ومسلم (١٦٠): ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

إليه، علَّمه أشياء لم يكن يعلمها فقد أخرجه الله من بطن أمه لا يعلم شيئاً.

كما قال سبحانه: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾

ثم إن الله منَّ عليه بتعليمه كل ما يحتاج إليه ثم يبين الله عزَّ وجل حال الإنسان وأنه إذا أنعم عليه وغمره بالنعم أعرض عن طريق الله سبحانه وتعالى.

كما قال تعالى: ﴿ كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴾

---

(١) هذا فى الغالب، وإلا فهناك من أهل الصلاح قوم أغناهم الله وازدادوا تواضعاً له سبحانه كسليمان ﷺ فقد قال لما رأى عرش ملكة سبأ مستقراً عنده: ﴿ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾

وقال لما أفهمه الله لغة النملة: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾

وقال سبحانه فى شأن بعض أهل الصلاح: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

وكان من الثلاثة الذين ابتلاهم الله بالمال بعد الفقر رجل أعمى شاكراً لأنعم الله عليه معترفا بفضل الله له.

وفرعون لما أغناه الله وملكه مصر قال: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾

وقارون لما أنعم الله عليه قال: ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ﴾ =

أى إن رأى نفسه مستغنياً عن الناس بدأ فى الطغيان وتجاوز الحد فى ظلم العباد ،ويدل على ذلك جملة أدلة فمن ذلك مايلى:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ﴾

* وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ﴾

* وقوله تعالى: ﴿ كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴾

* وقال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾

* وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ ﴾

* وقال تعالى: ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ... ﴾

* وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾

* وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴾

يبين الله سبحانه وتعالى أن المرجع والمآب إليه سبحانه وتعالى فلا يغتر هؤلاء المغترون بما آتاهم الله سبحانه وتعالى فإنهم راجعون إليه

= والأبرص والأقرع لما آتاهما الله مالا جحدا نعم الله عليهما .

سبحانه وموقوفون بين يديه .

أما قوله تعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴾ فهذه الآية تحمل معنى التعجب من هذا الظالم المكذِّب المعرض الذى ينهى العبد عن صلاته مع العلم بأن هذا العبد الذى يُصلى رجل مهتد آمرٌ بالتقوى، فالمعنى اعجبوا من أمر هذا المفسد المكذِّب المتولى المعرض الذى ينهى المصلين عن صلاتهم، وهذا الذى ينهى المصلين عن صلاتهم هو أبو جهل، والآية تعم كل ناهى، والمنهى هو محمد ﷺ، والآية تعم كل منهى.

وقد أخرج البخارى[1] من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال قال أبوجهل لئن رأيت محمد يُصلى عند الكعبة لأطأن على عنقه فبلغ النبى ﷺ فقال: « **لو فعل لأخذته الملائكة** ».

وأخرج مسلم[2] من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال:

قال أبو جهل هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟

قال: فقيل نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، ولأعفرن وجهه فى التراب، قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلى زعم ليطأ على رقبته، قال فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه، قال فقيل له: مالك ؟ فقال: إن بينى وبينه لخندقا من

---

(١) أخرجه البخارى حديث (٤٩٥٨).

(٢) مسلم مع النووى (١٧/١٣٩).

نار وهولاً وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: « **لو دنا لاختطفته الملائكة عضوا عضواً** »، قال فأنزل الله عز وجل لا ندرى[1] فى حديث أبى هريرة أو شيء بلغه : ﴿ **كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ (٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ (٨) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ (١٠) أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ (١٢) أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ** ﴾ يعنى أبا جهل: ﴿ **أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ (١٤) كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب** ﴾

* أما قوله تعالى: ﴿ **أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ** ﴾

فمعناه والله أعلم أرأيت عبداً مستقيماً على استقامةٍ وسدادٍ وهدى من ربِّه عز وجل يأمر الناس بتقوى الله ويأتيه آخر فينهاه عن الصلاة وينهاه عن الاستقامة والسداد، وهذا العبد المهتدى هو محمد ﷺ، أما الذى ينهاه فهو أبو جهل .

﴿ **أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ** ﴾ ألم يعلم هذا المجرم الأثيم الذى ينهى العبد المهتدى الآمر بالتقوى والخوف من الله، المحافظ على الصلاة أن الله يراه فينزجر عن نهيه لهذا العبد عن الصلاة وينكف عن أذاه ؟!!

﴿ **كَلَّا** ﴾ أى ليس هذا العبد الأثيم على حقٍ بل هو مبطل.

---

(١) لهذا التردد أعل بعض أهل العلم هذا الحديث، وصححه فريق منهم لشواهده .

﴿ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴾ لئن لم ينته هذا الأثيم المجرم عن إجـرامه، وعن صَـدِّه الناس عن الخيـر وعن نهى العـباد عن الصـلاة وتهديدهم إذا صلوا لنذلنه ولنهيننه ولنجذبن ناصيته جذباً شديداً، تلك الناصية الكاذبة الخاطئة، ناصية الكاذب الخاطىء، لنجذبنها ولنلقينها فى النار كما قال تعالى:

﴿ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ ﴾

فإن كان هذا الفـاجر الأثيم صادقاً فى ادعائـه وأن له أنصاراً فليدع أنصاره وأهل ناديه يدفعون عنه. ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴾ ولكنا نحن ﴿ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾

سندع له ملائكة العذاب، وقد أخرج الطبرى بإسناد صحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يُصلى عند المقام فمرَّ به أبو جهل بن هشام فقال يا محمد ألم أنهك عن هذا وتوعَّده فأغلظ له رسول الله ﷺ وانتهره فقال يامحمد أى شىء تهددنى أما والله إنى لأكثر هذا الوادى نادياً فأنزل الله .

﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾

قال ابن عباس لو دعا ناديه أخذته زبانية العذاب من ساعته .

﴿ كَلاَّ لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ لا تطع هذا الكافـر ولا تبالى به، لا تلتفت إلى قوله ولا تـبالى بتهديده، وأقبل إلى ربك فـاسجد له واقـتـرب منه، اسـجد لربـك فأقـرب مـا يكون العـبـد من ربِّه وهو

ساجد[١]، صلِّ لربك وتقرب إليه بأنواع الطاعات والقربات.

هذا وقد ثبت أن الرسول ﷺ قد سجد فى هذه السورة، فقد أخرج مسلم فى صحيحه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال سجدنا مع النبى ﷺ فى: ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ و﴿ أقْرأْ باسْمِ ربّكَ ﴾[٢]

***

﴿ معانى مفردات السورة الكريمة ﴾

الكلمة	معناها
علَقٍ	قطعة من دم متماسك
يَطْغَىٰ	يتجاوز الحد فى الظلم
الرُّجْعَىٰ	المرجع والمآب
أن رآه استغنى	إن رأى نفسه مستغنياً
لَنَسْفَعًا	نجذبنه بشدة
النَّاصيَة	شعر مقدم الرأس
نَادِيَهُ	أهل مجلسه وأنصاره
الزَّبَانِيَةَ	ملائكة العذاب

(١) قال النبى ﷺ « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء » أخرجه مسلم(٤/ ٢٠٠).

(٢) أخرجه مسلم (ص ٤٠٦) وأبو داود (١٤٠٧).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥) ﴾

* * *

يُخْبر الله سبحانه وتعالى أنه أنزل هذا الكتاب العزيز والقرآن المجيد فى تلك الليلة المباركة ذات القدر الكبير والشرف العظيم، ألا وهى ليلة القدر، وقد وصفها الله سبحانه وتعالى بأنها ليلة مباركة كما فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾

وتلكم الليلة ـ ليلة القدر ـ هى التى تقدر فيها وقائع السنة وأمور العام من الأرزاق والآجال وغير ذلك، كما قال تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾

وقد أُنزل هذا القرآن الكريم من عند الله سبحانه وتعالى إلى السماء الدنيا فى هذه الليلة، كما قال ابن عباس رضى الله عنهما[١]، فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ قال أُنزل القرآن جملة واحدة فى ليلة القدر إلى السماء الدنيا فكان بموقع النجوم، فكان الله ينزله على

---

(١) أخرجه الطبرى بإسناد صحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما.

رسوله بعضه فى إثر بعض ثم قرأ . ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾

وفى لفظ آخر بإسناد صحيح[١] أيضاً عن ابن عباس قال: نزل القرآن كله جملةً واحدةً فى ليلة القدر فى رمضان إلى السماء الدنيا فكان الله إذا أراد أن يحدث فى الأرض شيئاً أنزله منه حتى جمعه.

أما متى هى ليلة القدر؟

فابتداءاً فهى فى رمضان لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ وقوله تعالى ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾

وجمهور العلماء على ذلك، والجمهور أيضاً على أنها فى العشر الأواخر من رمضان، وذلك لحديث أبى سعيد الخدرى فى الصحيحين[٢] عن رسول الله ﷺ فذكر الحديث وفيه « ... **فابتغوها فى العشر الأواخر** » .

والجمهور أيضاً على أنها فى الوتر من العشر الأواخر لقول النبى ﷺ: « **وابتغوها فى كل وتر** »[٣] ولحديث عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ، قال: « **تحروا ليلة القدر فى الوتر من العشر الأواخر** »[٤].

والأكثرون[٥] أيضاً على أنها فى ليلة السابع والعشرين من رمضان

---

(١) هو عند الطبرى كذلك .

(٢) أخرجه البخارى (حديث ٢٠١٨) ومسلم (حديث ١١٦٧).

(٣) أخرجه البخارى(٢٠١٨) ومسلم (حديث ١١٦٧) من حديث ابى سعيد الخدرى أيضاً .

(٤) أخرجه البخارى (٢٠١٧).

(٥) نقله عنهم عدد من العلماء منهم القرطبى رحمه الله تعالى .

لحديث أُبَى ابن كعب فى صحيح مسلم بذلك،لكنه لم يحصل إجماع على تحديد ليلة القدر بالضبط أى ليلة هـى، قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى[١] :« وقد اختلف العلماء فى ليلة القدر اختلافا كثيرا وتحصل لنا من مذاهبهم فى ذلك أكثر من أربعين قولاً كما وقع لنا نظير ذلك فى ساعة الجمعة،وقد اشتركتا فى إخفاء كل منهما ليقع الجد فى طلبهما »

ثم ذكر الحافظ رحمه الله تعالى أقوال أهل العلم فى ذلك وأدلتهم على ما ذهبوا إليه فليرجع إليه من شاء .

ويستحب أن يدعو الشخص فى ليلة القدر فيقول :« **اللهم إنك عفوٌ تحب العفو فاعف عنى** »

وذلك لما صح عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها[٢] أنها قالت: يا رسول الله أرأيت إذا وافقت ليلة القدر ما أدعو ؟ قال:« **تقولين اللهّم إنك عفوٌ تحب العفو فاعف عنى** »

*** هذا وقد ذكرت لهذه الليلة الكريمة فى هذه السورة جملة فضائل فمن ذلك ما يلى :**

الفضيلة الأولى: أن الله سبحانه وتعالى أنزل هذه السورة باسم هذه

---

(١) الفتح (٤/ ٣٠٩).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ١٧١ ـ ١٧٢) والترمذى (٩/ ٤٩٥ مع التحفة) وقال حسن صحيح والنسائى (عمل اليوم والليلة حديث ٨٧٣) وابن ماجة (٣٨٥٠) وإسناده صحيح ،وقد قال بعض العلماء أن ابن بريدة لم يسمع من عائشة.

الليلة تفخيماً وتعظيماً لشأنها ثم عظَّم شأنها أيضاً بقوله ﴿ **وماأدراك ماليلة القدر**﴾ووصفها في آية أخري بأنها ليلة مباركة كما قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ** ﴾

الفضيلة الثانية: أن العبادة فيها خيرٌ من العبادة فى ألف شهر ليس فيها ليلة القدر .

الفضيلة الثالثة: أن الملائكة ومعهم جبريل يتنزلون فى هذه الليلة .

الفضيلة الرابعة: أن الأمن والسلام يحل فى هذه الليلة على أهل الإيمان ، وتسليم الملائكة يتوالى عليهم فيها .

الفضيلة الخامسة: أن من قام هذه الليلة إيمانا واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه كما صح ذلك عن النبى ﷺ، ففى الصحيح[1] من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « **من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غُفر له ما تقدم من ذنبه** »

* وقوله تعالى: ﴿ **تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ**﴾ فيفيد أن نزول الملائكة من السماء إلى الأرض فى هذه الليلة، بل وفى كل ليلة يكون بإذن ربهم عز وجل.

أما الروح فلأهل العلم فى تأويله أقوال أصحها، والله أعلم أنه جبريل، وذلك لقوله تعالى: ﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ** ﴾

---

(١) أخرجه البخارى (حديث ٢٠١٤).

أما قوله تعالى: ﴿ مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ فله معنيان :

أحدهما : أن معنى الآية الكريمة مرتبط بما قبله، فالمعنى تنزل الملائكة والروح فى هذه الليلة بإذن ربهم بكل أمر قضاه الله وقدَّره فى هذه السنة ،كما قال تعالى :﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾

فقوله من كل أمرٍ معناه بكل أمر ف(من) بمعنى (ب).

الثانى: أن معنى الآية مرتبط بما بعده، والمعنى من كل أمر وشر هى سالمة، أى أن ليلة القدر آمنة من كل شرٍ وكل مكروه ففيها تتنزل الرحمات وتحل البركات وتغشى السكينات، فهى خير كلها على المؤمنين تتنزل الملائكة تسلم عليهم حتى مطلع الفجر. والله أعلم

أما قوله تعالى: ﴿ سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾

فله معنيان : أحدهما: أن الآية مرتبطة فى تفسيرها بما قبلها، فقوله: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ④ سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ معناه أن الملائكة تتنزل بالسلام ومنه التحية والتسليم، ومنه الأمن والسلامة، ثم بيَّن وقت انتهائها بقوله تعالى: ﴿هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ وقال آخرون: إن قوله ﴿ سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ مرتبط ببعضه فالمعنى إنها سالمة آمنة من أولها حتى مطلع الفجر.

وقوله ﴿ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ أى طلوع الفجر.

* * * * *

﴿ معانى مفردات السورة الكريمة ﴾

الكلمة	معناها
الْقَدْرِ	الحكم والتقدير ـ الشرف
تَنَزَّلُ	تهبط من السماء
الرُّوحُ	جبريل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ① رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ② فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ③ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ④ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ⑤ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ⑥ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ⑦ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ⑧ ﴾

* * *

يسوق المفسرون عند تفسير هذه الآية الكريمة منقبة وفضيلة للصحابى الجليل أُبى بن كعب رضى الله عنه فقد أمر الله نبيه ﷺ أن يقرأ هذه السورة الكريمة على هذا الصحابى الجليل، ففى الصحيحين[1] من حديث أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لأُبى بن كعب

(١) أخرجه البخارى (حديث ٣٨٠٩) ومسلم (٧٩٩).

: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾

قال: وسمَّاني ؟ قال: « نعم » فبكى .

يقول الله سبحانه: ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ① رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ② فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾

معنى الآية الكريمة، والله أعلم : لم يكن هؤلاء الكفار من أهل الكتاب الذين هم اليهود والنصارى، فاليهود أهل كتاب وهو التوراة، والنصارى أهل كتابٍ وهو الإنجيل، لم يكن هؤلاء الكفار من اليهود والنصارى، والمشركين الذين هم عبدة الأوثان بتاركي ما هم عليه من الكفر وبمنتهين عنه حتى يأتيهم كتاب من عند الله.

* وقول آخر: لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب ـ وهم المشركون ـ منفكين أي تاركين صفة محمد ﷺ التي في كتابهم حتى بعث فلما بعث تفرقوا، فالمعنى ـ على هذا التأويل ـ أنهم كانوا متمسكين بصفة محمد ﷺ الموجودة عندهم في التوراة والإنجيل فلما بُعث وفيه هذه الصفة تفرقوا .

وبصياغة ثانية : لم يكن الذين كفروا من اليهود والنصارى الذين هم أهل شرك مفترقين ولا مختلفين في صفة محمد ﷺ حتى تأتيهم البينة، وهي إرسال الله سبحانه وتعالى محمداً رسولاً .

ومعنى ثالث: لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين متروكين هَمْلاً وسُدى بدون إرسال رسول إليهم بل لابد لهم من رسول، والآية على هذا التأويل كقوله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾

أى هملا لا يُؤمر ولا يُنهى

وكقوله تعالى: ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾

أى هل نترك إنزال الذكر لأجل إسرافكم ونعرض عن إرسال الرسل لذلك ؟!

* فالمشركون هم عبدة الأوثان، وأهل الكتاب هم اليهود والنصارى، والكتاب هو التوراة والإنجيل، ومنفكين أى تاركين ومنتهين عما هم فيه أو متروكين.

* والبينة هى رسول الله ﷺ، أما الصحف المطهرة فهى القرآن، وهى صحف مطهرة من اللغو والباطل، وهذه الصحف المطهرة فيها كتبٌ قيمة أى عادلة مستقيمة ليس فيها خطأ .

أما قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾

فيفيد أن أهل الكتاب كانوا متفقين على صفة محمد ﷺ ونعته لم يختلفوا فى ذلك حتى بُعث رسول الله ﷺ فلما بُعث عليه الصلاة

والسلام كذَّبوه ،وكفروا به وجحدوا نبوته عليه الصلاة والسلام .

* وقوله تعالى: ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** ﴾

يُفيد أن أهل الكتاب هؤلاء الذين هم اليهود والنصارى ما أمروا فى الكتب التى أُنزلت إليهم (وهى التوراة والإنجيل)، بشركٍ ولا بكفرٍ، إنما أمروا أن يعبدوا الله مقرِّين له بالطاعة دون من سواه لا يخلطون طاعة ربهم بشرك، أُمروا أن يعبدوا الله حنفاء أى مائلين عن الشرك إلى التوحيد، وهذا التوحيد هو دين الملة القيِّمَة العادلة المستقيمة، ثم بَيَّنَ الله سبحانه وتعالى أن الذين كفروا من أهل الكتاب هم شر الخلق وأن مأواهم النار، فقال سبحانه: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ** ﴾

وكما قال سبحانه: ﴿ **إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ** ﴾

أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم خير خلق الله ومأواهم الجنان .

كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ** ﴾

فقد رضى الله عنهم لطاعتهم له ولامتثالهم أمره وتوحيدهم

وعبادتهم له وحده لا شـريك له،وقد رضوا هم الآخرون بما أعطاهم الله من الثواب وجميل الجزاء والعطاء على ما صنعوا فى الدنيا .

* * *

﴿ معانى مفردات السورة الكريمة ﴾

الكلمة	معناها
مُنفَكِّينَ	منتهين عن ماهم فيه
الْبَيِّنَةُ	القرآن وقيل محمد ﷺ
قَيِّمَةٌ	عادلة مستقيمة
مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ	مفردين له الطاعة
حُنَفَاءَ	مائلين عن الشرك إلى التوحيد
دِينُ الْقَيِّمَةِ	دين الملة القيمة
الْبَرِيَّةِ	الخلق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨ ﴾

* * *

تقدَّم أن ذكر البعث والحساب والجزاء يُكرر فى كتاب الله عز وجل ويُؤكد بأساليب متنوعة وأن الله سبحانه يصرف الآيات للناس فى هذا القرآن لتأكيد حقيقة البعث كما سلف وأوردنا القول عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾

وفى قوله: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ

وَأَخَّرَتْ ﴾

إلى غير ذلك من الآيات .

وفى هذه الآيات التى بين أيدينا يُؤكد نفس المعنى، ألا وهو إثبات البعث والجزاء والحساب فيقول سبحانه: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾

أما الزلزلة فهى معروفة وهى الحركة الشديدة السريعة للأرض .

أما متى هذه الزلزلة المذكورة فى هذه السورة، فمن العلماء من ذهب إلى أن هذه الزلزلة فى الدنيا وهى من أشراط الساعة واستدل لهذا القول بما أخرجه مسلم[1] فى صحيحه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: « **تقىء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة فيجىء القاتل فيقول فى هذا قتلت ويجىء القاطع فيقول فى هذا قطعت رحمى ويجىء السارق فيقول فى هذا قطعت يدى ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً** »

* ومن أهل العلم من قال إن هذه الزلزلة زلزلة يوم القيامة .

وذلك لقوله تعالى:

---

(١) تقدم

﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴾

وعلى هذا القول الأخير يمكن توجيه قوله عليه الصلاة والسلام «تقيء الأرض أفلاذ كبدها »

بأن ذلك قريب الساعة فمن أشراط الساعة كثرة الزلازل، ولا يستلزم أن يقع مع زلزلة الساعة، والله أعلم .

وقوله تعالى: ﴿ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ أى ما فيها من الكنوز والمعادن، وما فيها من الأموات .

﴿ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ﴾ أى قال الإنسان متعجباً من أحوالها مالها؟ أى ماذا حدث للأرض ؟!!وماذا جرى لها ؟!! فحينئذ تجيب الأرض بلسان الحال قائلة إن الذى حدث لها من الزلزلة وإخراج الاثقال قد حدث لها بأمر الله عز وجل وبوحيه، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ④ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾

وتجيب بلسان المقال كذلك، فإذا سأل الانسان سؤاله (مالها ؟) أجابته قائلة إن الله أمرنى بهذا وأوحى إلىَّ به وأذن لى فيه، وتُخبر أن أمر الدنيا قد انتهى وتخبر الأرض أيضاً بما جرى عليها من خيرٍ أو شر .وفى هذه الأثناء:

﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴾ أى يرجعون من قبورهم متفرقين ليروا أعمالهم التى عملوها فى الدنيا ويحاسبون عليها ويُجازون بها ويرجعون من موضع الحساب إلى الجنة أو إلى النار

، يرجعون وبعضهم آمن وبعضهم خائف، بعضهم قد تلقى كتابه بيمينه يقول : ﴿ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ ﴾

وبعضهم تلقى الكتاب بشماله يقول : ﴿ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ۝٢٧ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾

يرجعون من موقف الحساب بعضهم أبيض الوجه وبعضهم أسود، بعضهم ينصرف إلى جهة اليمين وبعضهم سار فى درب أصحاب الشمال إلى غير ذلك من أنواع الفرقة بين أهل اليمين وأهل الشمال، كما قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ۝٤٣ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾

وكما قال سبحانه : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾

* وقوله تعالى ﴿ لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴾ أى ليروا جزاء أعمالهم من ثواب أو عقاب . **الثانى**: أن الناس يصدرون من قبورهم إلى موقف الحساب ليروا أعمالهم التى عملوها فى دنياهم ويحاسبون عليها، والله أعلم .

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾

فيرى الإنسان حينئذ الأعمال التى عملها فى الدنيا صغيرها وكبيرها

كما قال الله تعالى : ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾

حتى مثاقيل الذرَّات من الخيـر والشر يراها الانسان، أما الكافر فهل يرى مثاقيل الذرات من الخير الذى عمله؟ ! وهل يرى المؤمنون مثاقيل ذرات الشر التى عملوها فى الدنيا ؟

فمن أهل العلم من قال بذلك، فقال إن الكافر يرى أعمال الخير التى عملـها فى الدنيا لـكنها تحبط ويـذهب ثوابها ويغطى عليـها شـركهم وكفرهم بالله عز وجل كما قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾

وكمـا قال سبـحانه : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ ﴾ وكما قال تعالى: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

* والمؤمن كذلك يرى مشـاقيل ذرات الشر التى عملهـا لكن يغفرها الله سبحانه وتعالى له ـ إذا أراد ـ كما قال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾

* وثَمَّ قول آخر ألا وهو أن الكافر ينال جزاء حسناته فى الدنيا فإذا جاء يوم القيـامة لم يكن له حسنات، والمؤمن يُكفر عنه من سـيئاته بما

يصيبه من بلاء فى الدنيا، وفى الآخرة يستره الله سبحانه وتعالى، وإذا أراد الله سبحانه للمؤمن عذاباً فى الآخرة لكبائر اقترفها عذّبه ربُّه ثم أخرجه من النار إلى الجنة، كما وردت الأحاديث بذلك.

* * *

﴿ معانى مفردات السورة الكريمة ﴾

الكلمة	معناها
أَثْقَالَهَا	كنوزها ـ الموتى
يَصْدُرُ	يرجع
أَشْتَاتًا	متفرقين
ذَرَّةٍ	ذرة التراب
	نملة صغيرة حمراء

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۝١ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۝٢ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١ ﴾

* * *

قوله سبحانه ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾

الواو واو القسم ، فيُقْسم الله سبحانه وتعالى بالعاديات وهى الخيول التى تعدو (أى تجرى بسرعة) نحو العدو فى المعارك والغزوات حتى تضبح أى تتنفس بشدة حتى يُسمع لأنفاسها صوت عند جريها وحتى تُسمع حمحمتها.

أما قوله تعالى ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ فهى الخيول التى تجرى وتُورى النار(أى توقد النار) بحوافرها عند الجرى إذا أصابت بحوافرها الحجارة فيخرج منها الشرر، فالقدح هو الاستخراج، والمراد به استخراج النيران من الأحجار عند احتكاك حوافر الخيل بها .

أما قوله ﴿ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴾فهى الخيل التى تعدو على العدو

صباحاً .

وقوله ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴾ أى أن الخيول أثارت براكبـها الذى عليها النقع وهو الغبار.

وقوله ﴿ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴾ أى أن الخيل توسطت براكبها جموع العدو ،فيُقْسم الله بالخيول أثناء جريها السريع حتى تُسمع لها حمحمة وحتى يخرج منها النَّفَس بشدة وتوقد النار بحوافرها عند جريها وتُغير على العدو صباحـاً وتثير الغبار وتتوسط براكبها جـموع العدو ،يقسم بهذه العاديات على :

﴿ إِنَّ الإِنسَـانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَـهِيـدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾

فقوله ﴿ إِنَّ الإِنسَـانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾ أى لكفور جـحود لنِعَم الله عليه، يذكر المصائب وينسى النعم فتصرفه وقوله وفعله يشهد عليه أنه كفور لنَعم الله،فهو لا يشكر الله ولايعبده حق عبادته،ولا يرد الفضل إليه سبحانه وتعالى ولا يقابل الإحسان بالطاعات والمعروف،وهذا كما قال الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ﴾

فعدم عمارتهم لمساجد الله شهادة منهم علي أنفسهم بالكفر

فقوله: ﴿ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ أى أن لسان حال العبد وتصرفه يشهد عليه وعلى كفرانه،وأيضاً ربُّه شهيدٌ عليه وعلى كفرانه للنِّعم .

وقوله: ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾

يفيد أن هذا الإنسان شديد المحبة للمال كما قال تعالى: ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾

﴿ أَفَلا يَعْلَمُ ﴾ هذا الإنسان الكفور الجحود لنعم الله عليه أن الله به وبأعماله خبير وسينبئه بعمله يوم القيامة: ﴿ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴾ أى استُخرج ما فيها من الموتى :

﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴾ أى ميِّز وبيِّن وجمع وظهر ما فى الصدور.

وقوله ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ أى يوم القيامة وسينبئهم بما عملوا .

﴿ معانى مفردات السورة الكريمة ﴾

الكلمة	معناها
الْعَادِيَاتِ	الخيل تعدو نحو العدو
ضَبْحًا	الضبح صوت النفس ـ حمحمة
الْمُورِيَاتِ قَدْحًا	الخيل تورى(توقد)النار بحوافرها عند الجرى مستخرجة الشرر والنار
الْمُغِيرَاتِ	الخيل المغيرة على العدو
صُبْحًا	صباحاً
أَثَرْنَ	رفعن
نَقْعًا	تراباً وغباراً
وَسَطْنَ بِهِ	توسطن براكبهن
جَمْعًا	جموع العدو
كَنُودٌ	كفور ـ جحود للنعم
الْخَيْرِ	المال
بُعْثِرَ	أُثير واستخرج
حُصِّلَ	ميِّز وبيِّن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ القارعة ⟨١⟩ مَا الْقَارِعَةُ ⟨٢⟩ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ⟨٣⟩ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ⟨٤⟩ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ⟨٥⟩ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ⟨٦⟩ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ⟨٧⟩ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ⟨٨⟩ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ⟨٩⟩ وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ ⟨١٠⟩ نَارٌ حَامِيَةٌ ⟨١١⟩ ﴾

* * *

يُذكِّر الله عز وجل عباده بيوم القيامة وببعض الأمور العظيمة التى تحدث فيه، فيقول سبحانه: ﴿ الْقَارِعَةُ ﴾ أى القيامة والساعة التى تقرع قلوب الناس وهولها ويُفزع الناس كربها، تلك القارعة ذات الصوت الشديد الهائل المزعج، فعندها تنشق السماء وتنفطر وتنكدر النجوم وتتناثر وتزلزل الأرض وتُرج وتُسير الجبال وتُدك، وتُفجر البحار وتُسجر ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ ومن الذى أدراك عن القارعة، إن شأنها لعظيم وإن هولها لفظيع، وإن كربها لشديد: ﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴾ المتفرق المنتشر لانتشارهم وتفرقهم وحيرتهم.

﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾ أى كالصوف الملون المنتفش، فالجبال الآن كما قال الله سبحانه: ﴿ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾

ثم إن الله سبحانه وتعالى يفـرِّق أجزاءها ويزيل التآلف والتماسك الذى كان بينها فيصير ذلك مشابهاً للصوف الملون بالألوان المختلفة إذا جعل منفوشاً .

فحينئذ تنصب الموازين ويؤتى بالأعمال خيرها وشرها كما قال تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾

فتوضع الحسنات فى كفة والسيئات فى الكفة الأخرى.

﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾

أى من ثقلت كفة حسناته فهو فى عيشة راضية أى عيشة مرضية قد رضيها صاحبها فى الجنة .

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾

أى ومن خفَّت موازين حسناته وزادت عليها كفة السيئات

﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ أى فمسكنه النار يهوى بأم رأسه فيها .

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ أى وما أدراك عن هذه الهاوية وعن شأنها إنها نارٌ حامية .

وقد وردت أحاديث تدل على عظمتها وشدتها وخطورتها فمن ذلك: ما أخرجه البخارى ومسلم[1] من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **اشتكت النار إلى ربها فقالت : رب أكل بعضه بعضاً فأذن لها بنفسين نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف**

---

(١) البخارى (٣٢٦٠) ومسلم (٦١٧) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً .

فأشد ما تجدون من الحر وأشد ماتجدون من الزمهرير »

* ومن ذلك ما أخرجه البخارى ومسلم[١] أيضاً من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم،قيل يا رسول الله إن كانت لكافيه،قال فُضِّلَت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثلُ حرِّها** » .

* وأخرج مسلم[٢] من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبةً [٣] فقال النبى ﷺ: « **تدرون ما هذا** »؟ **قال قلنا الله ورسوله أعلم قال** :« **هذا حجر رُمى به فى النار منذ سبعين خريفاً فهو يهوى فى النار الآن حتى انتهى إلى قعرها** ».

* وقد تقدم حديث ابن مسعود عند مسلم[٤]

قال قال رسول الله ﷺ: « **يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**».

(١) أخرجه البخارى (٣٢٦٥).
(٢) أخرجه مسلم (٢٨٤٢).
(٣) وجبة : أى سقطة .
(٤) أخرجه مسلم (٢٨٤٢) ،وتقدم الكلام عليه فى سورة الفجر.

﴿ معانى مفردات السورة الكريمة ﴾

الكلمة	معناها
القارعة	القيامة ـ الساعة .
الْمَبْثُوثِ	المتفرق المنتشر.
كَالْعِهْنِ	الصوف ـ الصوف الملون.
الْمَنفُوشِ	المنتفش بعضه عن بعض .
عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ	عيشة رضيها صاحبها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ① حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ② كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ⑤ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ⑥ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ⑦ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ⑧ ﴾

* * *

يُحذر الله سبحانه وتعالى عباده من التكالب على هذه الحياة الدنيا والتباهي بزخرفها وبما فيها فيقول سبحانه: ﴿ أَلْهَاكُمُ ﴾ أى شغلكم وصرفكم وحملكم على التباهى .

﴿ التَّكَاثُرُ ﴾ أى المكاثرة بالمال والولد والجاه والأنصار والخَدَم والعبيد وأنواع الطعام وسائر الشهوات الفانية، وكذلك قولكم نحن أكثر من بنى فلان وبنى فلان مالاً وولداً وجاهاً، شغلكم هذا التكاثر وصرفكم وألهاكم عن عبادة ربكم وعن تعلم ما ينفعكم فى أُخراكم وعن العمل للآخرة، واستمر بكم هذا الانشغال .

وقد روى مسلم[1] من حديث عبدالله بن الشخير رضى الله عنه

(١) مسلم (حديث ٢٩٥٨)

قال أتيت النبى ﷺ وهو يقرأ ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ قال: «**يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت**».

استمر بكم هذا التباهى والانشغال بالتكاثر حتى جآءكم الأجل ووافاكم الموت وحملتم إلى القبور ودفنتم فيها ، تمادى بكم التباهى أيضاً بالأشخاص الذين ماتوا حتى عددتم من مات منكم وقلتم مات منا فلان ومات منا فلان وذهبتم إلى القبور تتباهون بكثرة الأموات، وعبَّرَ عن الموت بقوله : ﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ لأن الأموات فى القبور كالزائرين لها ثم يرجعون بعد ذلك إلى منازلهم فى الجنان أو النيران، فليست القبور لهم بدار استقرار ولا بقاء، إنما هم فيها زوار ثم يتجهون إلى دار القرار من جنة أو نار.

﴿ كَلَّا ﴾ أى ما كان ينبغى أن تنشغلوا عن أُخراكم ، وما كان ينبغى أن تتباهوا بحطام الدنيا الفانى، وما كان ينبغى أن تُقبلوا على الدنيا وتتركوا الآخرة ﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ أى سوف تعلمون نتيجة عملكم ونتيجة تكاثركم فى الدنيا وتباهيكم فيها وإقبالكم عليها وإعراضكم عن الآخرة .

﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ لتأكيد ما سبق أى ستعلمون ما ذكرناه لكم وستتأكدوا من ذلك، ستعلمون ذلك عند نزول الموت بكم وستعلمون ذلك فى قبوركم وعند قيامكم يوم القيامة كذلك، ﴿كَلَّا﴾

أى ليس الأمر كما تزعمون من أنكم ستتركون هملاً بلا بعثٍ ولا حساب ولا ثواب ولا عقاب

﴿ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾ أى لو تعلمون علمًا يقينياً ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾

اعلموا أنكم سترون النار . ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾

أى ستشاهدونها بأعينكم

فمراتب العلم ثلاثة

عِلْمَ الْيَقِينِ وعَيْنَ الْيَقِينِ وحق اليقين

أما عِلْمَ الْيَقِينِ: فأن تعلم علماً يقينياً أن هناك نار ويتأتى هذا العلم بالأدلة .

وأما عَيْنَ الْيَقِينِ :فأن ترى هذه النار بعينيك ويتأتى هذا العلم بالمشاهدة .

وأما حق اليقين :فأن تحسها وتدخلها،ويتأتى هذا العلم بالملابسة والمخالطة .

* وكما ضُرب لذلك مثل آخر،فتأتى الأدلة والنقولات على أن هناك كعبة ،فالعلم بالكعبة وجهتها علم يقين،فإذا رآها الشخص فهو عين اليقين فإذا دخلها الشخص وكان فى جوفها فهو حق اليقين .

لترون جميعاً أيها الناس الجحيم،لكنها للمؤمن ممرٌ وللكافرين مقر

كما قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾

ومن العلماء من قال إن الذين يرونها هم الذين ألهاهم التكاثر وهم الكفار.

وقوله ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾

فهؤلاء الذين ألهاهم التكاثر سيسألون يوم القيامة عما متعهم الله به من الأموال والبنين والخدم والحشم والجاه والعبيد، وعموم الخلق أيضاً سيسألون عن النعيم بدليل ما أخرجه مسلم[1] من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

* وفيه أن النبى ﷺ قال لأبى بكر وعمر : « **والذى نفسى بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة** » .

---

(١) أخرج مسلم (٢٠٣٨) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبى بكر وعمر فقال: « **ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة** »، قالا الجوع يا رسول الله! قال: «**وأنا والذى نفسى بيده لأخرجني الذى أخرجكما قوموا** » فقاموا معه فأتى رجلاً من الأنصار فإذا هو ليس فى بيته فلما رأته المرأة قالت مرحباً وأهلاً فقال لها رسول الله ﷺ: « **أين فلان** » ،قالت ذهب يستعذب لنا من الماء إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه ثم قال الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافاً منى، قال فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال كلوا من هذه وأخذ المُدية[1] فقال له رسول الله ﷺ « **إياك والحلوب** » فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما أن شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبى بكر وعمر « **والذى نفسى بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم** » .

---

(١) المدية: السكين .

أما النعيم الذى سيسأل عنه العبد فهو عموم النعم التى أنعم الله بها عليه.

* فَيُسأل عن نعمة الطعام والشراب كما ورد فى حديث رسول الله ﷺ مع أبى بكر وعمر .

* ويُسأل عن الصحة كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** ﴾

وكما قال عليه الصلاة والسلام: « **نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ** »

* ويسأل عن نعمة الأمن كما قال تعالى: ﴿ **فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ** ﴾

وكما قال سبحانه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ** ﴾

* ويسأل عن نعمة المال والجاه والسلطان والزوجات والولدان والعمران.

* ويُسأل عن سائر النعم كنعمة العلم ونعمة العقل وعموم النعم ،وقد ذكر القرطبى عشرة أقوال فى هذا الباب واختار القول بأن المسؤول عنه عموم النعم،قال لأن اللفظ يعم،والله أعلم .

﴿ معانى مفردات السورة الكريمة ﴾

الكلمة	معناها
أَلْهَاكُمُ	شغلكم ـ صرفكم
التَّكَاثُرُ	المكاثرة بالمال والولد
عِلْمَ الْيَقِينِ	علماً يقينياً
عَيْنَ الْيَقِينِ	يقيناً بأعينكم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) ﴾

* * *

يُقْسم الله سبحانه وتعالى بالعصر، وهو الدهر والزمان الذى تقع فيه حركات بنى آدم، هذا العصر وما يحصل فيه من الأعاجيب من السراء والضراء والصحة والمرض والفقر والغنى واليسر والشدة وغير ذلك.

ومن العلماء من قال إنه وقت العصر المعروف، أى وقت صلاة العصر، فأقسم الله بالعصر كما أقسم بالضحى وكما أقسم بالليل.

يُقْسم الله سبحانه على : ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾

أى فى هلكةٍ ونقصانٍ وخسار وذلك فى الدنيا والآخرة ففى الدنيا كل يوم يمر عليه يقربه من أجله ويُقَرِّبه من الكبر والهرم ومن ثمّ فحاله كما قال تعالى: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ ﴾

أما فى الآخرة فلا شك أن هذا الانسان فى ضياع وهلاك وخسائر وعذاب، عموم الانسان فى هذا الخسار والنقص : ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

فالنجاة من هذه الخسارة متعلقة بأمور أربعة: الإيمان (بكل

أركانه)، وعمل الصالحات، والتواصى بالحق(أى وصية بعضهم بَعضًا باتباع الحق والثبات عليه)، والتواصى بالصبر، فهى أربعة إذن:

إيمان وعمل صالح وتواصى بالحق وتواصى بالصبر، هذا ولما كان الإيمان بالله وعمل الصالحات ونشر الخير والتواصى بالحق يعقبه ابتلاء، والابتلاء يلزمه صبرٌ ،جاء الحث على التواصى بالصبر ،فى قوله تعالى: ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ أى أن هؤلاء الذين آمنوا بالله وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق، أوصى بعضهم بعضاً أيضاً بالصبر على ما يصيبهم من بلاء فى سبيل ما اعتقدوه وما عملوه من عمل صالح، وأوصى بعضهم بعضاً أيضاً بالصبر على أقدار الله عز وجل، ونحو ذلك قول لقمان لابنه: ﴿ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾

فغالبا اتباع الحق يتبعه بلاء فمن ثمَّ يلزم الصبر، والله أعلم .

***

﴿ معانى مفردات السورة الكريمة ﴾

الكلمة	معناها
الْعَصْرِ	الدهر ـ وقت العصر
خُسْرٍ	هلكة ونقصان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ (٩) ﴾

* * *

قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾

يُخبر الله عزَّ وجل عما أعدَّه من الويل، وهو العذاب الشديد والهلاك، لهذا الهمَّاز اللمَّاز الذى يهمز الناس ويعيبهم وينتقصهم بلسانه، ويلمزهم ويعيبهم بأفعاله وإشاراته، وهذا الإخبار يحمل معنى الوعيد الشديد والتهديد الأكيد لهذا الهماز اللماز .

﴿ الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ ﴾ أى هذا الهمَّاز اللمَّاز الذى انشغل بجمع المال وأضاع وقته فى إحصائه وتعداده، وتلذذ بإحصائه وتعداده ولم ينفقه فى سبيل الله، هذا الهماز اللماز الذى حمله ماله وغناه على السخرية من الناس وازدرائهم كما هو حال أكثر الناس الذين ابتعدوا عن طريق الله سبحانه وتعالى، تحملهم ثرواتهم وغناهم على السخرية من الناس واحتقارهم، كما قال تعالى: ﴿ كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦)

أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴾ كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ﴾

﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴾ أيحسب هذا الهمَّاز اللمَّاز أن ماله الذى جمعه وبخل بإنفاقه سيجعله يخلد فى الدنيا ويعيش بلا موت؟!!

﴿ كَلاَّ ﴾ أى ليس الأمر كما يظن هذا الهمَّاز اللمَّاز من أن ماله سيكون سبباً فى خلوده فى الدنيا، ﴿ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴾ أى لَيُطرحن صاحب هذا المال فى(الحطمة) وهى النار، ولينبذن ماله أيضاً معه فى النار، كما قال تعالى:

﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴾

وهل تدرى ما هى الحطمة وما هو قدر عظمها وشدة هولها ؟.

إنها ﴿ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۝٦ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ ﴾

يطلع ويرتفع ألمها ووهجها ولهيبها وحرها ﴿ عَلَى الأَفْئِدَةِ ﴾ أي على القلوب، فقد احترقت الأبدان بهذه النيران ثم اتجهت هذه النيران إلى القلوب كذلك فأحرقتها ،قال بعض العلماء وخصَّ الأفئدة بالذكر مع كونها تغشى جميع أبدانهم لأنها محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة ومنشأ الأعمال السيئة، وقيل المعنى أنها تعلم بمقدار ما يستحقه كل واحدٍ من العذاب، وذلك بأمارات عرفها الله بها .

ثم إن هذه النار مغلقة على أهلها كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ فهى مغلقة على أهلها مطبقة عليهم .

أما قوله تعالى: ﴿ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾

فمن العلماء من قال إن ﴿ فِي ﴾ هنا بمعنى الباء فالمعنى بعمد ممددة، والعمد جمع عمود، والممدد هو الطويل، فالمعنى إنها (أى النار) على أهلها مؤصدة (أى مغلقة مطبقة) بأعمدة طويلة .

* أو أن النار أغلقت عليهم وأطبقت ثم أُحكم قفلها بأعمدة طويلة ونحو هذا يفعله أصحاب بعض المحلات فى دنياهم، فبعد أن يغلقوا الأبواب بالمفاتيح يحكمون الغلق بأعمدة حديدية مستعرضة لحماية الأبواب من اللصوص .

* وقال ابن الجوزى فى« زاد المسير »: قال المفسرون: وهى أوتاد الأطباق التى تطبق على أهل النار، و(فى) بمعنى الباء، والمعنى مطبقة بعمد .

* وقول آخر : إن أهل الكفر موضوعون فى عمدة ممدة أى داخل أعمدة طويلة داخل النار.

* ومن العلماء من قال إنهم موضوعون فى أعمدة طويلة وقد مُدَّت هذه الأعمدة حتى سُدت بها أبواب النار، والعياذ بالله .

* ومنهم من قال إن النار عليهم مغلقة، ومع كونها مغلقة عليهم فَهُم مربطون.(موثقون) فى أعمدة داخل النار، ولتقريب الفهم فقد

يكون الرجل سجينا فى الدنيا داخل غرفة فالغرفة مغلقة عليه من الخارج، وهو بداخلها أيضاً مقيد فى أوتاد وفى أعمدة، فهى قيود من بعد قيود وسجون داخل سجون أجارنا الله منها. .

***

﴿ معانى مفردات السورة الكريمة ﴾

الكلمة	معناها
هُمَزَةٍ	عيابٌ بلسانه
لُمَزَةٍ	عياب للناس بفعله
أَخْلَدَهُ	جعله يخلد فى الدنيا
لَيُنْبَذَنَّ	ليقذفن ـ ليطرحن
تَطَّلِعُ	تصعد ـ يطلع ألمها
الأَفْئِدَةِ	القلوب
عَمَدٍ	أوتاد الأطباق التى تطبق على أهل النار (كالمفصلات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ (٥) ﴾

* * *

يبين الله سبحانه وتعالى عقوبة الظلم والظالمين، ويلفت نظر العباد إليها حتى يحذروا الظلم وعاقبته، ويبين سبحانه قدرته على الانتقام ممن خالف أمره واستطال على عباده وحاول انتهاك حرمة بيته، فيقول سبحانه .

﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ أى ألم تعلم، وألم يأتك خبر ما حدث لأصحاب الفيل؟!!

هؤلاء الظلمة الذين أتوا بالفيل من بلادهم كى يدمروا الكعبة، ويخربوا بيت الله الحرام ويصرفوا وجوه الناس إلى بلادهم .

أما قصة هؤلاء القوم وما حل بهم فقد نقلها كثير من المفسرين وأهل السير بأسانيد فيها ضعف ولكنهم تلقفوها وتلقوها بالقبول، وذكرها ابن إسحاق فى السيرة فقال: « أن أبرهة بنى كنيسة بصنعاء وكان نصرانيا، فسماها القُلَّيْس، لم يُر مثلها فى زمانها بشىء من

الأرض، وكتب إلى النجاشى ملك الحبشة: إنى قد بنيت لك أيها الملك كنيسة، لم يُبن مثلها لملك كان قبلك، ولستُ بمنتهٍ حتى أصرف إليها حاج العرب فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك للنجاشى، غضب رجل من النَّسأة أحد بنى فقيم، ثم أحد بنى مالك، فخرج حتى أتى القُليس، فقعد فيها، ثم خرج فلحق بأرضه، فأخبر أبرهة بذلك، فقال: من صنع هذا ؟ فقيل: صنعه رجل من أهل هذا البيت الذى تحج العرب إليه بمكة، لما سمع من قولك: أصرف إليه حاجَّ العرب، فغضب، فجاء فقعد فيها، أى إنها ليست لذلك بأهل ، فغضب عند ذلك أبرهة، وحلف ليسيرنَّ إلى البيت فيهدمه، وعند أبرهة رجال من العرب قد قَدِموا عليه يلتمسون فضله، منهم محمد بن خُزَاعى بن حِزابة الذَّكوانى، ثم السُّلَمى، فى نفر من قومه، معه أخ له يقال له قيس بن خزاعى، فبينما هم عنده ، غشيهم عبد لأبرهة، فبعث إليهم فيه بغذائه، وكان يأكل الخُصى ، فلما أتى القوم بغذائه ، قالوا: والله لئن أكلنا هذا لا تزال تسبُّنا به العرب ما بقينا، فقام محمد ابن خزاعى، فجاء أبرهة فقال أيها الملك إن هذا يوم عيد لنا لا نأكل فيه إلا الجُنوب والأيدى، فقال له أبرهة: فسنبعث إليكم ما أحببتم، فإنما أكرمتكم بغذائى لمنزلتكم عندى.

ثم إن أبرهة توَّج محمد بن خُزاعى ، وأمَّره على مضر، وأمره أن يسير فى الناس يدعوهم إلى حج القُليس كنيسته التى بناها، فسار

محمد بن خزاعى حتى إذا نزل ببعض أرض بنى كنانة، وقد بلغ أهل تهامة أمره وما جاء له، بعثوا إليه رجلا من هُذَيل يقال له عُروة بن حياض الملاصى، فرماه بسهم فقتله، وكان مع محمد بن خزاعى أخوه قيس بن خزاعى، فهرب حين قُتل أخوه، فلحق بأبرهة، فأخبره بقتله، فزاد ذلك أبرهة غضبا وحنقا، وحلف ليغزونَّ بنى كنانة، وليهدمنَّ البيت.

ثم إن أبرهة حين أجمع السير إلى البيت أمر الحُبْشان فتهيأت وتجهزت، وخرج معه بالفيل، وسمعت العرب بذلك، فأعظموه، وفُظِعوا به، ورأوا جهاده حقا عليهم، حين سمعوا أنه يريد هدم الكعبة، بيت الله الحرام، فخرج رجل كان من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له ذو نَفْر، فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب، إلى حرب أبرهة، وجهاده عن بيت الله، وما يريد من هدمه وإخرابه، فأجابه من أجابه إلى ذلك، وعَرَض له وقاتله، فهُزم وتفرّق أصحابه، وأُخِذَ له ذو نفر أسيرا، فلما أراد قتله، قال ذو نفر: أيها الملك لا تقتلنى، فإنه عسى أن يكون بقائى معك خيرا لك من قتلى، فتركه من القتل، وحبسه عنده فى وثاق وكان أبرهة رجلا حليما .

ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له، حتى إذا كان بأرض خثعم عرض له نُفَيل بن حبيب الخثعمى فى قبيلتى خثعم: شهران، وناهس، ومن معه من قبائل العرب، فقاتله فهزمه

أبرهة، وأُخِذ له أسيراً، فأُتى به، فلمـا همَّ بقتله، قال له نفيل: أيها الملك لا تقتـلنى، فإنى دليلك بأرض العـرب، وهاتان يداى لك على قبـيلتى خثعم: شهران، وناهس، بالسمع والطاعـة، فأعفاه وخلَّى سبيله ، وخرج به معه يدله على الطـريق، حتى إذا مرَّ بالطائف، خرج إليه مـسعود بن معتب فى رجال ثقـيف، فقال : أيها الملك، إنما نحن عبيـدك، سامعون لك مطيـعون ، ليس لك عندنا خـلاف، وليس بيتنا هذا بالبـيت الذى تريد ، يعنون اللات، إنما تريد البـيت الذى بمكة، يعنون الكعـبة، ونحن نبعث معك من يدلك، فـتجاوز عنهم، وبعثوا معـهم أبا رغال، فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله المغـمِّس، فلما أنزله به مات أبو رغال هناك، فرجمت العرب قبره. فهو القبر الذى ترجم الناس بالمغمِّس.

ولما نزل أبرهة المغمس: بعث رجـلاً من الحبشة يقـال له: الأسود بن مقصود على خيل له، حتى انتـهى إلى مكة، فساق إليه أموال أهل مكة من قـريش وغيـرهم، وأصـاب فيـهـا مئتى بعـير لعـبـد المطلب بن هاشم، وهو يومئذ كـبير قريش وسيِّـدها، وهمَّت قريش وكنانة وهُذَيل ومن كان معـهم بالحرم من سائر الناس بقتاله، ثم عـرفوا أنهم لا طاقة لهم به، فتركوا ذلك، وبعث أبرهة حُناطة الحـميرىّ إلى مكة، وقال له: سل عن سيد هذا البلد وشـريفهم، ثم قل له: إن الملك يقول لكم: إنى لم آت لحربكم، إنما جئت لهدم البيت، فإن لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لى بدمائكم ، فإن لم يُرِدْ حربى فأتنى به .

فلـمـــا دخل حنـاطة مكـة، ســأل عن ســيـــــد قـــريش

وشريفها، فقيل: عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَى، فجاءه، فقال له ما أمره به أبرهة، قال له عبدالمطلب: والله ما نريد حربه، وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام، أو كما قال، فإن يمنعه فهو بيته وحرمه، وإن يُخْل بينه وبينه، فوالله ما عندنا له من دافع عنه، أو كما قال، فقال له حناطة: فانطلق إلى الملك، فإنه قد أمرنى أن آتيه بك، فانطلق معه عبدالمطلب، ومعه بعض بنيه، حتى أتى العسكر، فسأل عن ذى نفر، وكان له صديقاً، فدلَّ عليه، فجاءه وهو فى محبسه فقال: يا ذا نفر هل عندك غناء فيما نزل بنا؟ فقال له ذو نفر، وكان له صديقاً: وما غناء رجل أسير فى يدى ملك ينتظر أن يقتله غدواً أو عشياً، ما عندى غناء فى شىء مما نزل بك إلا أن أنيسا سائق الفيل لى صديق، فسأرسل إليه فأوصيه بك، وأعظم عليه حقك وأسأله أن يستأذن لك على الملك، فتكلمه بما تريد، ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك. قال حسبى، فبعث ذو نفر إلى أنيس، فجاء به، فقال: يا أنيس إن عبدالمطلب سيِّد قريش، وصاحب عير مكة، يُطعم الناس بالسهل، والوحوش فى رءوس الجبال، وقد أصاب الملك له مئتي بعير، فاستأذن له عليه وانفعه عنده بما استطعت، فقال: أفعل.

فكلَّم أنيس أبرهة، فقال: أيها الملك، هذا سيِّد قريش ببابك يستأذن عليك، وهو صاحب عير مكة يطعم الناس بالسهل، والوحوش فى

رءوس الجبــــال، فَـأْذَن له عليـك، فليكلمك بحــاجتــه، وأحـسن إليـه، قال: فـأذن له أبرهة وكـان عبـدالمطلب رجـلا عظيـماً وسـيمـا جسـيمـا، فلما رآه أبرهة أجلَّـه وأكرمه أن يجـلس تحته، وكـرِه أن تراه الحبـشة يجلسه معـه على سرير ملكه، فنزل أبرهة عن سـريره، فجلس على بساطه، فأجلسـه معه عليه إلى جنبه، ثم قال لتـرجمانه: قل له ما حاجتك إلى الملك؟ فقال له ذلك الترجمان، فقال له عبدالمطلب: حاجتى إلى الملك أن يرد على مئتي بعير أصـابها لى، فلما قـال له ذلك، قال أبرهة لترجمانه: قل له: قد كنت أعـجبتنى حين رأيتك، ثم زهدت فيك حين كلمتنى، أتكلمنى فى مئتى بعير أصـبتها لك، وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك، قد جئت لهدمه فلا تكلـمنى فيه؟ قال له عبدالمطلب: إنى أنا ربُّ الإبل وإن للبيت ربا سيمنعه، قال: ما كان ليُمنَع منى، قال: فأنت وذاك، اردد إلىَّ إبلى. وكـان فيـما زعم بعض أهل العلم قـد ذهب مع عبدالمطلب إلى أبرهة حين بعث إليه حناطة يعمر بن نفاثة ابن عدى بن الديل بن بـكر بن عـبـد مـناف بن كنانة، وهو يومـئـذ سيـــد بنى كنانة، وخويلد بن واثلة الهُـذْلى وهو يومئذ سيد هُذَيل، فـعرضوا على أبرهة ثلث أمـوال تهامة، على أن يرجـع عنهم، ولا يهدم البـيت، فأبى عليـهم، والله أعلم. وكان أبرهة ، قـد ردَّ على عبـدالمطلب الإبل التى أصاب له، فلما انصرفوا عنه انصرف عـبدالمطلب إلى قريش، فأخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج من مكة، والتحـرز فى شعف الجبال والشعاب

تخوفاً عليهم من مَعَرَّة الجيش، ثم قام عبدالمطلب، فأخذ بحلْقة الباب، باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله، ويستنصرونه على أبرهة وجنده، فقال عبدالمطلب، وهو آخذ بحلقة باب الكعبة :

وقال أيضا:

يارَبِّ لا أرْجُو لَهُمْ سِوَاكَا ... يارَبِّ فامْنَعْ مِنْهُمْ حِمَاكَا
إنَّ عَدُوَّ البَيْتِ مَنْ عَادَاكَا ... امْنَعْهُمُ أنْ يُخَرِّبُوا قُرَاكَا[1]

وقال أيضاً :

لا هُمَّ إنَّ الْعَبْدَ يَمْنَعُ ... رَحْلَهُ فَامْنَعْ حِلالَكْ
لا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ ... ومِحَالُهمْ غَدْواً مِحَالَكْ
فَلَئِنْ فَعَلْتَ فَرُبَّمَا ... أوْلَى فَأمْرٌ مَا بَدَا لَكْ
وَلَئِنْ فَعَلْتَ فَإنَّهُ ... أمْرٌ تُتِمُّ بِهِ فِعَالَكْ[2]

---

(١) هذان البيتان ينسبان إلى عبد المطلب جد النبى ﷺ زعموا أنه قالهما فى حرب الفيل، وقد ذكرها الثعلبى المفسر فى العرائس المعروف بقصص الأنبياء(طبعة الحلبى٢ ٤٤٢).

(٢) بعض هذه الأبيات ينسب إلى عبد المطلب جد النبى ﷺ، وكان رئيس مكة وهو القائم بأمر البيت ، قالها عند قصد الحبشة لغزو مكة، وهدم الكعبة، وقد أورد ابن إسحاق منها ثلاثة أبيات، وهى :

لا هُمَّ إنَّ الْعَبْدَ يَمْنَعُ ... رَحْلَهُ فَامْنَعْ حِلالَكْ
لا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ ... ومِحَالُهمْ غَدْواً مِحَالَكْ
إن كنت تاركهم وقبلتنا ... فأمر ما بدا لك=

وقال أيضاً :

وكُنْـتُ إذَا أتـى بـاغٍ بِسَـلْمٍ نُرَجِّـى أن تكُـونَ لَنـا كَـذلكْ
فَـولَّوْا لَمْ يَنالُـوا غَـيْرَ خِـزْىٍ وكـانَ الحُـسَينُ يُهْلكُهُمْ هُـنَالكْ
ولَمْ أسْـمَعْ بـأرْجَسَ مِنْ رِجـالٍ أرَادُوا العِـزَّ فـانتَـهكُوا حَـرامَكْ
جَـرُّوا جُـمُـوعَ بِـلادِهِمْ والفِـيلَ كَىْ يَسـبُـوا عِـيالَكْ

ثم أرسل عبدالمطلب حلقة باب الكعبة، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شعَف الجبال ، فتحرّزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها، فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة، وهيأ فيله، وعبأ جيشه، وكان اسم الفيل محموداً، وأبرهة مُجمِعٌ لهدم البيت، ثم الانصراف إلى اليمن فلما وجَّهوا الفيل أقبل نفيل بن حبيب الخثعمى، حتى قام إلى جنبه، ثم أخذ بأذنه فقال: ابرك محمود، وارجع راشداً من حيث جئت فإنك فى بلد الله الحرام، ثم أرسل أذنه، فبرك الفيل، وخرج نُفَيل بن حبيب يشتد حتى أصعد فى الجبل، وضربوا الفيل ليقوم فأبى، وضربوا فى رأسه بالطبرزين ليقوم، فأبى، فأدخلوا محاجن لهم فى مراقه، فبرغوه بها ليقوم فأبى، فوجَّهوه راجعا إلى اليمن، فقام يهرول ووجَّهوه إلى الشام، ففعل مثل ذلك، ووجَّهوه إلى

== قال ابن هشام: هذا ما صح له منها، وقال السهيلي فى« الروض الأنف» تعليقا على قول عبدالمطلب هذا: وفي الرجز بيت ثالث لم يقع فى الأصل، وهو قوله :

وانصرْ على آل الصَّليب وعابديه اليومَ آلَكْ

وقوله: جلالك: هم القوم الحالون فى المكان. أ.هـ. وقيل إن البيت الثالث مما رواه الواقدى، ولم يروه ابن إسحاق .أ.هـ . من حاشية المعلق علي الطبري.

المشرق، ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فبرك، . وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف، مع كل طير ثلاثة أحجار يحملها: حجر فى منقاره، وحجران فى رجليه مثل الحمص والعدس، لا يصيب منهم أحدا إلا هلك، وليس كلهم أصابت، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذى منه جاءوا، ويسألون عن نُفَيل بن حبيب، ليدلهم على الطريق إلى اليمن، فقال نفيل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته .

أيْنَ المَفَرُّ والإلَـهُ الطَّالِبْ والأشْرَمُ المَغْلُوبُ غَيْرُ الْغَالِبْ

فخرجوا يتساقطون بكل طريق، ويهلكون على كل منهل، فأصيب أبرهة فى جسده، وخرجوا به معهم، فسقطت أنامله أنملة أنملة، كلما سقطت أنملة اتبعتها مِدَّة تمثُّ قيحا ودما، حتى قدموا به صنعاء، وهو مثل فرخ الطير، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون .

حدثنا ابن حميد ، قال: ثنا سلمة عن ابن إسحاق، عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدَّث ، أن أوّل ما رُؤيت الحصبة والجدرى بأرض العرب ذلك العام، وأنه أول ما رؤى بها مُرار الشجر الحرملُ والحنظلُ والعُشرُ ذلك العام.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ أقبل أبرهة الأشرم من الحبشة

يوما ومن معه من عداد أهل اليمن إلى بـيت الله ليهدمه من أجل بيعة لهم أصابها العرب بأرض اليمن، فأقبلوا بفيلهم حتى إذا كانوا بالصفّاح برك، فكانوا إذا وجّـهـوه إلى بيت الله ألقى بجـرانه على الأرض وإذا وجهوه إلى بلدهم انطلق وله هرْولة، حتى إذا كـان بنخلة اليمانية بعث الله عليـهم طيرا بيـضـاً أبابيل، والأبابيل: الكثـيرة، مع كل طيـر ثلاثة أحجار: حجران فى رجليه، وحجر فى منقاره، فجعلت ترميهم بها حتى جعـلهم الله عز وجل كـعصف مـأكول، قـال: فنجا أبو يكسـوم وهو أبرهة، فجـعل كلما قـدم أرضا تسـاقط بعض لحمـه، حتى أتى قـومه .فأخبرهم الخبر ثم هلك .

وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَـيْـدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴾ أى ألم يجـعل مكرهم وتدبيرهم وخططهم ﴿ فِي تَضْلِيلٍ ﴾ أى فى إبطال وتضييع وخسارة وهلاك ؟!!

وقد كان هذا فقد أبطل الله مكرهم وأحبط الله عملهم وخيّب الله سعيهم ورد كيدهم فى نحرهم .

﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ أى جماعات جماعات وفرق كثيرة متتابعة يتبع بعضها بعضاً.

﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾أى أن هذه الطيور أرسلها الله عزَّ وجل على هؤلاء الظالمين ترمـيهم وتقـذفهم ﴿ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ وهو الطين المتحجر شديد القوة .

﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ أى أن الله سبحانه وتعالى جعل هؤلاء الظلمة بعد أن قذفتهم الطير بالحجارة كعصف مأكول ،أما العصف المأكول فقيل إنه التبن وورق الشجر الذى أكلت منه البهائم وتبقى بعضه،وقيل أيضاً إنه التبن إذا أُكل فأخرجته البهائم روثاً ثم يبس هذا الروث فتفرقت أجزاؤه ،فكذلك جعل الله أصحاب الفيل .

*****

﴿ معانى مفردات السورة الكريمة ﴾

الكلمة	معناها
كَيْدَهُمْ	مكرهم ـ تدبيرهم
تَضْلِيلٍ	تضييع وهلاك وإبطال
أَبَابِيلَ	جماعات ـ فرق متتابعة
سِجِّيلٍ	طين متحجر
عَصْفٍ	تبن
مَّأْكُولٍ	أُكل منه وأصبح روثاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ لإِيلافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ (٤) ﴾

* * *

يذكر الله سبحانه وتعالى بعض نعمه التى أنعم بها على قبيلة قريش ،تلك القبيلة التى اصطفاها الله سبحانه وتعالى كما قال النبى ﷺ: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة،واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم**»[1].

فيقول سبحانه: ﴿ لإِيلافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾

أما الإيلاف فمن معانيها التأليف،فالمعنى للتأليف بين أفراد هذه القبيلة ـ قبيلة قريش ـ ولجمع كلمتهم ولعدم فرقتهم أنعمنا عليهم ـ بإيلافهم ـ أى بجعلهم يألفون أى يتعودون ـ رحلة الشتاء (إلى اليمن) والصيف (إلى الشام) فكانوا يذهبون إلى اليمن والشام ولا يشق عليهم هذا الذهاب ولا يعترضهم أحدٌ بسوء لكونهم أهل الحرم وسكانه .كما قال تعالى :

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٢٧٦) .

﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾

* **ومعنى آخر للآيات:** وهو مبنى على ربط السورة بالسورة التى قبلها، ألا وهو جعل الله أصحاب الفيل كعصفٍ مأكول لتبقى قريش مؤتلفة مجتمعة ويبقى لها ما قد ألفته وتعودته من رحلة الشتاء والصيف فيذهب أفراد هذه القبيلة صيفا وشتاء إلى الشام واليمن وهم مهابون موقرون لا يعترضهم أحدٌ بسوء ولا ينالهم أحد بمكروه .

* **ومعنى ثالث:** اعجبوا لإيلاف قريش، أى تعود قريش على رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت .

* هذا ومن المعلوم أن الله سبحانه وتعالى إذا أنعم على عبدٍ نعمةً وجب على هذا العبد شكرها حتى يزيده الله سبحانه وتعالى منها كما قال سبحانه : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾

فكما أن الله أنعم على القرشيين بنعمة جمعهم وتوحيد كلمتهم وهيبة الناس لهم واحترام الناس وتقديرهم إياهم، وأنعم عليهم بنعمة السفر للتجارات وعدم تعرض أحدٍ لهم بسوء.

﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾

أى واجب عليهم وجدير بهم أن يعبدوا رب هذا البيت الحرام فهو: ﴿ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾

كما قال تعالى : ﴿ يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا ﴾

فهو سبحانه أطعمهم من الجوع الذى كانوا فيه وآمنهم من الخوف

الذى يعتـرى غيرهم وأيضاً فـقد أهلك عدوهم أبرهة صـاحب الفيل وجعلهم فى مأمنٍ عند حلِّهم وترحالهم لكونهم أهل بيت الله الحرام

ولكن يا ترى هل انتفع القـرشيون بذلك، وهل نفعتـهم مجاورتهم للبيت، كلا فإن كـثيرا منهم ما انتفعـوا بذلك، بل وأصروا على الكفر والعناد وحرب المرسلين.

كما قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾

﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾

فـالبيت لا ينـفع أهله إذا لم يكونوا مـؤمنين، وكذلك الـقرابات والوجـاهات والرياسات لا تنفع عند ذهاب الإيمان .

*****

﴿ معانى مفردات السورة الكريمة ﴾

الكلمة	معناها
لإيلاف	للتأليف بين القلوب وجمع الكلمة
إيلافِهِمْ	تَعوُّدُهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ① فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ② وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ③ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ④ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ⑤ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ⑥ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ⑦ ﴾

* * *

يبين الله سبحانه وتعالى بعض الخصال السيئة والصفات الذميمة لهؤلاء المكذبين بالبعث المنكرين للحساب الجاحدين للثواب والعقاب فيقول سبحانه:

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴾ أى بيوم القيامة وما فيه من الجزاء والثواب والعقاب، فهذا الذى يكذب بالدين.

﴿ ذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴾ أى يطرد اليتيم عن أبوابه ويدفعه ويظلمه ويقهره، إذ هو لا ينتظر ثواباً ولا يخشى عقاباً فلذلك أقدم على طرد الأيتام وزجرهم وإهانتهم ،فكما قدمنا أن الاعتقاد الفاسد يدفع إلى عمل فاسد، فالكافر لا يؤمن ببعث ولا بثواب ولا عقاب فما يمنعه إذن من ظلم اليتيم؟!!

أما الذى ينتظر ثواب الله ويرجو لقاءه فهو الذى يكرم اليتيم، يكرمه ابتغاء وجه الله سبحانه وتعالى وانتظاراً لثوابه عز وجل .

هذا المكذب بالدين أيضاً من صفاته :

﴿ وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾

أى لا يحث غيره على إطعام المساكين ولا على إكرامهم، فحمله تكذيبه بيوم القيامة وإنكاره للثواب والعقاب على حرمان المساكين وإهمالهم وترك حث الآخرين على إكرامهم ثم توعَّد الله قوماً آخرين بالويل، وهو العذاب الشديد والهلاك، وهؤلاء القوم الذين توعدهم الله سبحانه وتعالى، هم قوم شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ولكنهم تهاونوا فى أمر الصلاة ، فلا يبالون بها حتى يخرج وقتها، ولا يعيرونها كبير اهتمام هل صلوا أم لم يُصلوا ويؤخرونها كذلك عن وقتها ،توعَّد الله هؤلاء المتهاونين فى أمر الصلاة بالويل، وهو العذاب الشديد. فقال: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾

. وسهوهم عن الصلاة تركها بالكلية أو تركها حتى يخرج وقتها، وأيضاً عدم المبالاة بها ،وقد جاء الوعيد الشديد لتارك الصلاة وجاء وصفه بالإجرام كذلك.

كما قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨ إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۝٣٩ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝٤٠ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۝٤١ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾

وقال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا

الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾

وقال النبى ﷺ: « العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر »(١)

وقال عليه الصلاة والسلام: « بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»(٢)

هذا وليس المراد بالآية الكريمة السهو داخل الصلاة، فقد سها النبى ﷺ فى صلاته، وإنما المراد ما قدمناه ألا وهو تركها بالكلية أو تأخيرها عن وقتها وعدم المبالاة بها .

أما قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴾ فهو بيان لحال هؤلاء الساهين عن الصلاة فهم أهل رياء ونفاق وسمعة، ويجدر بنا هنا أن نسوق بحثاً سريعاً فى الرياء والمرائين وطرفاً من أقوال العلماء فى تأويل قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴾

قال الطبرى رحمه الله : وقوله: ﴿ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴾

يقول الذين هم يراءون الناس بصلاتهم إذا صلوا لأنهم لا يصلُّون

---

(١) أخرجه أحمد (٥/٣٤٦) من حديث بريدة بن الحصيب الأسلمى رضى الله عنه مرفوعاً.

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٨٢) من حديث جابر بن عبدالله رضى الله عنهما مرفوعاً .

رغبة فى ثواب ولا رهبة من عقاب وإنما يُصلُّونها ليراهم المؤمنون فيظنونهم منهم فيكفون عن سفك دمائهم وسبى ذراريهم، وهم المنافقون الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ يستبطنون الكفر ويظهرون الإسلام ، .

أما الوارد فى ذم الرياء فمنه ما يلى:ـ

* قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ ⑮ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

* وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾

* وقال تعالى: ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾

* وقوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ ويدخل فى الشرك الرياء.

* و قوله تعالى فى الحديث القدسى[1]: « أنا أغنى الشركاء عن

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٩٨٥) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ، قال الله تبارك وتعالى: « أنا أغنى الشركاء . . . الحديث، قال النووى رحمه الله: هكذا وقع فى بعض الأصول (وشركه) وفى بعضها (وشريكه) وفى بعضها (وشركته) ومعناه أنا غنى عن المشاركة وغيرها فمن يعمل شيئاً لى ولغيرى لم أقبله بل أتركه لذلك الغير ، والمراد أن عمل المرائى باطل لا ثواب فيه، ويأثم به .

قلت: وفى معنى هذا الحديث ما أخرجه الترمذى (٣١٥٤) وحسنه من طريق زياد بن ميناء عن أبى سعد بن أبى فضالة الأنصارى ـ وكان من الصحابة قال: سمعت رسول الله =

الشرك،من عمل عملاً أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه ».

وأخرج الإمام أحـمد(١) رحمـه الله: من حديث مـحمود بن لبـيد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

« إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر »

قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟

قال: الرياء، يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة:

« إذا جزى الناس بأعمالهم:اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء ».

* وفى الصحيحين(٢) من حـديث جندب رضى الله عنه قال قـال

= ﷺ يقول: «إذا جمع الله الناس ليوم القيامـةليوم لا ريب فيه نادى مناد:من كان أشرك فى عـمل عـمله لله أحـدا فليطلب ثوابه من عند غـيـر الله فـإن الله أغنى الشـركـاء عن الشرك». وزياد بن ميناء قال فيه ابن المدينى مـجهول إلا أنه أعنى ابن المدينى ـ قال عن إسناد الحديـث: إسناده صالح يقـبله القلب ، هذا وقد وردت آيات كـثيرة فـى الكتاب العزيز تحذر من الشرك وتبين أنه يحبط الأعمال.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

وقال تعالى بعد أن ذكر جملة من الأنبياء فى سورة الأنعام.

﴿ ... ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

(١) أحمد المسند (٥/ ٤٢٨) وإسناده صحيح .

(٢) البخارى (حديث ٦٤٩٩) ومسلم (حديث ٢٩٨٧).

النبى ﷺ: « من سمَّع سمع الله به،ومن يُرائى يرائى الله به»(١).

(١) قال النووى: قال العلماء: معناه من راءى بعمله وسمعه الناس ليكموه ويعظموه ويعتقدوا خيره سمع الله به يوم القيامة الناس وفضحه ،وقيل معناه من سمع بعيوب الناس وأذاعها أظهر الله عيوبه ،وقيل أسمعه المكروه ،وقيل أراه الله ثواب ذلك من غير أن يعطيه إياه ليكون حسرة عليه وقيل من أراد بعمله الناس أسمعه الله الناس وكان ذلك حظه منه.

* والحديث أخرجه البخارى تحت باب (الرياء والسمعة) ،وقال الحافظ ابن حجر فى شرحه (مع الفتح ٣٣٦/١١) : الرياء بكسر الراء وتخفيف الشحتانية والمد ،وهو مشتق من الرؤية والمراد به إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا صاحبها ،والسمعة بضم المهملة وسكون الميم مشتقة من سمع ،والمراد بها نحو ما فى الرياء لكنها تتعلق بحاسة السمع والرياء بحاسة البصر.

وقال الغزالى: المعنى طلب المنزلة فى قلوب الناس بأن يريهم الخصال المحمودة ، والمرائى هو العامل. وقال ابن عبد السلام: الرياء أن يعمل لغير الله، والسمعة أن يخفى عمله لله ثم يحدث به الناس.

ثم نقل الحافظ ابن حجر عن الخطابى قوله فى شرح الحديث : معناه من عمل عملاً على غير إخلاص ،وإنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه جُوزى على ذلك بأن يشهره الله ويفضحه ويُظهر ما كان يُبطنه،وقيل من قصد بعمله الجاه والمنزلة عند الناس ولم يرد به وجه الله فإن الله يجعله حديثاً عند الناس الذين أراد نيل المنزلة عندهم،ولا ثواب له فى الآخرة ،ومعنى يرائى يطلعهم على أنه فعل ذلك لهم لا لوجهه ،ومنه قوله تعالى: ﴿ من كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

* وقيل المراد من قصد بعمله أن يسمعه الناس ويروه ليعظموه وتعلو منزلته عندهم حصل له ما قصد،وكان ذلك جزاؤه على عمله ولا يثاب عليه فى الآخرة،وقيل المعنى من سمَّع بعيوب الناس وأذاعها أظهر الله عيوبه وسمعه المكروه،وقيل المعنى من نسب إلى نفسه عملاً صالحاً لم يفعله وادعى خيراً لم يصنعه ،فإن الله يفضحه ويظهر كذبه،وقيل المعنى من يرائى الناس بعمله أراه الناس ثواب ذلك العمل وحرمه إياه،وقيل معنى سمع الله به شهره أو ملأ أسماع الناس بسوء الثناء عليه فى الدنيا أو فى القيامة بما ينطوى من خبث السريرة قلت (الحافظ) رد فى عدة أحاديث التصريح بوقع ذلك فى الآخرة ،فهو معتمد

وقال عطيه سالم فى تتمته لأضواء البيان والتسميع هو العمل ليسمع الناس به كما فى حديث الوليمة (فى اليوم الأول،والثانى والثالث سمعة ومن سمع سمع به) فالرياء مرجعه إلى الرؤية ،والتسميع مرجعه إلى السماع.

أم قوله تعالى: ﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ فلأهل العلم فيه أقوال: -

أحدها: أن المراد بالماعون الزكاة المفروضة .

الثاني: أن المراد المتاع الذى يتعاطاه الناس فيما بينهم ويستعيرونه من بعضهم كالدلو والقدر والفأس ونحو ذلك .

الثالث: أن الماعون عام يدخل فيه كل ما ذُكر فمانع الزكاة مانعٌ للماعون، ومانع العارية (**كالدلو والقدر والشيء الذى يُستعار**) مانع للماعون كذلك، وهذا هو الراجح لديَّ، والله أعلم .

***

﴿ معانى مفردات السورة الكريمة ﴾

الكلمة	معناها
الدِّينِ	المعاد والجزاء
يَدُعُّ	يدفع ـ يقهر ـ يطرد
يَحُضُّ	يأمر غيره ـ يحث
يُرَاءُونَ	يعملون رياءً وسمعةً كى يراهم الناس
الْمَاعُونَ	الشىء المستعار كالقدر والدلو ونحوهما

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ (٣) ﴾

* * *

يذكر الله سبحانه وتعالى بعض النعم التى أنعم بها على نبينا محمد ﷺ فيقول الله سبحانه لنبيه عليه الصلاة والسلام :

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾

أى قد مَنَنَّا عليك وأنعمنا عليك وأعطيناك الكوثر وهو نهر فى الجنة وعده الله نبيه محمداً ﷺ،وهو أيضاً حوضه عليه الصلاة والسلام

ففى صحيح مسلم من حديث أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «أتدرون ما الكوثر،فقلنا الله ورسوله أعلم،قال فإنه نهر وعدنيه ربى عزَّ وجل عليه خيرٌ كثير،وهو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد النجوم ...»[1]

* هذا ولما كان عند ذوى الفطرة السليمة أن النعمة تجب أن تقابل بالشكر كما هو مقرر فى شرعنا فكما أنا أعطيناك الكوثر: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾

أى اجعل صلاتك خالصة لله دون من سواه واجعل نحرك للإبل

(١) أخرجه مسلم (حديث رقم ٤٠٠).

وذبحك أيضاً خالصاً لله عز وجل، لاكما يفعل المشركون من السجود لغير الله والذبح على غير اسمه سبحانه: بل صل لله واسجد له واذبح على اسمه، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾

﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ ﴾

أى مبغضك وعدوك هو الأذل المنقطع دابره، والمنقطع ذكره بعد موته .

وقد كان القرشيون يصفون رسول الله ﷺ بأنه أبتر أى سينقطع ذكره بعد موته لكونه لم يعش له ولد فردّ الله ذلك عليهم بما رفع للنبى ﷺ من الذكر فى الأولين والآخرين وفى الملأ الأعلى إلى يوم الدين، ووصف عدوه بأنه هو الأذل المنقطع دابره . والله أعلم .

***

﴿ معانى مفردات السورة الكريمة ﴾

الكلمة	معناها
الْكَوْثَرَ	نهر النبى ﷺ وحوضه
انْحَرْ	انحر الابل ـ اطعن فى اللّبة
شَانِئَكَ	مبغضك ـ عدوك
الأَبْتَرُ	المنقطع ـ منقطع الذكر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦) ﴾

* * *

كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يقرأ بهذه السورة فكان يقرأ بها فى الركعة الأولى من ركعتى الفجر (النافلة) بعد الفاتحة، وفى الركعة الأولى من نافلة المغرب كذلك والركعة الأولى من ركعتى الطواف، وفى الركعة الثانية من ركعات الوتر الثلاث وفى هذه السورة إثبات البراءة من الشرك، فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾

فلا تظنوا أبداً أننى سأعبد أصنامكم وآلهتكم، إنما أنا أعبد ربى، أعبده لا أشرك به أحداً، ومن كتب عليه الشقاء منكم فلن يعبد الله وسيموت على الكفر والشرك ﴿ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴾ فتأكدوا من ذلك، تأكدوا أننى لن أعبد آلهتكم لا الآن ولا مستقبلاً ألا فلينقطع رجاؤكم فى عبادتى لآلهتكم ثم لينقطع ﴿ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾

وأنتم كذلك لـن تتحقق عـبادتكم لله مـادمتم قائمـين على الشرك ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾

أى قد رضيتم بدينكم وقد رضيت بدينى وستـجازون على دينكم وسأجازى على دينى فالآية سيقت على سبيل التهديد والتحذير .

قـال القـرطبى رحـمـه الله : فـيـه معنـى التهـديد، وهو كـقـوله تعالى: ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ﴾

أى إن رضيتم بدينكم فقد رضينا بديننا، وكان هذا قبل الأمر بالقتال، فنسخ بآية السيف، وقـيل السورة كلها منسـوخة، وقيل مـا نُسخ منها شىء لأنها خبر .

ومعنى: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ ﴾ أى لكم جـزاء دينـكم ولى جـزاء دينى، وسـمى دينهم ديناً لأنهم اعـتـقـدوه وتولوه، وقـيل المعنى لكم جزاؤكم ولى جزائى لأن الدِّين الجزاء. والله أعلم .

*****

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣) ﴾

* * *

يرى العالم النبيل والصحابى الجليل حبر هذه الأمة عبدالله بن عباس رضى الله عنهما أن هذه السورة آخر سورة نزلت فى كتاب الله عز وجل، ففى صحيح مسلم[1] من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال قال لى ابن عباس: تعلم، وفى رواية تدرى آخر سورة نزلت من القرآن، نزلت جميعاً، قلت نعم ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ قال صدقت، ويروى أيضاً أن هذه السورة نعت إلى النبى ﷺ أجله، فأخبر فيها أن أجله قد اقترب فعليه بالتسبيح والاستغفار، ففى صحيح البخارى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال: « **كان عمر يُدخلنى مع أشياخ بدر، فقال بعضهم لم تُدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله، فقال إنه ممن قد علمتم، فدعاهم ذات يوم ودعانى معهم قال وما رأيته دعانى يومئذ إلا ليريهم منى فقال ما تقولون فى** » ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ حتى ختم السورة، فقال بعضهم

(١) أخرجه مسلم (حديث ٣٠٢٤).

أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا الله وفتح علينا ،وقال بعضهم لا ندرى،أو لم يقل بعضهم شيئاً،فقال لى يا ابن عباس أكذاك تقول،قلت هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له إذا جاء نصر الله،والفتح فتح مكة فذاك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً،قال عمر:« ما أعلم منها إلا ما تعلم»[1]

* يقول الله سبحانه فى هذه السورة :

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾

يعنى إذا نصرك الله عز وجل وفتح عليك مكة، ﴿ وَرَأَيْتَ ﴾ يا محمد الناس يدخلون فى دين الله ﴿ أَفْوَاجًا ﴾ أى جماعات جماعات،ورأيت الناس قد أقبلوا على الإسلام واعتنقوه ودخلوا فيه أفواجا :﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ فأكثر من التسبيح والاستغفار ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ ﴾ وسل الله أن يغفر لك ذنوبك :

﴿ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ أى يرجع على العباد بالرحمة بعد توبتهم من ذنوبهم ورجوعهم عنها ويقبل منهم توبتهم أى رجوعهم وإنابتهم إليه.

* هذا ووجهة من قال إن السورة نعت إلى رسول الله ﷺ أجله « **أى أخبرته باقتراب موته وانتهاء أجله** » أن الاستغفار مشروع فى ختام الأعمال،ففى دبر الصلوات يشرع الاستغفار،وعند ختام المجالس يشرع الاستغفار ففهم ابن عباس من ذلك أن أجل رسول الله ﷺ قد

(١) أخرجه البخارى (٤٢٩٤).

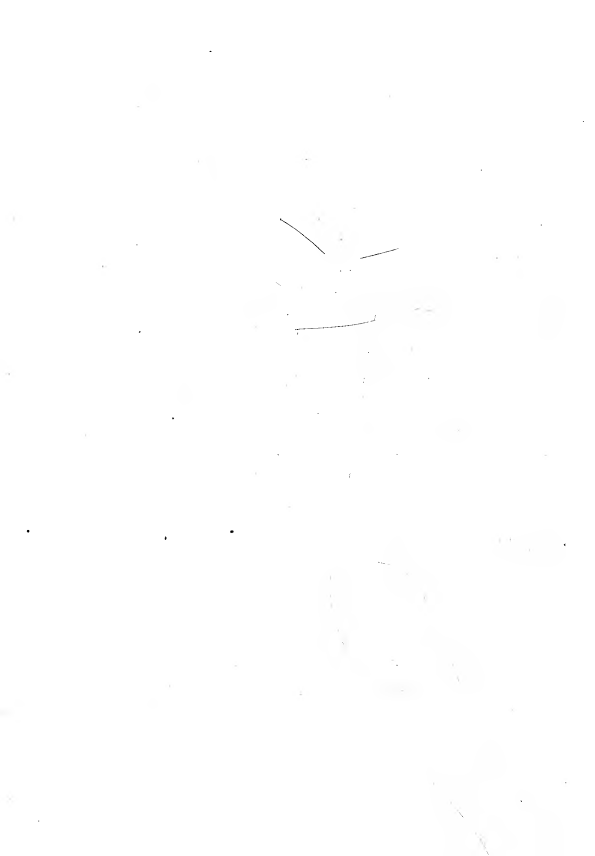
اقترب .

* هذا وقد كان النبى ﷺ بعد نزول هذه السورة عليه يقول فى ركوعه وسجوده « **سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لى** » .

***

﴿ معانى مفردات السورة الكريمة ﴾

الكلمة	معناها
أَفْوَاجًا	جماعات جماعات



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ① مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ② سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ③ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ④ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ⑤ ﴾

* * *

نزلت هذه السورة فى شأن أبى لهب عم رسول الله ﷺ، واسمه عبدالعزى ابن عبدالمطلب، واسم امرأته العوراء بنت جميل، نزلت لما دعا هذا المجرم الأثيم على رسول الله ﷺ وقال له تباً لك يا محمد، ففى الصحيحين من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال: لما نزلت :

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ صعد النبى ﷺ على الصفا فجعل ينادى « يا بنى عدى » لبطون قريش - حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال : « أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادى تريد أن تُغير عليكم أكنتم مصدقى » ؟ قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقا قال : « إنى نذيرٌ لكم بين يدى عذاب شديد » فقال أبو لهب تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا فنزلت: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ، مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾.

* وقوله تعالى: ﴿ تبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ أى هلكت وخسرت يداه: ﴿ وَتَبَّ﴾ أى وهلك هو الآخر. فقوله: ﴿ تبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾

معناه أهلك الله أبا لهب وقد هلك، وخسرت يداه وقد خسر وبطل سعيه وقد هلك هو الآخر: ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ ما أغنى عن هذا الطاغى الظالم ماله وولده، فلن ينفعه مال ولا ينفعه جاه ولن ينفعه أولاده لن ينفعوه فى الآخرة ،ولن ينفعوه في قبره.

وسيقول هذا الكافر يوم القيامة : ﴿ ما أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾ وسيفر من أمه وأبيه وصاحبته وبنيه وأخته وأخيه .

هذا المجرم: ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾

أى سيدخل هذه النار ذات الشرر والتوقد والإحراق الشديد ويصلى بحرِّها

﴿ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ كذلك تلك المرأة الطاغية الكافرة الآثمة الظالمة، تلك المؤذية التى كانت تحمل الشوك وتضعه فى طريق النبى ﷺ تلك المذنبة التى كانت تسعى بين الناس بالنميمة، تلكم المرأة التى كانت تنفق الأموال فى عداوة رسول الله ﷺ حتى ذكر بعض العلماء أنها كانت تملك قلادةً من ذهب فأقسمت بالله لتنفقنها فى عداوة رسول الله ﷺ فتوعدها الله بحبل من نار فى عنقها يوم القيامة بدلاً من هذه القلادة، كما قال تعالى: ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾

فقوله﴿ فِي جِيدِهَا ﴾ أى فى رقبتها وعنقها.

وقوله: ﴿ مِّن مَّسَدٍ ﴾ أى من نار، وقيل من ليف، وقيل من حديد فالحاصل أن هذه المرأة كان فى عنقها شىء تستعمله فى عداوة رسول الله ﷺ فمن العلماء من قال إن هذا الشىء هو قلادة باعتها وأنفقت ثمنها فى عداوة رسول الله ﷺ، ومنهم من قال إنها كانت تحتطب وتجعل حبلاً من ليفٍ فى عنقها تربط به الشوك الذى تلقيه فى طريق رسول الله ﷺ، وهذه المرأة هي الأخرى تبت وهلكت وخسرت، تبت وتبت يداها .

* * *

﴿ معانى مفردات السورة الكريمة ﴾

الكلمة	معناها
تَبَّتْ	هلكت ـ خسرت
جِيدِهَا	عنقها ـ رقبتها
مَسَدٍ	نار ـ ليف ـ حديد

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤ ﴾

* * *

* هذه السورة الكريمة سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن.

ففى صحيح البخارى[١] من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ يرددها فلما أصبح جاء إلى النبى ﷺ فذكر له ذلك فكأن الرجل يتقالها فقال رسول الله ﷺ: « **والذى نفسى بيده إنها لتعدل ثلث القرآن** ».

* وفى صحيح مسلم[٢] من حديث أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « **أيعجز أحدكم أن يقرأ فى ليلة ثلث القرآن، قالوا وكيف يقرأ ثلث القرآن، قال: قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن** ».

وفى رواية لمسلم « **إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل قل هو الله أحد جزءاً من أجزاء القرآن** »

* وفى صحيح مسلم[٣] من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال:

---

(١) البخارى (٧٣٧٥) ومسلم(٨١٣).
(٢) أخرجه مسلم (٨١١).
(٣) أخرجه مسلم(٨١٢).

قال رسول الله ﷺ: « **احشدوا فإنى سأقرأ عليكم ثلث القرآن،فقرأ قل هو الله أحد ثم دخل فقال بعضنا لبعض إنى أرى هذا خبرٌ جآءه من السماء فذاك الذى أدخله ثم خرج نبى الله ﷺ فقال إنى قلت لكم سأقرأ عليكم ثلث القرآن ألا إنها تعدل ثلث القرآن** »(١) .

* وقد ورد فى فضلها ما أخرجه البخارى ومسلم من حديث عائشة(٢) رضى الله عنها أن النبى ﷺ بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه فى صلاته فيختم بقل هو الله أحد،فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبى ﷺ فقال سلوه لأى شىء يصنع ذلك،فسألوه فقال لأنها صفة الرحمن وأنا أُحب أن اقرأ بها،فقال النبى ﷺ أخبروه أن الله يحبه .

* وكان النبى ﷺ يقرأ بهذه السورة فى مواطن شتى فكان يقرأ بها فى ركعة الوتر بعد الفاتحة،وكان يقرأ بها فى الركعة الثانية من كلٍ من نافلة الفجر وسنة المغرب وركعتى الطواف،وكان يقرأها عند النوم وفى أذكار الصباح والمساء ويحث على قراءتها دبر الصلوات .

* يقول الله عز وجل فى هذه السورة ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ قل يا محمد للخلق أجمعين،وقل لهؤلاء المشركين أن الله عز وجل واحد لا

---

(١) ومعنى كونها تعدل ثلث القرآن ذكره النووى فقال: قال القاضى: قال المازرى قيل معناه أن القرآن على ثلاثة أنحاء قصص وأحكام وصفات لله تعالى ،و(قل هو الله أحد) متمحضة للصفات فهى ثلث وجزء من ثلاثة أجزاء.

(٢) أخرجه البخارى (٧٣٧٥) ومسلم (٨١٣).

شريك له ليس فى الكون إله غيره ولا معبود سواه فـ ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾

ولا خالق إلا هو ولارب سواه.

﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ الذى يصمد إليه الخلق ويقصدونه فى حوائجهم ومسائلهم فلا يقدر على قضائها إلا هو، الصمد الذى انتهت إليه السيادة فى كل شيء، والصمد المصمت الذى لاجوف له، والصمد الذى لا يأكل ولا يشرب، وهو الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ ليس له ولد وليس له والد، وقد تضافرت الأدلة على أن الله سبحانه وتعالى ليس له ولد، ومن هذه الأدلة ما يلى.

* قوله : ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ ﴾

* قوله تعالى:

﴿ أَلا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾

* قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾

* قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾

* قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ﴾

* قوله تعالى: ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ ﴾

* قوله تعالى: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ﴾

* قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾

* قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾

* قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ ﴾

* قوله تعالى:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤) مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا ﴾

* وقوله تعالى: ﴿ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لاَّصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾

* وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا ﴾

* وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾

* وقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ

لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ① الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً ﴾

* وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾

* وقوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾

أى لم يكن له قريب ولا نسيب ولا صهر،ولم يكن له شبيه ولا مثيل ولا نظير ولا كفؤ ،فلا يكافئه أحدٌ سبحانه وتعالى .

* * *

﴿ معانى مفردات السورة الكريمة ﴾

معناها	الكلمة
السيد الذى انتهت إليه السيادة ـ الذى يُصمد إليه لقضاء الحوائج ـ الذى لا جوف له .	الصَّمَدُ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ④ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤ ﴾

* * *

ورد فى فضل هذه السورة مع سورة الناس جملة أحاديث وكان النبى ﷺ يقرأ بهما فى مواطن شتى فمن ذلك، ما أخرجه مسلم فى صحيحه من حديث عقبة بن عامر رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: « **ألم تر آيات أُنزلت الليلة لم يُر مثلهن قط قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس** »(١). وفى لفظ آخر عند مسلم: « **أُنزل أو أُنزلت علىَّ آيات لم يُرَ مثلهن قط المعوذَتين** ».

* وعند أبى داود والنسائى من حديث عقبة بن عامر أيضاً قال أمرنى رسول الله ﷺ أن أقرأ المعوذات دبر كل صلاة (٢).

* وأخرج الترمذى وأبو داود والنسائى(٣) من حديث عبدالله بن خبيب قال: «**خرجنا فى ليلة مطر وظلمة نطلب النبى ﷺ ليصلِّى لنا**

---

(١) مسلم مع النووى (٦/ ٩٦)

(٢) أبو داود (٢/ ١٨١) والنسائى (٣/ ٩٦) بإسناد حسن .

(٣) أخرجه الترمذى (٣٥٧٥) وقال هذا حديث حسن صحيح غريب، وأبو داود (٥٠٨٢) والنسائى (٨/ ٢٥٠).

فأدركناه فقال قل فلم أقل شيئاً ثم قال قل فلم أقل شيئاً ثم قال قل،قلت يا رسول الله ما أقول،قال قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسى وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء».

* وفى الصحيحين[1] من حديث عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه نفث فى كفيه بقل هو الله أحد والمعوذتين جميعاً ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يداه من جسده، قالت عائشة فلما اشتكى كان يأمرنى أن أفعل ذلك به .

* وفى صحيح مسلم من حديث عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات فلما مرض مرضه الذى مات فيه جعلت أنفث عليه وأمسحه بيد نفسه لأنها كانت أعظم بركة من يدى[2].

* يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ** ﴾أى ألجأ واستجير وأعتصم وألوذ برب الفلق،وهو الصبح وما يأتى معه من النور والضياء ﴿ **مِن شَرِّ مَا خَلَقَ** ﴾ أى من شر كل شىء خلقه الله،إنسٌ كان أو جان أو سباع كانت أو هوام،أو ريح أو صاعقة أو دابة أو بلاء.

﴿ **وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ** ﴾ أى ومن شر الليل إذا أقبل بظلامه ودخل وذلك لأن الشياطين تنتشر ليلاً كما قال عليه الصلاة والسلام:

---

(١) أخرجه البخارى (مع الفتح١٠/٢٠٩) ومسلم فى الطب(٥: ٣) .
(٢) مسلم (حديث ٢١٩٢).

« إذا كان جنح الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم واذكروا اسم الله ‎٠٠٠٠‏ الحديث وفيه فإن الشياطين تنتشر حينئذ ‎٠٠٠٠‏ »[١].

وكذلك الهوام والسباع تخرج من أماكنها وأهل الشر والفساد ينبعثون وعلى قول من قال إن الغاسق إذا وقب هو الثريا فقالوا إن الثريا إذا سقطت كثرت الأسقام والطواعين، والله أعلم. وكما أن الغاسق إذا وقب يطلق على الليل إذا دخل، فكذلك يُطلق على القمر أيضاً، وذلك لما أخرجه الترمذى[٢] بإسناد حسن من حديث أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت: **« أخذ النبى ﷺ بيدى فنظر إلى القمر فقال: يا عائشة استعيذى بالله من شر هذا فإن هذا هو الغاسق إذا وقب»**. فالقولان متلازمان فإذا جاء القمر فقد أقبل الليل.

أما قوله : ﴿ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾

ففيه استعاذة من السواحر اللواتى ينفثن (أى يتفلن) عند سحرهن فى عقد الخيط التى يعقدونها ويسحرون بها.

أما قوله: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ فالحسد هو تمنى زوال النعمة عن الآخرين، والحسد بهذا الوصف الذى وصفناه مذموم كله، لكن هناك من الحسد ما هو مباح ، وهو الذى يسميه العلماء الغبطة وهو أن تتمنى لنفسك مثل النعمة التى أنعم الله بها على غيرك

---

(١) أخرجه البخارى (مع الفتح ‎١٠/ ٨٨‏) ومسلم(‎١٣/ ١٨٣‏) من حديث جابر رضى الله عنه مرفوعاً .

(٢) الترمذى(‎٩/ ٣٠٢‏).

من غير زوالها عن صاحبها ،فإذ كانت فى أمور الدنيا كانت مباحة وإن كانت فى أمور الطاعات فهى مستحبة،ومن ذلك ما أخرجه البخارى[١] من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **لا حَسَدَ إلا فى اثنتين:رجلٍ علَّمه الله القرآن فهوَ يتْلوهُ آناءَ الليلِ وآناءَ النّهار فسمعه جارٌ له فقال:ليتنى أُوتيت مثل ما أُوتىَ فلانٌ فَعَمِلْتُ مِثْلَ ما يعملِ ،ورجلٍ آتاه الله مالاً فهو يُهلكه فى الحق ،فقال رجلٌ ليتنى أُوتيت مثلِ ما أوتى فلانٌ،فعملْتُ مثل ما يَعْمل** ».

وما أخرجه البخارى ومسلم[٢] من حديث عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **لا حَسَد إلا على اثْنَتين:رجلٌ آتاه الله الكتابَ وقامَ به آناءَ الليل ، ورجلٌ أَعْطَاه الله مالاً فهو يَتَصَدَّقُ به آناء الليلِ وآناءَ النهار** ».

وما أخرجه البخارى ومسلم[٣] من حديث عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال:قال النبى ﷺ: « **لاحسد[٤] إلا فى اثنتين:رجل آتاه الله مالاً فسُلِّط[٥] على هلكته فى الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو**

---

(١) أخرجه البخارى (حديث ٥٠٢٦).

(٢) البخارى حديث (٥٠٢٥) ،ومسلم (حديث ٨١٥).

(٣) أخرجه البخارى (حديث ٧٣)، ومسلم (حديث ٨١٦).

(٤) قوله (لا حسد) أى لاحسد محمود إلا فى خصلتين ،قاله الحافظ ابن حجر رحمه الله،وقال النووى رحمه الله (٢/ ٤٦٤): والمراد بالحديث لا غبطة محبوبة إلا فى هاتين الخصلتين وما فى معناهما.

(٥) الحافظ ابن حجر رحمة الله (فتح البارى ١/ ١٦٧): وعبَّر بالتسليط .

يقضى بها ويُعلِّمها » .

هذا وهناك بعض الوسائل التى يندفع بها شر الحاسد عن المحسود.

ومن هذه الوسائل مايلى:

أولا: التوكل على الله:وقوله حسبنا الله ونعم الوكيل،فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿ **وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** ﴾

ففى صحيح البخارى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال: ﴿**حسبنا الله ونعم الوكيل**﴾ قالها ابراهيم عليه السلام حين أُلقى فى النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿ **إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** ﴾

قال ابن القيم رحمه الله:

والتوكل من أقوى الأسباب التى يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم، وهو من أقوى الأسباب فى ذلك فإن الله حسبه أى كافيه، ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه ولا يضره إلا أذى لابد منه كالحر والبرد والجوع والعطش، وأما أن يضره بما يبلغ منه مراده فلا يكون أبداً .

ثانيا: تقوى الله سبحانه وتعالى :فإن الله قال: ﴿ **وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ** ﴾

فالصبر وتقوى الله سبحانه وتعالى يدفعان كيد الكائدين ومكر الماكرين، وقد قال رسول الله ﷺ لعبد الله بن عباس رضى الله عنهما

« احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك »[١].

ثالثاً : التعوذ بالله من شر هذا الحاسد وكل حاسد:وذلك بقراءة المعوذات .ففى سنن الترمذى وسنن النسائى من حديث معاذ بن عبدالله بن خبيب عن أبيه قال خرجنا فى ليلة مطيرة وظلمة شديدة نطلب رسول الله ﷺ يُصلى لنا قال فأدركته فقال « قل » فلم أقل شيئاً ثم قال « قل » فلم أقل شيئاً قال « قل» فقلت ما أقول قال « قل هو الله أحد والمعوذتين حين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شىء»[٢].

رابعاً: عدم إخبار الحاسد بنعمة الله على العبد:

كما قال يعقوب ليوسف: ﴿ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ﴾

ومن هذا الباب ما أخرجه البخارى ومسلم[٣] من حديث أبى قتادة رضى الله عنه قال سمعت النبى ﷺ يقول: « الرؤيا الحسنة من الله فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يُحب »

خامساً: الصبر على الحاسد والإحسان إليه :

كما قال تعالى: ﴿ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ

(١) صحيح وقد تقدم.
(٢) صحيح وقد تقدم .
(٣) أخرجه البخارى (مع الفتح ١٢/ ٤٣٠) ومسلم ص١٧٧٢)

الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾

سادساً: الاستغفار من الذنوب التى كانت سبباً فى تسلط هذا الحاسد عليك سابعاً: ومن أسباب دفع الحسد والعين عن المحسود اغتسال الحاسد (أعنى غسل بعض أعضائه) وصب ماءه على المحسود. ففى صحيح مسلم[1] من حديث ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال: « العين حق ولو كان شىء سابق القدر سبقته العين وإذا استغسلتم فاغتسلوا»

* وفى سنن أبى داود بإسناد صحيح عن عائشة قالت: كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين.

* وأيضاً قد تقدمت قصة عامر بن ربيعة من سهل بن حنيف وفيها أن عامراً غسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة[2] إزاره فى قدح ثم صُبَّ عليه. فراح سهل مع الناس ليس به بأس.

قال النووى فى شرح مسلم: وصفة وضوء العائن عند العلماء أن يؤتى بقدح ماء ولا يوضع القدح فى الأرض، فيأخذ منه غرفة فيتمضمض بها ثم يمجها فى القدح ثم يأخذ منه ما يغسل وجهه ثم يأخذ بشماله ماءاً يغسل به كفه اليمنى ثم بيمينه ماء يغسل به مرفقه

---

(١) مسلم حديث (١٧١٩).

(٢) قال عياض: المراد بداخله الإزار ما يلى الجسد من الإزار، وقيل: أراد موضع الإزار من الجسد، وقيل: أراد وركه لأنه معقد الإزار، وقال المازرى: المراد بداخله الإزار الطرف المتدلى الذى يلى حقوه الأيمن. نقله الحافظ فى الفتح.

الأيسر، ولا يغسل ما بين المرفقين والكعبين ثم يغسل قدمه اليمنى ثم اليسرى على الصفة المتقدمة وكل ذلك فى القدح ثم داخلة إزاره وهو الطرف المتدلى الذى يلى حقوه الأيمن، وقد ظن بعضهم أن داخلة الإزار كناية عن الفرج، وجمهور العلماء على ما قدمناه، فإذا استكمل هذا صبه من خلفه على رأسه، وهذا المعنى لا يمكن تعليله ومعرفة وجهه وليس فى قوة العقل الاطلاع على أسرار جميع المعلومات فلا يدفع هذا بألا يعقل معناه .

ثامناً: الرقية، فهى من أسباب دفع الحسد .

* ففى صحيح مسلم[١] من حديث أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه أن جبريل أتى النبى ﷺ فقال: يا محمد اشتكيت؟ فقال: «نعم» قال: « **باسم الله أرقيك من كل شىء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد[٢] الله يشفيك باسم الله أرقيك** » .

* وفيه من[٣] حديث عائشة رضى الله عنها أنها قالت كان إذا اشتكى رسول الله ﷺ رقاه جبريل قال: « **باسم الله يبريك ومن كل داء يشفيك ومن شر حاسد إذا حسد وشر كل ذى عين** » .

---

(١) مسلم (١٤/ ١٧٠) .

(٢) فى رواية للترمذى: « **وعين حاسدة بسم الله أرقيك والله يشفيك** » قال النووى فى شرح مسلم: وقوله « **من شر كل نفس** » قيل يحتمل أن المراد بالنفس الآدمى، وقيل يحتمل أن المراد بها العين فإن النفس تطلق على العين، وقال: رجل نفوس إذا كان يصيب الناس بعينه كما قال فى الرواية الأخرى « **من شر كل ذى عين** » ويكون قوله: « **أو عين حاسد** » من باب التوكيد بلفظ مختلف أو شكاً من الراوى فى لفظه، والله أعلم.

(٣) مسلم (١٤/١٦٨) .

* وتقدم حديث عائشة رضى الله عنها وفيه أن رسول الله ﷺ كان يأمرها أن تسترقى من العين[١] .

* وفى صحيح البخارى[٢] من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان النبى ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين ويقول: «**إن أباكما كان يُعوِّذ بها إسماعيل وإسحاق أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة[٣] ومن كل عين لامة**»[٤]

تاسعاً : تجريد التوحيد:

ومن أسباب دفع الحسد تجريد التوحيد.

وقد ختم به ابن القيم رحمه الله بحثه فى أسباب دفع الحسد عن المحسود وقال: وهو الجامع لذلك كله وعليه مدار هذه الأسباب وهو تجريد التوحيد والترحل بالفكر فى الأسباب إلى المسبب العزيز الحكيم والعلم بأن هذه الآلات بمنزلة حركات الرياح وهى بيد محركها وفاطرها وبارئها ولا تضر ولا تنفع إلا بإذنه فهو الذى يمسن عبده بها وهو الذى يصرفها عنه وحده لا أحد سواه، قال تعالى: ﴿ **وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ** ﴾

---

(١) أخرجه البخارى (مع الفتح ١٠/ ١٩٩) ومسلم (١٤/ ١٨٣).

(٢) البخارى (مع الفتح ١٠/ ٨٨)

(٣) الهامة: واحدة الهوام من ذوات السموم، وقيل: كل ما له سم يقتل، فأما ما لا يقتل سمه فيقال له السوام، وقيل: المراد كل نسمة تهم بسوء. قاله الحافظ.

(٤) نقل الحافظ عن الخطابى قوله: المراد به كل داء وآفة تلم بالإنسان من جنون وخبل .

وقال النبى ﷺ لعبدالله بن عباس رضى الله عنهما :

« واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قدكتبه الله عليك »[1]

فإذا جرد العبد التوحيد فقد خرج من قلبه خوف ما سواه، وكان عدوه أهون عليه من أن يخافه مع الله بل يفرد الله بالمخافة وقد أمنه منه وخرج من قلبه اهتمامه به واشتغاله به وفكره فيه وتجرد لله محبة وخشية وإنابة وتوكلاً واشتغالاً به عن غيره فيرى أن إعماله فكره فى أمر عدوه وخوفه منه واشتغاله به من نقص توحيده وإلا فلو جرَّد توحيده لكان له فيه شغل شاغل والله يتولى حفظه والدفع عنه فإن الله يدافع عن الذين آمنوا فإن كان مؤمناً بالله فالله يدافع عنه ولابد، وبحسب إيمانه يكون دفاع الله عنه فإن كمل إيمانه كان دفع الله عنه أتم دفع، وإن مزج مزج له وإن كان مرة ومرة فالله له مرة ومرة

كما قال بعض السلف:

من أقبل على الله بكليته أقبل الله عليه جملة، ومن أعرض عن الله بكليته أعرض الله عنه جملة[2]، ومن كان مرة ومرة فالله له مرة ومرة فالتوحيد حصن الله الأعظم الذى من دخله كان من الآمنين، قال

---

(١) تقدم.

(٢) هذا الأخير يحتاج إلى دليل، وإن كان فى حديث الثلاثة الذين دخلوا المسجد ..» وفيه قول رسول الله ﷺ « **أما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه** » ما يشهد لهذا المعنى .

بعض السلف: من خاف الله خافه كل شىء، ومن لم يخف الله أخافه من كل شىء.

* هذه أسباب يندفع بها شر الحاسد والعائن والساحر وليس له أنفع من التوجه إلى الله وإقباله عليه وتوكله عليه وثقته به، وأن لا يخاف معه غيره بل يكون خوفه منه وحده ولا يرجو سواه بل يرجوه وحده فلا يعلق قلبه بغيره ولا يستغيث بسواه ولا يرجو إلا إياه، ومتى علق قلبه بغيره ورجاه وخافه وُكل إليه وخُذِلَ من جهته فمن خاف شيئاً غير الله سلط عليه ومن رجا شيئاً سوى الله خذل من جهته وحُرِم خيره، هذه سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً . وهو العاشر.



﴿ معانى مفردات السورة الكريمة ﴾

الكلمة	معناها
أَعُوذُ	ألجا ـ أستجير ـ أعتصم
الْفَلَقِ	الصبح
غَاسِقٍ	مظلم ـ الليل ـ القمر
وَقَبَ	دخل وأقبل بظلامه
النَّفَّاثَاتِ	السواحر اللواتى ينفثن
الْعُقَدِ	عقد الخيط

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦) ﴾

* * *

قوله تعالى ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ ﴾ معناه ألجأ وأعتصم وأستجير وألوذ برب الناس وملكهم وإلههم الذى هو معبودهم الحق الذى له العبادة الحقة دون من سواه، استعيذ به:

﴿ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾

وهو الشيطان، ذلكم الشيطان الذى هو الخناس الذى يخنس ويختفى عند ذكر الله عز وجل، ذلكم الوسواس الذى يحدث فى النفس، فالوسوسة هى الحديث سراً وهى الحديث الخفى، والوسواس كثير الوسوسة، أستعيذ بالله من شر شيطان الإنس وشيطان الجن فكلاها يوسوس وكلاهما شيطان، قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾

وها هى جملة من الحروز التى يحترز بها العبد من الشيطان:

الحرز الأول: ذكر الله عز وجل:

فقد أخرج الإمام أحمد(١) رحمه الله بسند صحيح من حديث الحارث الأشعرى رضى الله عنه أن نبى الله ﷺ قال: « **إن الله عز وجل أمر يحيى بن زكريا عليهما السلام بخمس كلمات أن تعمل بهن وتأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بهن** » فذكر الحديث وفيه: « **وآمر كم بذكر الله عز وجل كثيراً، وإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعاً فى أثره فأتى حصناً حصيناً فتحصَّن فيه وإن العبد احصن ما يكون من الشيطان إذا كان فى ذكر الله عز وجل** ».

وأخرج البخارى ومسلم(٢) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: « **يَعقدُ الشيطانُ على قافيةِ رأسِ أحَدِكُم - إذا هو نام - ثلاثَ عُقَدٍ يَضرب على كلِّ عُقدة مكانها: عليك ليلٌ طويلٌ، فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عُقدة، فإن صلى انحلتْ عُقَدُهُ كلها فأصبح نشيطاً طيِّبَ النَفْسِ، وإلا أصْبَحَ خبيثَ النَّفْسِ كسلانَ** »

الحرز الثانى : الإيمان بالله والتوكل عليه

قال الله سبحانه: ﴿ **إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ** ﴾(٣)

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٣٠).

(٢) أخرجه البخارى (مع الفتح ٣/ ٢٤) ومسلم (مع النووي ٦/ ٦٥).

(٣) قال بعض العلماء معناه ليس له عليهم سلطان أن يوقعهم فى ذنب لا يتوبون منه بل كلما أذنبوا تابوا ، وقيل المعنى لا حجة له عليهم .

وقال عز وجل : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾

فمن توكل على الله كفاه الله شر كل شيء وإن كادته السموات والأرض، وجعل له ربه من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هم فرجاً.

* ومن هذا الباب ما ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال: « **يا غلام إنى أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، اعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف** »[١].

الحرز الثالث : قل هو الله أحد والمعوذات صباحاً ومساءً .

أخرج أبو داود والترمذى والنسائى[٢] من حديث عبدالله بن خبيب رضى الله عنه قال: خرجنا فى ليلة مطيرة وظلمة شديدة نطلب رسول الله ﷺ يصلى لنا فأدركته فقال: «**قل**»: فلم أقل شيئاً، ثم قال: «**قل**»: فلم أقل شيئاً ثم قال: «**قل**» فلم أقل شيئاً، قال: «**قل**» فقلت: ما أقول ؟ قال: «**قل هو الله أحد والمعوذتين حين تُمسي وتصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء**».

---

(١) تقدم .

(٢) النسائى (٨/٢١٩) والترمذى (مع التحفة ١٠/٢٨) وإسناده حسن .

الحـــرز الرابع : قـــراءة قل هو الله أحـــد والمعـــوذات دوماً وعند الاحتياج.

* وعن عقبة بن عامـر رضى الله عنه قال: بينا أنا أقود برسول الله ﷺ راحلته فى غـزوة إذ قال: « ياعقبة قل ». فاستمعت، ثم قال: « يا عقبة قل » فاستمعت، فقالها الثالثة، فقلت: ما أقول؟ قال: « قل هو الله أحد » فقرأ السورة حتى ختـمها ،ثم قرأ: قل أعوذُ بربِّ الفلق وقرأت معه حتى ختمها ،ثم قرأ: قل أعوذ برب الناس فقرأت معه حتى ختمها ثم قال: « ما تعوذ بمثلهن أحدٌ »[1].

وفى رواية « ما سأل سائل بمثلهما ولا استعاذ مستعيذ بمثلهما ».

الحرز الخامس: الاستعاذة من همزات الشياطين وأن يحضرون.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾

عن الوليد بن الوليد رضى الله عنه أنه قـال: يا رسول الله إنى أجد وحشة، قال: « فإذا أخذت مضجعك فـقل: أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون ،فإنه لا يضرك وبالحرى أن لا يقربك»[2]

(١) أخرجه النسائى (٨/ ٢٥١).

(٢) أخرجه أحـمد بإسناد مرسل لكن له شاهـد من حديث عمرو بن شعـيب عن أبيه عن جده قـال: كان رسول الله ﷺ يعلـمنا كلمات نقولهن عنـد النوم من الفزع: « بسم الله أعوذ بكلمات الله التـامة من غـضبـه وعقـابه وشر عـباده ومن همـزات الشيـاطين وأن يحضرون»، وأخرجه أحمد أيضاً وكذلك الترمذى وقال حسن غريب .

الحرز السادس:صلاة أربع ركعات أول النهار .

* أخرج أحمد بإسناد[١] حسن من حديث نعيم بن همار الغطفانى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **قال ربكم تبارك وتعالى:ابن آدم صل لى أربع ركعات أول النهار أكفك آخره** ».

الحرز السابع :تعويذ الصبيان.

قالت امرأة عمران لما وضعت مريم : ﴿ **وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴾

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان النبى ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين ويقول: « **إن أباكما كان يعوِّذ بها إسماعيل وإسحاق:أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة** [٢] **ومن كل عين لامه** »[٣] أخرجه البخارى[٤] .

ومن ذلك أيضاً ما أخرجه البخارى ومسلم[٥] من حديث جابر بن عبدالله رضى الله قال :

قال رسول الله ﷺ: « **إذا كان جُنْحُ**[٦] **الليل ـ أو أمسيتم ـ فكفُّوا**

---

(١) انظر المسند (٥/ ٢٨٦) وأبو داود (٢/ ٦٣).

(٢) الهامة: واحدة الهوام ذوات السموم ،وقيل:كل ما له سم يقتل فأما ما لا يقتل سمه فيقال له السوام،وقيل:المراد كل نسمة تهم بسوء قاله الحافظ .

(٣) قال الخطابى: المراد به كل داء وآفة تلم بالإنسان من جنون وخبل .

(٤) البخارى (٦/ ٤٠٨).

(٥) صحيح،وقد تقدم تخريجه.

(٦) أجنح الليل إذا أقبل بظلامه .

صبيـانكم فإن الشيطان[١] ينتشرُ حينئذ،فإذا ذَهَبَ ساعةٌ من الليل فَخلُّوهم[٢] وأَغْلِقُوا الأبوابَ واذكروا اسْمَ الله،وخمّروا[٣] آنيتكم واذكروا اسم الله ولو أن تعرضوا عليها شيئاً،وأطفِئوا مصابيحكم»[٤].

وفى بعض روايات مسلم: « فإن الشيطان لا يحل سقاءً ولا يفتح باباً ولا يكشف إناءً ».

الحرز الثامن : حرز عند الصباح وفى المساء،

---

(١) فى رواية « الشياطين » .

(٢) فى رواية فحلوهم،وفى رواية فخلوهم بالخاء المعجمة .

(٣) خمروا: أى غطوا .

(٤) هذا الحديث من الأحاديث التى غفل عنها وعن العمل بها كثير من صالحى المسلمين فضلاً عن عوامهم،ولو أمعنوا النظر فيه وأقبلوا على العمل به لنجوا من أخطار كثيرة هم وذرياتهم وأموالهم،ولعافاهم الله فى أبدانهم وأسماعهم وأبصارهم فلا يجعلوا للشيطان عليهم سبيلاً ولا على أولادهم ... » وفى بعض طرق الحديث: «لا ترسلوا مواشيكم وصبيانكم إذا غابت الشمس ».

قال النووى رحمه الله: هذا الحديث فيه جمل من آداب الخير والآداب الجامعة لمصالح الآخرة والدنيا فأمر ﷺ بهذه الآداب التى هى سبب للسلامة من إيذاء الشيطان،وجعل الله عز وجل هذه الأسباب أسباباً للسلامة من إيذائه فلا يقدر على كشف إناء ولا حل سقاء ولا فتح باب ولا إيذاء صبى وغيره إذا وجدت هذه الأسباب .

وقال ابن الجوزى: إنما خيف على الصبيان فى تلك الساعة لأن النجاسة التى تلوذ بها الشياطين موجودة معهم غالباً .

والذكر الذى يحرز منهم مفقود من الصبيان غالباً والشياطين عند انتشارهم يتعلقون بما يمكنهم التعلق به فلذلك خيف على الصبيان فى ذلك الوقت،والحكمة فى انتشارهم حينئذ أن حركتهم فى الليل أمكن منها لهم فى النهار،لأن الظلام أجمع للقوى الشيطانية من غيره،وكذلك كل سواد،ولهذا قال فى حديث أبى ذر فما يقطع الصلاة؟=

فقد صح عن عثمان بن عفان[١] رضى الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: « **من قال بسم الله الذى لا يَضُرُّ مع اسمه شىءٌ فى الأرض ولا فى السماء وهو السميعُ العليم ثلاثَ مرات لم تصبه فجأة بلاءٍ حتى يُصبح،ومن قالها حين يُصبح لم تُصبْهُ فجْأةُ بلاءٍ حتى يُمسى** » .

* ومن ذلك أيضاً ما روى فى الصحيحين[٢].

* عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له لهُ الملكُ وله الحمد وهو على كل شىءٍ قديرٌ فى يومٍ مائةَ مرة كانت له عدل عَشْر رقاب،وكُتبَتْ له مائةُ حسنةٍ ومُحيت عنه مائةُ سيئة،وكانت له حرزاً من الشيطان يَومَهُ ذلك حتى يُمسى،ولم يأتِ أحدٌ بأفضلَ مما جاءَ به إلا أحدٌ عمِلَ أكثرَ من ذلك** »

* ومن ذلك أيضاً ما أخرجه مسلم[٣] من حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمسى قال :

« **أمسينا وأمسى الملك لله،والحمد لله،لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير،اللهم أسألك خير هذه**

= قال: « **الكلب الأسود شيطان** » أخرجه مسلم .

(١) أخرجه الترمذى(مع التحفة٩/ ٢١٧)وأحمد (٤/ ١٢٢و١٢٥) والنسائى (الاستعاذة٥٧).

(٢) أخرجه البخارى (٦/ ٢٣٨) ومسلم (١٧/ ١٧) .

(٣) مسلم (١٧/ ٤١).

الليلة[١] وأعوذ بك من شر هذه الليلة وشر ما بعدها،اللهم إنى أعوذ بك من الكسل وسوء الكِبَرِ،اللهم إنى أعوذ بك من عذابٍ فى النار وعذابٍ فى القبر ».

ومن ذلك أيضاً ما أخرجه أبو داود والترمذى[٢] من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال أبو بكر: يا رسول الله مُرْنى بشىءٍ أقوله إذا أصبحتُ وإذا أمسيتُ ؟ قال: « قل:اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شىء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذُ بك من شر نفسى وشرِّ الشيطان وشِرْكه[٣] قال: قُلها إذا أصبحتَ وإذا أمسيتَ وإذا أخذت مضجعك »

الحرز التاسع:الاستعاذة بالله عند قراءة القرآن

* قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾

قال ابن كثير رحمه الله :

والمعنى فى الاستعاذة عند ابتداء القراءة لئلا يلبس على القارىء قراءته ويخلط عليه ويمنعه من التدبر والتفكر.

---

(١) فى رواية: « رب أسألك خير ما فى هذه الليلة وخير ما بعدها،وأعوذ بك من شر ما فى هذه الليلة وشر ما بعدها » وفى نفس الرواية ... وإذا أصبح قال ذلك أيضاً: « أصبحنا وأصبح الملك لله ».

(٢) أخرجه الترمذى (٩/ ٣٣٥) وأبو داود (٥٠٦٧) بإسناد صحيح .

(٣) قال المباركفورى: الشرك: بكسر الشين وسكون الراء أى ما يدعو إليه من الإشراك بالله، ويروى بفتحتين أى مصائده وحبائله التى يفتتن بها الناس .

الحرز العاشر: التفل عن اليسار لدفع شيطان الصلاة

فقد أخرج مسلم من طريق أبى العلاء[1] أن عثمان بن أبى العاص أتى النبى ﷺ فقال يا رسول الله إن الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى وقراءتى يلبسها علىَّ [2] فقال رسول الله ﷺ:

« ذاك شيطان يُقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوَّذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثاً » قال ففعلت ذلك فأذهبه الله عنى .

الحرز الحادى عشر: التعوّذ بالله عند وسوسة الشياطين والملحدين .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: **« يأتى الشيطانُ أحدكُم فيقول:من خلق كذا؟من خلق كذا ؟حتى يقول:من خلق ربك؟فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينْتَه »**[3].

---

(١) ظاهر الحديث هنا الإرسال إلا أن مسلماً عقبه بالرواية الموصولة والحديث أخرجه مسلم (١٨٩/١٤).

(٢) قال النووى رحمه الله: ومعنى « حال بينى وبينها » أى نكدنى فيها ومنعنى لذتها والفراغ للخشوع فيها.

وقال رحمه الله أيضاً: وفى هذا الحديث استحباب التعوذ من الشيطان عند وسوسته مع التفل عن اليسار ثلاثاً.

(٣) هذا هو الواجب على المسلم، واجب عليه الايتمادى فى التفكير فى ذلك ولا يدع للشيطان على نفسه سبيلا، وعليه أيضاً أن يتفكر في مخلوقات الله تعالى فقد وصف الله سبحانه أولى الألباب بأنهم ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

قال الحافظ قوله:(ولينته) أى عن الاسترسال فى ذلك بل يلجأ إلى الله فى دفعه، ويعلم أنه يريد إفساد دينه وعقله بهذه الوسوسة فينبغى أن يجتهد فى دفعها بالاشتغال بغيرها. =

وفى بعض طرقه: « فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل آمنت بالله»، وفى بعضها: « فليقل آمنت بالله ورسله ».

الحرز الثانى عشر : قراءة سورة البقرة .

ففى صحيح مسلم(١) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة ».

الحرز الثالث عشر: وهو حرز يُحفظ به البيت ويُحفظ به الطعام من الشيطان ألا وهو ذكر الله عند دخول البيت وعند الطعام .

ففى صحيح مسلم(٢) من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أنه سمع النبى ﷺ يقول: « إذا دخل الرجلُ بيتَه فذكر الله عند دخُوله وعند طعَامه قال الشيطانُ:لا مبيت لكم ولا عَشَاء،وإذا دخل فلم يذكُر الله عند دخُوله قال الشيطان:أدركْتُم المبيت وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال: أدركْتُم المبيت والعَشَاء ».

= قال الخطابى: وجه هذا الحديث أن الشيطان إذا وسوس بذلك فاستعاذ الشخص بالله منه وكف عن مطاولته فى ذلك اندفع، قال: وهذا بخلاف ما لو تعرض أحد من البشر بذلك فإنه يمكن قطعه بالحجة والبرهان، قال: والفرق بينهما أن الآدمى يقع منه الكلام بالسؤال والجواب والحال معه محصور، فإذا راعى الطريق وأصاب الحجة انقطع، وأما الشيطان فليس لوسوسته انتهاء، بل كلما ألزم حجة زاغ إلى غيرها إلى أن يفضى بالمرء إلى الحيرة نعوذ بالله من ذلك .

* والحديث أخرجه البخارى (٦/ ٣٣٦) ومسلم(٢/ ١٥٤) .

(١) مسلم (مع النووى ٦/ ٦٨).

(٢) مسلم (١٣/ ١٩٠ مع النووى).

وعن حذيفة رضى الله عنه قال: كنا إذا حضرنا مع النبى ﷺ طعاما لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسولُ الله ﷺ فيضع يدَهُ، وإنا حضرنا معه مرة طعاماً فجاءت جارية كأنها تُدفع[١] فذهبت لتضع يدها فى الطعام فأخذ رسول الله ﷺ بيدها ثم جاء أعرابىٌ كأنما يُدفَعُ فأخذ بيده فقال رسول الله ﷺ: « **إن الشيطان يستحلُّ الطعام أن لا يُذْكر اسم الله عليه، وإنه جاء بهذه الجارية ليستحلَّ بها فأخذت بيدها فجاء بهذا الأعرابى ليستحلَّ به فأخذتُ بيده، والذى نفسى بيده إن يده فى يدى مع يدها** »[٢]

الحرز الرابع عشر: وهو حرز يقوله من نزل منزلاً، إلا وهو قول (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق)

فأخرج مسلم[٣] فى صحيحه من حديث خولة بنت حكيم السلمية رضى الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إذا نزل أحدُكُم منزلاً فليقل: أعُوذُ بكلمات الله التامات من شرِّ ما خلق فإنه لا**

---

(١) مسلم (مع النووي ١٣/ ١٨٧).

(٢) فى رواية: كـأنها « **تطرد** » يعنى لشدة سرعتها قاله النووى، وعند مسلم رواية من حديث جابر مرفوعاً: « **إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه حتى يحضره عند طعامه فإذا سقطت من أحدكم اللقمة فليمط ما كان بها من أذى ثم ليأكلها ولا يدعها للشيطان فإذا فرغ فليلعق أصابعه فإنه لا يدرى فى أى طعامه تكون البركة** ».
قال النووى رحمه الله: فيه التحذير من الشيطان والتنبيه على ملازمته للإنسان فى تصرفاته فينبغى أن يتأهب له ويحترز منه ولا يغتر بما يزينه له .

(٣) مسلم (مع النووى ١٧/ ٣١) .

يضرهُ شيءٌ حتى يرتحل منه »

الحرز الخامس عشر: (حرز يُقال عند الجماع)

أخرج البخارى ومسلم من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « **لو أن أحَدَهم إذا أراد أن يأتى[1] أهلَه قال: بسم الله اللهم جنبنا[2] الشيطان وجنِّب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يقدر بينهما ولد فى ذلك لم يضره[3] شيطان أبداً** » .

الحرز السادس عشر: قراءة الآيتين الآخيرتين من سورة البقرة.

أخرج البخارى ومسلم من حديث أبى مسعود الأنصارى رضى الله عنه قال قال النبى ﷺ: « **من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاة** »[4]

وأخرج الحاكم[5] بإسنادٍ صحيح من حديث النعمان بن بشير رضى

---

(١) أى يجامع أهله.

(٢) فى رواية: « جنبنى ».

(٣) قيل: المعنى لم يفتنه عن دينه ويرده إلي الكفر وليس المراد عصمته من المعصية فإن كل بنى آدم خطاء، وقيل: لم يضره بمشاركة أبيه فى جماع أمه وقيل: المراد لم يطعن فى خاصرته عند ولادته، قلت: ويرد الأخير قول رسول الله ﷺ: « **ما من مولود يولد إلا ويطعن الشيطان ... إلا ما كان من مريم وابنها** »

* وفى الحديث الإشارة إلى ذكر الله ودعائه من الشيطان والتبرك باسم الله والاستعاذة به من جميع الأدواء وفيه الاستشعار بأنه الميسر لذلك العمل والمعين عليه، وفيه إشارة إلى أن الشيطان ملازم لابن آدم لا ينطرد عنه إلا إذا ذكر الله .

والحديث عند البخارى (مع الفتح ٩/ ٢٢٨) ومسلم (١٠/ ٥ مع النووى)

(٤) قيل فى معنى الحديث جملة أقوال، منها أنهما كفتاه شر الشيطان والحديث أخرجه البخارى (٩/ ٥٥) ومسلم (٦/ ٩١).

(٥) الحاكم فى المستدرك (١/ ٥٦٢) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبى صحيح .

الله عنه قال: عن النبى ﷺ أنه قال: « **إن الله تبارك وتعالى كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض بألفى عام وأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة ولا تُقْرآن فى دار فيقربها شيطان ثلاث ليال** ».

الحرز السابع عشر: (حروز عند النوم)

عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه نفث فى يديه وقرأ بالمعوذات[1] ومسح بهما جسده .

وفى بعض روايات البخارى[2] ومسلم: كان إذا اشتكى نفث فى يديه بالمعوذات ومسح بهما جسده .

حرز آخر عند النوم : آية الكرسى .

عن أبى هريرة[3] رضى الله عنه قال: وكلنى رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فـأتانى آت فجعل يحثو من الطعـام فأخَذْتُه وقلت: والله لأرْفـعنَّك إلى رسول الله ﷺ، قـال: إنى مـحتـاج وعلىَّ عيـالٌ ولى حاجَـةٌ شديدةٌ قال: فـخليتُ عنه فأصـبحتُ فـقال النبى ﷺ: « **يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة ؟** » قال قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمْتُه فخليتُ سبيلَه قال: « **أما إنه قد كذبك وسيعود** »

---

(١) المراد بالمعوذات قل هو الله أحـد والمعوذتان والحديث عند البخـارى (مع الفتح / ١٢٥ / ١١)

(٢) انظر البخارى (مع الفتح ٨/ ١٣١) ومسلم (مع النووى ١٤/ ١٨٣) .

(٣) أخرجه البخارى معلقا (مع الفتح ٤/ ٤٨٧)

فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ إنه سيعود فرصَدتُه فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنَّك إلى رسول الله ﷺ قال: دعنى فإنى محتاج وعلىَّ عيال لا أعود فرحمته فخليت سبيله فأصبحتُ فقال لى رسولُ الله ﷺ: « **يا أبا هريرة ما فعل أسيرُك ؟** »

قلتُ: يا رسول الله شكا حاجةً شديدةً وعيالاً فرحمتُه فخليتُ سبيله. قال: «**أما إنه قد كذبك وسيعود**» فرصدته الثالثة فجعل يحثو من الطعام فأخذتُه فقلت: لأرْفعنك إلى رسول الله ﷺ وهذا آخر ثلاث مراتٍ تزعُمْ أنك لا تعود ثم تعود قال: دعنى أعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت: ما هن؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى: ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ حتى تختم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تُصبح، فخليتُ سبيله فأصبحت فقال لى رسول الله ﷺ: « **ما فعل أسيرك البارحة؟** »

قلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمنى كلماتٍ ينفعنى الله بها فخليت سبيله قال: «ماهى ؟» قلت قال لى: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى من أولها حتى تختم الآية ﴿ **اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ وقال لى: لن يزَالَ عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تُصبح. وكانوا أحرص شىءٍ على الخير، فقال النبىُّ ﷺ: « **أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب مذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟** » قال: لا قال: « **ذاك شيطان** » .

الحرز الثامن عشر: حرز عند دخول الخلاء

وأخرج البخارى ومسلم[١] من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال كان النبى ﷺ إذا أراد أن يدخل الخلاء قال: « **اللهم إنى أعوذ بك من الخبث والخبائث** ».

الحرز التاسع عشر: التعوُّذ بالله عند الغضب .

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾

* وفى الصحيحين[٢] من حديث سليمان بن صرد رضى الله عنه قال: كنت جالساً مع النبى ﷺ ورجلان يستبان فأحدهما احمر وجهه وانتفخت أوداجه فقال النبى ﷺ: « **إنى لأعلَمُ كلمةً لو قالها ذَهبَ عنه ما يجِد ،لو قال: أعُوذُ بالله من الشيطانِ الرجيم ذهب عنه ما يجد**»، فقالوا له: إن النبى ﷺ قال: تعوذ بالله من الشيطان ، فقال: وهل بى جنونٌ ؟!

الحرز العشرون: التعوذ بالله عند سماع نباح الكلاب ونهيق الحمير.

* ففى الصحيحين[٣] من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضْله فإنها رأت مَلَكاً،وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان فإنه رأى**

(١) البخارى (١٠/ ٢٤٢ مع الفتح، ومسلم (حديث ٣٧٥)
(٢) البخارى (مع الفتح ١٠/٤٦٥) ومسلم (١٦/١٦٣).
(٣) البخارى(مع الفتح ٦/ ٣٥٠) ومسلم(مع النووى ١٧/٤٦).

شيطانا».

وفى مسند الامام أحمد من حديث جابر بن عبدالله رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: « **إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير من الليل فتعوذوا بالله فإنها ترى مالا ترون** »[١].

الحرز الحادى والعشرون: ترك الخلوة بالنساء

أخرج الإمام أحمد وعبد بن حميد من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « ... **ولا يخلون رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما** »[٢]

الحرز الثانى والعشرون (حروز للرؤيا)

* عن أبى قتادة[٣] رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: « **الرُّؤيا الصالحة من الله، والحُلم من الشيطان ، فإذا حَلَم أحدُكُم حُلما يخافه فليبصق عن يساره وليتعوذ بالله من شرِّها فإنها لا تضرُّه** ».

* وفى رواية فى الصحيحين من طريق أبى سلمة قال[٤]: كنت أرى الرؤيا تمرضنى حتى سمعتُ النبىَّ ﷺ يقول: « **الرؤيا الحسنة من الله فإذا رأى أحدُكُم ما يحب فلا يُحَدِّثُ به إلا من يُحب، وإذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها ومن شرِّ الشيطان ،وليتفل ثلاثا ولا**

(١) أحمد (٥/ ١٩٣) وأبو داود (٥/ ٣٣١) وهو صحيح لشواهده .
(٢) انظر تخريجه بتوسع فى المنتخب لعبد بن حميد(بتحقيقى رقم ٢٣) وهو صحيح لغيره
(٣) أخرجه مسلم (مع النووى ١٥/ ٢٠) .
(٤) البخارى (مع الفتح ١٢/ ٤٣٠)، وقد تقدم.

يحدث بها أحداً فإنها لن تضره » .

* وعن أبى سعيد[١] الخدرى رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : **«إذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها فإنها من الله فليحمد الله عليها وليحدِّث بها وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هى من الشيطان فليستعذ من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لن تضره »**

وعن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : **« إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثاً وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثا وليتحول عن جنبه الذى كان عليه»**[٢]

* وعن أبى هريرة[٣] رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : **« إذا اقترب الزمانُ لم تكد رؤيا المسلم تكْذبُ،وأصدَقُكم رؤيا أصدَقُكُم حديثاً ورؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين جزءا من النبوة،والرؤيا ثلاثة فرؤيا الصالحة بُشرى من الله ورؤيا تحزينٌ من الشيطان ورؤيا مما يُحدِّث المرءُ نفسَه فإن رأى أحدُكم ما يكره فليقُم فليصلِّ ولا يُحدِّث بها الناسُ »** .

الحرز الثالث والعشرون: الأذان

فقد أخرج البخارى ومسلم[٤] من حديث أبى هريرة رضى الله عنه

---

(١) البخارى (مع الفتح ١٢/ ٣٦٩).
(٢) مسلم (مع النووى ١٥/ ٢٠).
(٣) مسلم (١٥/ ٢٠).
(٤) أخرجه البخارى (٢/ ٨٤) ومسلم ص٢٩١) .

أن رسول الله ﷺ قال: « إذا نودى للصلاة أدبر الشيطان وله ضُراط[١] حتى لا يسمعَ التأذين، فإذا قُضى النداء أقبل. حتى إذا ثُوِّب بالصلاة أدْبَر، حتى إذا قُضى التثويب أقبَل حتى يخطر بين المرء ونفسه يقول: اذكر كذا اذكر كذا لما لم يكن يذكر حتى يظل الرجل لا يدرى كم صلى »[٢].

الحرز الرابع والعشرون: ترك قول لو المصحوبة بالاعتراض على القدر .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « المؤمن القوىُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفى كل خير. احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شىءٌ فلا تقل لو أنى فعلتُ كان كذا وكذا ولكن قل: قدَّر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتحُ عملَ الشيطان »[٣] *

---

(١) وفى رواية لمسلم « إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة أحال له ضراط حتى لا يسمع صوته فإذا سكت رجع فوسوس فإذا سمع الإقامة ذهب حتى لا يسمع صوته فإذا سكت رجع فوسوس ».

(٢) فى بعض الروايات عند مسلم زيادة: فهنَّاه ومنَّاه وذكَّره من حاجاته ما لم يكن يذكر .

(٣) قال النووى رحمه الله: قال القاضى عياض قال بعض العلماء: هذا النهى إنما هو لمن قاله معتقداً ذلك حتماً، وأنه لو فعل ذلك لم تصبه قطعاً، فأما من رد ذلك إلى مشيئة الله تعالى بأنه لن يصيبه إلا ما شاء الله فليس من هذا، واستدل بقول أبى بكر رضى الله عنه فى الغار (لو أن أحدهم رفع رأسه لرآنا).

قال القاضى: وهذا لا حجة فيه لأنه إنما أخبر عن مستقبل وليس فيه دعوى لرد قدر بعد وقوعه ، قال: وكذا جميع ما ذكره البخارى فى باب (ما يجوز من اللو) كحديث : « لولا حدثان عهد قومك بالكفر لأتممت البيت على قواعد إبراهيم » و« لو كنت راجماً بغير بينة لرجمت هذه » و« لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك » وشبه ذلك لا =

الحرز الخامس والعشرون: رد التثاؤب .

أخرج البخارى[١] من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب فإذا عطَسَ أحدُكم وحَمِدَ الله كان حقا على كل مُسْلم سمعه أن يقول له: يرحمك الله،وأما التثاؤبُ فإنما هو من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم فليردُّه ما استطاع ،فإن أحَدَكُم إذا تثاءب ضحِكَ منه الشيطان »**.

وفى رواية لمسلم[٢]

: « إذا تثاءب أحدكم فى الصلاة فليكظم[٣] ما استطاع فإن الشيطان يدخل » وفى رواية: **« فليمسك بيده »**.

= اعتراض فيه على قدر فلا كراهة فيه لأنه إنما أخبر عن اعتقاده فيما كان يفعل لولا هذا المانع وعما هو فى قدرته فأما ما ذهب فليس فى قدرته، قال القاضى: فالذى عندى فى معنى الحديث أن النهى على ظاهره وعمومه لكنه نهى تنزيه ويدل عليه قوله ﷺ: **« فإن لو تفتح عمل الشيطان »** أى يلقى فى القلب معارضة القدر ويوسوس به الشيطان. هذا كلام القاضى .

قلت: وقد جاء من استعمال كلمة « لو » فى الماضى قوله ﷺ: **« لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما سقت الهدى »** .

وغير ذلك فالظاهر أن النهى إنما هو على إطلاق ذلك فيما لا فائدة فيه فيكون نهى تنزيه لا تحريم، فأما من قاله تأسفاً على ما فات من طاعة الله تعالى أو ما هو متعذر عليه من ذلك ونحو هذا فلا بأس به وعليه أكثر الاستعمال الموجود فى الأحاديث والله أعلم .

* والحديث أخرجه مسلم (١٦/ ٢١٥).

(١) البخارى (مع الفتح ١٠/ ٦١١).

(٢) مسلم (١٨/ ١٢٢).

(٣) قال النووى رحمه الله قوله: **« فليكظم »** الكظم هو الإمساك، قال العلماء: أمر بكظم التثاؤب ورده، ووضع اليد على الفم لئلا يبلغ الشيطان مراده من تشويه صورته ودخول فمه، وضحكه منه.

الحرز السادس والعشرون:ذكره ابن القيم واستفاض فيه .

فقال : إمساك فضول النظر والكلام والطعام، ومخالطة الناس، فإن الشيطان إنما يتسلط على ابن آدم، وينال منه غرضه : من هذه الأبواب الأربعة فإن فضول النظر يدعو إلى الإستحسان، ووقوع صورة المنظور إليه فى القلب، والاشتغال به، والفكرة فى الظفر به .

فمبدأ الفتنة من فضول النظر، كما فى المسند عن النبى ﷺ أنه قال :

« النظرة سهم مسموم من سهام إبليس،فمن غضّ بصره لله أورثه الله حلاوة يجدها فى قلبه إلى يوم يلقاه »[١]

أو كما قال ﷺ .

فالحوادث العظام إنما هى كلها من فضول النظر، فكم من نظرة أعقبت حسرات لا حسرة ؟ كما قال الشاعر :

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت فى قلب صاحبها فتك السهام بلا قوس ولا وتر ؟

(١) فى إسناده ضعف .

وقال الآخر:

وكنت متى أرسلت طرفك رائداً ... لقلبك يوما أتعبتك المناظر
رأيت الذى لا كُلَّهُ أنت قادر ... عليه، ولا عن بعضه أنت صابر

وقال المتنبى:

وأنا الذى جلب المنية طرفه ... فمن المطالب، والقتيل القاتل ؟

ولى من آبيات :

يا رامياً بسهام اللحظ مجتهداً ... أنت القتيل بما ترمى، فلا تصب
وباعث الطرف يرتاد الشفاء له ... تَوقَّه، إنه يرتد بالعطب
ترجو الشفاء بأحداق بها مرض ... فهل سمعت ببرء جاء من عطب ؟
ومفنياً نفسه فى إثر أقبحهم ... وصفاً للطخ جمال فيه مستلب
وواهباً عمره فى مثل ذا سفها ... لو كنت تعرف قدر العمر لم تهب
وبائعاً طيب عيش ماله خطر ... بطيف عيش من الآلام منتهب
غبنت والله غبناً فاحشاً فلو اسـ ... ـترجعت ذا العقد لم تغبن ولم تخب
وواردا صفو عيش كله كدر ... أمامك الورد صفواً ليس بالكذب
وحاطب الليل فى الظلماء منتصباً ... لكل داهية تدنى من العطب
شاب الصبا والتصابى بعد لم يشب ... وضاع وقتك بين اللهو واللعب
وشمس عمرك قد حان الغروب لها ... والضى فى الأفق الشرقى لم يغب
وفاز بالوصل من قد فاز وانقشعت ... عن أفقه ظلمات الليل والسحب
كم ذا التخلف والدنيا قد ارتحلت ... ورسل ربك قد وافتك فى الطلب
ما فى الديار وقد سارت ركائب من ... تهواه للصب من سكنى ولا أرب
فأفرش الخد ذياك التراب، وقل ... ما قاله صاحب الأشواق فى الحقب
ما ربع مية محفوفاً يطوف به ... غيلان أشهى له من ربعك الخرب
ولا الخدود إن أدمين من ضرج ... أشهى إلى ناظرى من خدك الترب

منازلا كان يهواها ويألفها أيام كان منال الوصل عن كثَب
فكلما جليت تلك الربوع له يهوى إليها هوى الماء فى صبب
أحيا له الشوق تذكار العهود بها فلو دعا القلب للسلوان لم يجب
هذا وكم منزل فى الأرض يألفه وما له فى سواها الدهر من رغب
ما فى الخيام أخو وجد يريحك إن بثثته بعض شأن الحب، فاغترب
وأسر فى غمرات الليل مهتدياً بنفحة الطيب لا بالنار والحطب
وعاد كل أخى جبن ومعجزة وحارب النفس لا تلقيك فى الحرب
وخذ لنفسك نوراً تستضىء به يوم اقتسام الورى الأنوار بالرتب
فالجسر ذو ظلمات ليس يقطعه إلا بنور ينجى العبد فى الكرب

والمقصود: أن فضول النظر أصل البلاء.

وأما فضول الكلام فإنها تفتح للعبد أبواباً من الشر كلها مداخل للشيطان، فإمساك فضول الكلام يسد عنه تلك الأبواب كلها. وكم من حرب جرتها كلمة واحدة. وقد قال النبى ﷺ لمعاذ: « **وهل يُكِبُّ الناس على مناخرهم فى النار إلا حصائد ألسنتهم** »[1]

وفى الترمذى: أن رجلا من الأنصار تُوفِّى فقال بعض الصحابة: طوبى له. فقال النبى ﷺ: « **فما يدريك؟ فلعله تكلم بما لا يعنيه، أو بخل بما لا ينقصه** »[2].

وأكثر المعاصى: إنما يولدها فضول الكلام والنظر. وهما أوسع مداخل

(١) صحيح لشواهده
أخرجه أحمد من طرق عن معاذ بن جبل رضى الله عنه مرفوعا ٥/ ٢٣١و٢٣٦ و ٢٣٧ والترمذى ٢٦١٦ وقال هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه ٣٩٧٣، وغيرهم.

(٢) أخرجه الترمذى رقم ٢٣١٦ من طريق الأعمش عن أنس وقال هذا حديث غريب قلت: وسنده منقطع إذ أن الأعمش لم يسمع من أنس رضى الله عنه.

الشـيطان. فإن جـارحتيهـما لا يملان، ولا يسـأمان، بخـلاف شهـوة البطن، فإنه إذا امتلأ لم يبق فيه إرادة للطعام .

وأما العين واللسان فلو تركا لم يفترا من النظر والكلام ، فجنايتهما متسعة الأطراف. كثيرة الشعب. عظيمة الآفات.

وكان السلف يحذرون من فـضول النظر، كما يحـذرون من فضول الكلام، كانوا يقولون: ما شيء أحوج إلى طول السجن من اللسان.

وأما فضول الطعـام: فهو داع إلى أنواع كثيرة من الشـر، فإنه يحرك الجوارح إلى المعاصى، ويثقلها عن الطاعات، وحسبك بهذين شراً. فكم من معصية جلبها الشبع وفضول الطعام وكم من طاعة حال دونها ؟ .

فمن وقى شر بطنه فقد وقى شراً عظيماً.

والشـيطان أعظم ما يتـحكم من الإنسـان إذا ملأ بطنه من الطعـام ، ولهذا جاء فى بعض الآثار « **ضيقوا مجارى الشيطان بالصوم** » وقال النبى ﷺ: « **ما ملأ آدمى وعاء شراً من بطن** »[1].

ولو لم يكن فى الامـتلاء من الطعـام إلا أنه يدعو إلى الغـفلة عن ذكر الله عز وجل، وإذا غفل القلب عن الذكر ساعة واحدة جثم عليه الشـيطان ووعده، ومـنَّاه وشهـاه، وهام به فى كل واد. فـإن النفس إذا شبـعت تحركت وجـالت، وطافت على أبواب الشهـوات، وإذا جاعت سكنت وخشعت وذلت .

---

(١) صحيح أخرجه أحمد (٤/ ١٣٢) وانظر الكلام عليه فى التسهيل .

وأما فضول المخالطة: فهى الداء العضال الجالب لكل شر، وكم سلبت المخالطة والمعاشرة من نعمة. وكم زرعت من عداوة، وكم غرست فى القلب من حزازات تزول الجبال الراسيات، وهى فى القلوب لا تزول، ففى فضول المخالطة خسارة الدنيا والآخرة، وإنما ينبغى للعبد أن يأخذ من المخالطة بمقدار الحاجة.

ويجعل الناس فيها أربعة أقسام: متى خلط أحد الأقسام بالآخر، ولم يميز بينهما دخل عليه الشر.

أحدها: من مخالطته كالغذاء لا يستغنى عنه فى اليوم والليلة، فإذا أخذ حاجته منه ترك الخلطة ثم إذا احتاج إليه خالطه هكذا على الدوام، وهذا الضرب أعز من الكبريت الأحمر، وهم العلماء بالله وأمره، ومكايد عدوه، وأمراض القلوب وأدويتها الناصحون لله ولكتابه ولرسوله ولخلقه. فهذا الضرب فى مخالطتهم الربح كل الربح.

القسم الثانى: من مخالطته كالدواء، يحتاج إليه عند المرض. فما دمت صحيحاً فلا حاجة لك فى خلطته، وهم من لا يستغنى عن مخالطتهم فى مصلحة المعاش، وقيام ما أنت محتاج إليه من أنواع المعاملات والمشاركات والاستشارة والعلاج للأدواء ونحوها فإذا قضيت حاجتك من مخالطة هذا الضرب بقيت مخالطتهم من :

القسم الثالث: وهم من مخالطته كالداء على اختلاف مراتبه وأنواعه وقوته وضعفه.

فمنهم من مخالطته كالداء العضال، والمرض المزمن، وهو من لا تربح عليه فى دين ولا دنيا، ومع ذلك فلابد من أن تخسر عليه الدين والدنيا أو أحدهما، فهذا إذا تمكنت منك مخالطته واتصلت ، فهى مرض الموت المخوف.

ومنهم من مخالطته كوجع الضرس يشتد ضربه عليك فإذا فارقك سكن الألم.

ومنهم من مخالطته حمى الروح، وهو الثقيل البغيض العقل، الذى لا يحسن أن يتكلم فيفيدك، ولا يحسن أن ينصت فيستفيد منك ، ولا يعرف نفسه فيضعها فى منزلتها، . بل إن تكلم فكلامه كالعصى تنزل على قلوب السامعين، مع إعجابه بكلامه وفرحه به، فهو يُحدِث من فيه كلما تحدث، ويظن أنه مسك يطيب به المجلس، وإن سكت فأثقل من نصف الرحا العظيمة التى لا يطاق حملها ولا جرها على الأرض، ويذكر عن الشافعى رحمه الله أنه قال: ما جلس إلى جانبى ثقيل إلا وجدت الجانب الذى هو فيه أنزل من الجانب الآخر.

ورأيت يوماً عند شيخنا قدَّس الله روحه رجلا من هذا الضرب والشيخ يحمله، وقد ضعفت القوى عن حمله، فالتفت إلى وقال: مجالسة الثقيل حمى الربع. ثم قال: لكن قد أدمنت أرواحنا على الحمى، فصارت لها عادة .

أو كما قال.

وبالجملة : فمخالطة كل مخالف حمى للروح، فعرضية ولازمة، ومن نكد الدنيا على العبد أن يبتلى بواحد من هذا الضرب. وليس له بد من معاشرته ومخالطته فليعاشره بالمعروف، حتى يجعل الله له من أمره فرجاً ومخرجا .

القسم الرابع: من مخالطته الهلك كله ومخالطته بمنزلة أكل السم. فإن اتفق لآكله ترياق، وإلا فأحسن الله فيه العزاء، وما أكثر هذا الضرب فى الناس لا كثرهم الله. وهم أهل البدع والضلالة، الصادون عن سنة رسول الله ﷺ، الداعون إلى خلافها. الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا، فيجعلون البدعة سنة، والسنة بدعة، والمعروف منكراً، والمنكر معروفاً.

إن جردت التوحيد بينهم قالوا: تنقصت جناب الأولياء والصالحين، وإن جردت المتابعة لرسول الله ﷺ قالوا: أهدرت الأئمة المتبوعين ،وإن وصفت الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله من غير غلوّ ولا تقصير قالوا : أنت من المشبهين .

***

﴿ معانى مفردات السورة الكريمة ﴾

الكلمة	معناها
الْوَسْوَاسِ	الشيطان، والوسوسة الحديث الخفى
الْخَنَّاسِ	الشيطان يخنس (يختفى) عند ذكر الله، والخناس كثير الاختفاء
يُوَسْوِسُ	يحدث فى النفس

الخاتمة

بهذا ينتهى هذا المختصر اللطيف لتفسير جزء عم أسأل الله أن ينفعنا به والمسلمين وأن يجعله فى موازين حسناتنا يوم نلقاه، وما كان فيه من صواب فمن الله وحده فله النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن وما كان فيه من خطأ فمن نفسى ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه، وجزى الله خيراً من أسدى إلينا نصيحة أو قدَّم لنا معروفاً وصلى اللهم على نبينا محمد وسلم.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت

أستغفرك وأتوب إليك

والحمد لله رب العالمين

كتبه

أبو عبد الله

مصطفى بن العدوى

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة